« بستان عائشة »

ومرحلة جديدة في شعر عبد الوهاب البياتي

د. حامد أبو أحمد

الشاعر عبد الوهاب البياتي واحد من أغزر شعراء العالم إنتاجا ؛ فهذا الديوان الأخير « بستان عائشة » الصادر عن دار الشروق بالقاهرة في فبراير ١٩٨٩ هو الديوان العشرون من دواوينه التي أخذت تتوالى منذ عام ١٩٥٠ ، وهو العام الذي شهد مولد ديوانه الأول « ملائكة وشياطين » ومثلما نقول عن شاعر إسبانيا الكبير خوان[١] رامون خمينيث (نوبل في الآداب ١٩٥٦) إن حياته كانت متصلة بأعماله اتصالا وثيقا نقول عن شاعرنا العربي الكبير إن الشعر كان — وما زال — بالنسبة له مبرر حياة ؛ ذلك أن تجربة البياتي الشعرية قد امتزجت منذ البداية بتجارب حياتية ثرية ومتنوعة ظل يغوص فيها إلى الأعماق عاما بعد عام ومرحلة بعد مرحلة ، ومثل كل الشعراء العالميين الكبار تولد لدى البياتي وعي بأن عليه ألا يتوقف عند مرحلة واحدة يكرر نفسه بعدها ، ومن ثم تعرض لأزمة حادة[٢] عام ١٩٦٢ : كانت قد صدرت دواوينه السبعة الأولى حتى عام ١٩٦٠ (أضيف إلى هذه الدواوين السبعة فيما بعد ديوان « النار والكلمات » الذي صدر عام ١٩٦٤ وتكون من هذه الدواوين بعد ذلك الجزء الأول من مجموعته الشعرية الكاملة) وأحس البياتي أنه يمكن أن يدخل إلى طريق مسدودة فعانى معاناة شديدة خرج بعدها ظافرا بعد أن اكتشف طرقا جديدة للتعبير ، فتلبس عمر الخيام في مسرحية « محاكمة في نيسابور » ، ووصل إلى مرحلة الرؤيا الشاملة للكون والحياة في دواوينه التي صدرت بعد ذلك وهي « الذي يأتي ولا يأتي » (١٩٦٦) و« الموت في الحياة » (١٩٦٨) و« الكتابة على الطين » (١٩٧٠)

وكما يقول المستعرب الإسباني فيديريكو أربوس « نلاحظ في هذه الدواوين الثلاثة منذ الوهلة الأولى رغبة الشاعر في تحويل مضمون كل قصائدها إلى مشروع موحد شامل ، أي محاولة كتابة قصيدة طويلة واحدة موزعة في ثلاثة كتب[٣] . أي أن البياتي كان أحد رواد اتجاه الديوان / القصيدة مثلما كان أحد رواد الشعر الحديث في أدبنا العربي المعاصر ، وكانت معاناته هي معاناة الشاعر الكبير الذي يفتح الأبواب ويمهد الطرق .

وقد كان البياتي منذ نشأته الأولى مؤهلا للوصول إلى ما بدأ يحققه في هذه المرحلة الثانية من إنتاجه الشعري العزيز . يقول في كتابه النثري « تجربتي الشعرية » وهو يتحدث عن طفولته : « كان تكويني النفسي من أساسه الرؤية الشاملة للأشياء ، والنفاذ إلى جوهر الأشياء الصغيرة التي هي مادة الشعر وينبوعه »[٤]

وقد ظل البياتي يتطور باستمرار رافضا السكونية والجمود ، فجاءت كتبه خلال عقد السبعينيات تحمل تجديدا في اللغة والإيقاع وبناء القصيدة وتعمقا أكبر في الجانب الرمزي والموضوعات المألوفة ، وحضورا أدبيا أكثر نشاطا للتصوف العربي[٥] القديم .

وفى هذا الديوان الأخير « بستان عائشة » يقدم البياتى تجربة جديدة متميزة ، صحيح أنها تحمل الكثير من العناصر المبثوثة فى أعماله السابقة ويظهر فيها الكثير من اللوازم المعروفة عن شاعرنا ، كما سوف نوضح فيما بعد ، ولكن العناصر الجديدة فى هذا الديوان أكثر بروزا وتستدعى أن نتوقف عندها كثيرا .

ويحدثنا البياتى نفسه عن نزعة التجديد المستمر فى أعماله فيقول فى كتابه « تجربتى الشعرية » : « لقد أدركت من خلال تجربتى أنه ليس من المعقول أن أتجمد أو أتوقف عند أشكال فنية من التعبير وإنما علىّ أن أتجدد باستمرار من خلال عملية الخلق الشعرى ، كما تجدد الطبيعة نفسها بتعاقب الفصول »[٦] ولأن البياتى لم يكن أبدا شاعرا يعيش فى برج عاجى أو يجرى وراء الكلمات المنمقة ، وإنما ظل دائما فى حالة انفعال بما يحدث فى العالم ،

يعيش فى جو من المعاناة القاتلة يطير بها من منفى إلى منفى ، فإنّ هذا — كما يقول — قاده إلى الأسلوب الشعرى الجديد وهو أسلوب القناع لقد حاول أن يوفق بين ما يموت ومالا يموت ، بين المتناهى واللامتناهى ، بين الحاضر وتجاوز الحاضر ، وتطلب هذا منه معاناة طويلة فى البحث عن الأقنعة الفنية . وقد وجد هذه الأقنعة فى التاريخ والرمز والأسطورة ، وكان فى هذا الاختيار يهدف إلى التعبير من خلال قناع عن المحنة الاجتماعية[٧] والكونية .

بستان عائشة

يضم هذا الديوان اثنتين وستين قصيدة إذا اعتبرنا كلاً من القصيدتين الأخيرتين « الدينونة » و« بانوراما أصيلة » قصيدة واحدة بالرغم من اشتمالها على عدد من المقطوعات (الأولى خمس والثانية سبع) تحمل كل منها عنوانا قائما بذاته وقد حرص البياتى — على غير العادة — أن يضع تواريخ كتابة عدد كبير من القصائد وقد قمنا بإحصاء لهذه المسألة فوجدنا عددا من القصائد بدون تواريخ (١٧ قصيدة) ، وقصيدتين مكتوبتين عام ١٩٨٣ ، وقصائد يعود تاريخها لعام ١٩٨٤ (١٢ قصيدة) ، وأخرى لعام ١٩٨٥ (٨ قصائد) ، وبالنسبة للأعوام التالية : عام ١٩٨٦ (١٢ قصيدة) و ١٩٨٧ (ثلاث قصائد) و ١٩٨٨ (خمس قصائد) ، فضلا عن ثلاث قصائد تحمل كل منها تاريخ سنتين متتاليتين : التجلى المقدس (٨٣ / ١٩٨٤) ، وبستان عائشة (٢٦ / ١٢ / ٨٧ إلى ٢ / ١ / ١٩٨٨) ، وصورة جانبية لعائشة (٨٧ / ١٩٨٨) ، وهذا الإحصاء لا يخلو من دلالتين فى غاية الأهمية هما : أن عبد الوهاب البياتى لم يتوقف — كما أشيع — عن الإبداع الشعرى خلال السنوات الأخيرة ، وأن إنتاجه — برغم كل شىء قد قل خلال عقد الثمانينيات إذا قورن بالعقود السابقة فى الخمسينيات والستينيات والسبعينيات ، حيث أصدر البياتى فى العقد الأول ستة دواوين وفى كل من العقدين التاليين عددا يشبه ذلك . ولكن إنتاج البياتى وإن كان قد قل خلال العقد الأخير من ناحية الكم فقد زاد كثافة وتركيزا وعمقا كما سوف نوضح خلال تحليلنا لهذا الديوان .

وإذا كانت قد وصفت طبيعة القصيدة عند البياتى ، وخاصة فى مرحلته الأولى ، بتركيز الشعور فى الصورة الموحية ، والاكتفاء باللمسة السريعة والإيماءة[٨] الخاطفة ، كما وصفت التجربة الشعرية عنده بأنها مكثفة إلى أقصى حدود التكثيف وثرية بالدلالات والرؤى العديدة والمتنوعة[٩] فإن التكثيف قد بلغ فى هذا الديوان غاية المدى حتى تأتى المقطوعة فى ثلاثة أسطر أو أربعة من ذلك قوله :

وجهك فى المرآة : وجهان
فلا تكذب
فإن الله
يراك فى المرآة

ولعلنا لا نجاوز الصواب إذا أطلقنا على مثل هذه المقطوعة اسم القصيدة المقطعة أو التوقيع ، ونقلنا هذه الكلمة الأخيرة (التوقيع) من دلالتها المعروفة فى تراثنا وهى ما كان يعرف بأسلوب التوقيعات[١٠] إلى دلالة حديثة أكثر عمقا وثراء .

وقد أحصينا هذه المقطوعات أو التوقيعات فى الديوان فوجدناها تبلغ ستا وثلاثين وبعضها يتكون من ثلاثة أسطر أو أربعة أو خمسة ، وكثير منها فى حدود ستة أبيات أو سبعة ، وأكثرها طولا لا يتجاوز خمسة عشر بيتا ؛ التى يريد أن يصل بها إلى هدفه بأقل الكلمات وأقل الصور .

وتأخذ المقطوعة أو التوقيع فى ديوان « بستان عائشة » مضامين متعددة : فتارة تكون تقريراً لحالة عاينها الشاعر مثل قصيدة « عن كتب التاريخ » التى تقول[١١] : « عاهرة كتب التاريخ / تدفن تحت الأنقاض : الشهداء القديسين / وتُبقى أسماء شهود الزور » :

وتارة تعبر عن حالة شعورية ، مثل قصيدة « مجنون إشبيلية » التى تقول : « تحت الخير الدا / أجمل إنسان فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأرض يموت / تحت الخير الدا / آخر حب فى الأرض يموت / تحت الخير الدا / أصرخ مجنونا وأموت » :

وتارة تكون نوعا من التأمل ، مثل قصيدة « إلى نجيب محفوظ » ثرثرة فوق النيل ؟ / أم وجع القلب الإنسانى المخذول ؟ وهزيمة جيل ؟ أم نار أطفأها فى العوامة / أمر يحتمل التأويل ؟

وتارة تكون رمزا لوضع ما ، مثل قصيدة « الخائنة » « كانت على منوالها ، ثلاثة تخون / حبيبها ونفسها وبعلها المسكين / وعندما تحدج فى مرآتها / ترى على صفحتها خائنة العيون ؟

التكثيف فى المرحلة الأولى ، مع المقارنة أعلن البياتى عن مذهبه فى التكثيف فى المرحلة الأولى من حياته الشعرية بهذه الأسطر (من ديوان « النار والكلمات » :

سيداتى ، سادتى
خطبتى كانت قصيرة
فانا أكره أن يستغرق اللفظ زمانى
ولسانى
ليس سيفا من خشب
كلماتى ، سيداتى ، من ذهب
كلماتى ، سادتى كانت عناقيد الغضب
وأنا لست بسكران ، ولكنى متعب .

وقد رصد الدكتور صبرى حافظ فى مقال .. تحت عنوان « رحلة البياتى مع النيران والكلمات ضمن كتاب « مأساة الانسان المعاصر فى الشعر عبد الوهاب البياتى » (١٩٦٦)

دوافع هذا التكثيف فى شعر البياتى الأول فقال : « وهناك ظاهرة أساسية أخرى فى الشعر البياتى ، وهى متعلقة بطبيعة بناء القصيدة عنده ، وبطريقة بلورة التجربة الشعرية داخلها . فالبياتى لا يملك الوقت الكافى لتنميق الأغنيات ، ولكن الشعر عنده سلاح يسله من غمده فى لحظات خاطفة حادا ومستعدا للمواجهة ، لذلك فإن التجربة الشعرية عنده تقدم فى أقل عدد ممكن من الصور[١٢] والألفاظ » ويمثل الدكتور حافظ لذلك بثلاث قصائد كاملة من دواوينه الأولى : الأولى قصيدة « خيانة » (عشرة أبيات) من ديوانه الثالث « المجد للأطفال والزيتون » .

والقصيدة الثانية قصيدة المغنى والقمر » (ثلاث حركات وتسعة أبيات) من ديوانه الثامن « النار والكلمات » . والقصيدة الأخيرة « انتظار » من ديوانه السابع « كلمات لا تموت » (أحد عشر بيتا)

ولعله من الأنسب أن تنقل هنا إحدى هذه القصائد الثلاث وتقارن بينها وبين المقطوعات المكثفة فى ديوان « بستان عائشة » . ولتكن القصيدة الأخيرة « انتظار » وهى تحمل نفس خصائص القصيدتين الأخريين . تقول :

الأخريين . تقول :
جلادك المسكين يضحك فى غباء

قالوا له : عذّبه
حتى تصبغ الأرض الدماء

قالوا ... له ماذا ؟
وفى عينيك عصف الكبرياء

ياأسود العينين ، ياحبى المخضب بالدماء
ياعندليبى

إن أمّك فى المساء
فى كل يوم تفتح الشباك .. لكن المساء

يمضى .. ولا تأتى
فتجهش فى البكاء

ففى هذه القصيدة ــ بالرغم من قصرها وتكثيفها الشديد ــ غنائية واضحة ، والنزعة البشرية فيها بارزة ، وكذلك الاتجاه النضالى ، بل إن فيها جانبا رومانتيكيا لا يخفى على القارىء ثم إن الأفكار فيها مرتبة تخدم هذا الجانب الرومانتيكى ومن ثم رأى الدكتور حافظ أنها مكونة من ثلاث حركات الأولى سياط العذاب والجلاد الغبى الضاحك فى بلاهة والذى ينفذ الأوامر بآلية ساذجة ، وفى الثانية حب الشاعر للضحية كبرياؤها ، عيناها السوداوان ، صوتها العندليبى الحلو ، وفى الثالثة صورة الأم المنتظرة دوما ، التى تفتح الشباك كل أمسية تطل منه ، علها تلمح زوال ابنها البطل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصامد الحبيب ، لكنه لا يأتى ، فتنخرط فى بكاء قاس مرير[١٣] .

أما بالنسبة لديوان بستان عائشة فسوف نختار مقطوعتين (وكل منهما أيضا تحمل خصائص مشتركة فى معظم مقطوعات الديوان) ، هما : قصيدة « الشهيد » وقصيدة « امرأة » . وسبب اختيارنا للقصيدة الأولى أنها قريبة فى المضمون من قصيدة « انتظار » السالفة ؛ وذلك لأن الشهادة عند البياتى لا تكون فى مجال الدفاع عن الأوطان فحسب ضد الأجانب المعتدين بالمفهوم الوطنى أو ضد الكفار والمشركين بالمفهوم الدينى ، ولكن الشهيد ثائر يتحدى فى ثورته الموت ، كما سوف نقرأ فى مقطوعة « الشهيد » :

يتوهج فى نور المشكاة
متحدا فى ذات الله
لا يفنى /مثل شعوب الأرض
يتحدى فى ثورته الموت

وهى تخلو تماما ـ كما نلاحظ ـ من أى نزعة بشرية ، ذلك لأن صوت الشاعر ليس له وجود على الإطلاق لا عن طريق « الأنا » أو أى أسلوب شعرى غنائى ينم عن صوته ، وإنما تبدو الأبيات وكأنها مجرد تعريف للعنوان وهو « الشهيد » المعرف بالألف واللام والتعريف هنا مقصود وله دلالة هامة فى فكر الشاعر الذى يرفع من قيمة الثورة والتمرد على الأوضاع الظالمة ، ورغم بساطة الكلمات والصور وقربها من الفهم العقلى فإنها تنطوى على فلسفة عميقة تلخص فكر البياتى كله فى كلمات وأسطر قليلة .. أما النزعة الرومانتيكية فليس لها وجود أيضا . وبالإضافة إلى ذلك فإن الأبيات جاءت محملة ببعض الاكتشافات التى وصل إليها البياتى خلال مراحله المتطورة ومشواره الطويل . فهذه الأبيات الأربعة تحمل فكرة الموت فى الحياة (يتحدى فى ثورته الموت) التى بلورها البياتى فى دواوينه الصادرة خلال النصف الثانى من عقد الستينيات كما يظهر فيها التوجه الصوفى واضحا (يتوهج فى نور المشكاة/متحدا فى ذات الله) وهو الاتجاه الذى تبلور فى شعره خلال عقد السبعينيات

وبذلك تكون مقطوعة « الشهيد » فى ديوان « بستان عائشة » أكثر تكثيفا وإيجازا وأكثر إدراكا للهدف .

والمقطوعة الثانية هى « امرأة » التى تقول :

تعود كل ليلةٍ من قبرها النائى
إلى مدائن الصفيح
تمارس الحب مع الشيطان فى بيوتها
تصهل مثل فرس فى الريح
وكلما أدركها النعاس فى تجوالها
عادت إلى الضريح

فهذه مقطوعة كاملة أيضا مكونة من ستة أسطر ونلاحظ فيها هى الأخرى اطراح النزعة البشرية ، خلوها من أى عنصر رومانتيكى ، اشتمالها على مجموعة من الأفكار الجديدة التى اكتشفها الشاعر خلال مراحل تطوره الشعرى مثل استخدام أسلوب « القناع » (وذلك لأن المرأة هنا هى عائشة) والعودة الأبدية ، والموت فى الحياة ، فضلا عن الرموز والإشارات التى تثرى من دلالة الكلمات ، وتوجه الذهن نحو البنى العميقة الكامنة خلف البنى السطحية للجمل والمقطوعة ، ثم إن المقطوعة هى الأخرى موغلة فى التكثيف والإيجاز .

ولا شك أن البياتى لم يصل إلى هذه المرحلة البالغة التركيز إلا بعد أن انصهر فى تجارب أخرى شبيهة ظلت تقربه مرحلة بعد مرحلة من هذا المفهوم الأخير للقصيدة . ففى قصيدة طويلة هى « الرحيل إلى مدن العشق » من ديوان « كتاب البحر » الصادر عام ١٩٧٣ ، وهى قصيدة مكونة من احد عشر مقطعا بعضها قصير وبعضها طويل ، يتكون بعض المقاطع (وبالتحديد الثالث والرابع والخامس والسابع) من أربعة أبيات أو خمسة ويشكل كل منها وحدة قائمة بذاتها ، ومندرجة ضمن الكل ، ولا يكاد ينقصها شىء عن مقطوعات الديوان الأخير اللهم إلا العنوان ، ذلك أن كل قصيدة فى ديوان « بستان عائشة » مهما صغرت تحمل عنوانا ـ كما أسلفنا ـ أما فى هذه القصيدة فالمقطوعات لا تحمل إلا أرقاما . ولتأخذ مثلا المقطوعة رقم ٣ التى تقول :

بيكاسو فى المنفى
يشعل باللون البحرَ وقصّرَ الكاهنة العذراء
يتسوّل فوق القمة ضوء الشمس الزرقاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يجلد ظهر المتسول ، يبكى فى نهر الغربة
أزمان الغرباء

فهذه أبيات مكثفة سريعة موجزة تشبه قصائد ديوان « بستان عائشة » ولا ينقصنى إلا العنوان الذى يبدو واضحا تمام الوضوح لأنها تتحدث عن الرسام الشهير « بيكاسو » ، ثم إنها تحاول رصد فكرة فيها قوة الشعر الحق وعمقه ودقته وامتداده إلى دلالات أوسع ورؤيا أشمل . وإذا قارنا بينها وبين قصيدة « امرأة » السالفة من جهة البنى النحوية والصرفية ومن الناحية الأسلوبية نجد .. أن كلتا المقطوعتين (أو بالأحرى القصيدة والمقطوعة) تستخدم أسلوب الحكاية ومن ثم نجد الفعل المضارع هو سيد الموقف . ففى القصيدة ثلاثة أفعال مضارعة (تعود ، تمارس ، تصهل) وفعلان ماضيان (أدركها ، وعادت) ، وفى المقطوعة أربعة أفعال مضارعة (يشعل ، يتسول ، يجلد ، يبكى) وهى كل الأفعال فى القطعة . أما الجمل النحوية فتأتى متوازية بدون حروف عطف حتى فى إطار البيت الواحد (يجلد ظهر المتسول ، يبكى فى نهر الغربة) فالتشابه إذن واضح بين هذه المقطعة من « كتاب البحر » وبين كثير من قصائد « بستان عائشة » . وهذا مجرد مثل من أمثلة متعددة يمكن أن نعثر عليها فى دواوين البياتى السابقة وخاصة فى المرحلة الثالثة التى تضم الدواوين المنشورة فى المجلد الثالث من الأعمال الكاملة ، وهى « قصائد حب على بوابات العالم السبعة » و « كتاب البحر » و « سيرة ذاتية » لسارق النار » و « قمر شيراز » ، ويضاف إليها ديوان « مملكة السنبلة » المنشور عام ١٩٨٠ . إذن فقد ظهرت بواكير الاتجاه الجديد الكامل النضج فى الدواوين السابقة على هيئة مقطعات قصيرة داخلة ضمن قصائد طويلة ، ولكن البياتى فى الديوان الأخير عمد إلى أن تأخذ التجربة حيزها المحدود حتى تصل إلى الهدف من أقرب طريق وتلتقط الفكرة فى سرعة وحزم وحسم معا .

مقارنة أخرى

وفى مجال المقارنة ينبغى لنا أن نتوقف أيضا عند قصيدتين الشبه بينهما كبير فى العنوان وفى المضمون لكن التناول الفنى مختلف تماما . ويوضح مدى التغيير الذى دخل على قصيدة البياتى فى المرحلة الأخيرة القصيدة الأولى من ديوان « الكتابة على الطين » الصادر عام ١٩٧٠ (الأعمال الكاملة م ٢ ، ص ٤٧٥) وعنوانها « مرثية إلى المدينة التى لم تولد » الثانية من الديوان الأخير « بستان عائشة » وهى تحت عنوان « الولادة فى مدن لم تولد » .

ورغم أن القصيدة الأولى طويلة نسبيا فإننا مضطرون إلى نقلها كاملة حتى يقف القارىء على ما بين القصيدتين من فروق تقول :

تطن بالناس وبالذباب
ولدتُ فيها وتعلمت على أسوارها الغربة
والتجواب .
والحب والموت ومنفى الفقر فى عالمها السفلى
والأبواب
علّمنى فيها أبى : قراءة الأنهارْ
والنار والسحاب والسرابْ
والرفض والإصرار
والحزن والطوافْ
حول بيوت أولياء الله
بحثا عن النور وعن دفء ربيع لم يجىء بعد
وما زال ببطن الأرض والأصداف
منتظرا نبوءة العرّافْ
علّمنى فيها : انتظار الليل والنهار
والبحث فى خريطة العالم عن مدينة
مسحورة دافئة
تشبهها فى لون عينيها وفى ضحكتها الحزينة
لكنها لا ترتدى الأسمال
وخرق المهرج الجوال
ولا يطن صيفها بالناس والذباب

أما المقطوعة الجديدة فتقول :

أو لد فى مدن لم تولد
لكنى فى ليل خريف المدن العربية
ــ مكسورَ القلب ــ أموت
أدفن فى غرناطةَ حبّى
وأقولْ :
« لا غالب إلا الحبُّ »
وأحرق شعرى وأموت
وعلى أرصفة المنفى
أنهض من بعد الموت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لأولد فى مدن لم تولد وأموت .

والقراءة الأولى لهذين النصين (أولهما مكتوب فى أواخر الستينيات والثانى عام ١٩٨٦) تكشف عن بعض العناصر المشتركة بينهما ، لكن عناصر الاختلاف أوضح وأكثر بروزا : فالنصان موضوعهما واحد وهو المدينة والمدينة عند البياتى تأتى على صورتين : المدينة الحقيقية والمدينة المزيفة ، أو مدينة النور ومدينة الدخان ، أو مدينة الأسمنت والحديد والصفيح ومدينة العشق .. وكل من القصيدتين تحمل شذرات من فكر البياتى المتطور والمتنامى حول الموت والحياة والولادة الأبدية والتوجه الصوفى ، لكن التناول الفنى لكل هذه العناصر جاء مختلفا تماما فى كل منهما . فالقصيدة الأولى تشتمل على مساحة أوسع من التأمل ، ولهذا بدأها الشاعر بما يشبه التعريف للمدينة المعادية ثم تحدث عن طفولته فيها وكيف تعلم على يد أبيه قراءة الأنهار .. بحثا عن النور ، وتنتهى القصيدة والشاعر ما زال يبحث عن مدينته المنشودة التى لا ترتدى الأسمال .. القصيدة إذن حلم بترك المدينة المعادية إلى مدينة النور . أما المقطوعة فتدل دلالة واضحة على مذهب الشاعر الأخير فى التكثيف والإيجاز فضلا عن أن جدلية الموت والحياة قد صارت أكثر نضجا نلمح ذلك من العنوان نفسه ، فالقصيدة الأولى مرثية إلى المدينة التى لم تولد وحلم بولادتها أما الثانية فولادة متحققة فى مدن لم تولد وكأن الشاعر قد عثر أخيرا على المدينة التى ظل يبحث عنها طول حياته : إنها غرناطة التى دفن فيها حبه وهو يقول « لا غالب إلا الحب » على غرار « لا غالب إلا الله » المنقوش على جدران قصر الحمراء فى غرناطة . ثم إن الشاعر يحرق شعره ويموت ثم ينهض من بعد الموت ليولد فى مدن لم تولد ويموت .. وهكذا تستمر جدلية الموت والحياة لتصنع عالما أكثر تفاؤلا وأكثر قدرة على النهوض من عثراته . إن البياتى فى هذه المرحلة الأخيرة تكونت لديه قدرة فائقة على استشراف الأمل برغم كل المآسى التى يراها حوله والتى تجعله مكسور القلب فى ليل خريف المدن العربية لكن الولادة آتية لا محالة ، والنهوض مسألة لا جدال فيها .

تغير الرؤيا

من أهم خصائص البياتى أن كل مرحلة من مراحل تطوره الشعرى مرتبطة بتطور الواقع المادى والروحى والثقافى للمنطقة العربية وللعالم ومن ثم يحاول إيجاد وسائل وأدوات فنية جديدة للتعبير شعريا عما يحدث من تغيّر

فعندما بدأ مرحلته الثانية المهمة بكتاب « الذى يأتى ولا يأتى » كانت أوضاع كثيرة فى العالم قد تغيرت . وقد رصد هو نفسه بعد ذلك بشهور أو بسنوات قليلة (فى أواخر الستينيات تقريبا) ملامح هذا التغير وكيف أدى إلى تغيير أسلوبه ، فقال فى كتابه « تجربتى الشعرية » الصادر عام ١٩٦٨ عند الحديث عن سقوط تشى جيفارا : « إن هذا البطل الذى تخطى بنقائه وسموه وثوريته أبطال سارتر ومالرو والبير كامى سقط فى الساحة شهيدا ، كما سقط لى أصدقاء كثيرون غيره فى بقاع كثيرة من العالم وبعد ذلك بأسطر أضاف : « هذا وغيره قادنى إلى إيجاد الأسلوب الشعرى الجديد الذى أعبر به . لقد حاولت أن أوفق بين ما يموت ومالا يموت ، بين المتناهى واللامتناهى ، بين الحاضر وتجاوز الحاضر ، وتطلب هذا منى معاناة طويلة فى البحث عن الأقنعة الفنية . وقد وجدت هذه الأقنعة فى الرمز والتاريخ والأسطورة .. » .

وكان البياتى فى كل مرحلة من مراحل تطوره يطرح مفهوما جديدا للنضال الإنسانى فمن الثورى اللا منتمى فى ديوان « أباريق مهشمة » عام ١٩٥٤ ، إلى الثورى المنتمى فى الدواوين التى تلت ذلك حتى عام ١٩٦٠ ، إلى الثورى فى الثورة المستمرة وبروز تقنية القناع ، إلى المرحلة الميتافيزيقية والصوفية ، إلى المرحلة الأخيرة « بستان عائشة » التى يطرح فيها مفهوما جديدا لهذا النضال يرتبط بالصمت والترقب والمراقبة ، والإيمان بالقدرات الهائلة للإنسان الفرد فى إطار المجموع

كان البياتى فى مراحله السابقة يؤمن بالثائر الفرد الذى يقود النضال ويحدث التغيير ، على نحو ما نقرأ فى قصيدة « إلى عبد الناصر الإنسان » من ديوان سفر الفقر والثورة » ، حيث يقول :

وهذا الثائر الإنسان عبر سنابل القمح
يهز سلاسل الريح
مع المطر
مع التاريخ والقدر
ويفتح للربيع البابْ
فيا شعراء فجر الثورة المنجاب
قصائدكم له ، لتكن بلا حجَّاب
فهذا المارد الثائر إنسان
يزحزح صخرة التاريخ ، يوقد شمعة فى الليل للإنسان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم آمن بالفنان الثورى الذى رأى فيه تجسيداً لإرادة الكائنات المتناهية المكبوتة المضطهدة وامتداداً لها على مدى التاريخ عبر لحظات التجدد إلى ذات أكثر اكتمالا ، على نحو ما يقول فى قصيدة « الوريث » من ديوان « الذى يأتى ولا يأتى » :

رأيته : يولد فى مدريد
فى ساحة الإعدام أو فى صيحة الوليد
متوّجا بالغار
تحوم حول رأسه فراشة من نار

أما فى ديوان « بستان عائشة » فإننا نلاحظ أن تزاوجاً حميما قد حدث بين الرؤيا السابقة عن الفنان الثورى وبين الرؤيا الجديدة المتمثلة فى الشعب الثائر الذى سوف يظهر أفراده فى اللحظة المناسبة مثل الجن والشياطين الذين يتقنعون بأقنعة البشر ، مثلما ظهر أطفال فلسطين على شكل عمالقة كبار يحملون حجارة من سجيل ويرمون بها أفيال أبرهة الجديد المتمثل فى الكيان الصهيونى(١٤)

فالقصيدة الأولى من الديوان « مرثية إلى خليل حاوى » وهو الشاعر اللبنانى الذى مات منتحرا إبان الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ ، تشير إلى أنه حين انتظر الشاعر ماتت عائشة فى المنفى ، وصارت من بين ما صارت نار حريق فى أبراج ، وفى أبيات « نشيد الإنشاد ، ودما فوق سطور « التوراة » وجباه لصوص الثورات .. أى أن موت الشاعر كان مقدمة لأشياء كثيرة حدثت وستحدث مستقبلا . ويأتى المقطع الثالث من القصيدة متضمنا هذا البعد الجديد أو الرؤيا الجديدة مع استمرار هذا التزواج الذى أشرنا إليه . يقول هذا المقطع :

حين انتحر الشاعر
بدأت رحلته الكبرى واشتعلت فى البحر رؤاهْ
وحين اخترقت صيحتُه ملكوت المنفى
طفق الشعب القادم من صحراء الحب
يحطم آلهة الطين
ويبنى مملكة الله .

فالبياتى إذن أصبح يؤمن إيمانا يقينيا بأنه مهما ساد الظلام فإن قوافل النور آتية لا محالة ، لكنها هذه المرة سوف تخرج فى صورة صفوف هادرة ثائرة من الصبية أو النساء أو الرجال تحطم عروش الطواغيت وتبنى مملكة الله التى هى مملكة الحب والحرية والكرامة .

والقصائد التى تحمل بوضوح هذا المنحى الجديد فى رؤيا الشاعر هى القصيدة السابقة « مرثية إلى خليل حاوى » « الناى » « نار الشعر » « نهر المجرة » ، ثم هناك قصيدة ترتبط بالقصيدة الأولى هى « الحصار » وهى مهداة إلى « خليل حاوى فى ذكراه » .

وتتلاقى صور النضال فى هذه القصائد الخمس ، وكلها مرتبطة بالإنسان العادى أو الفرد فى أطار المجموع ، فمن صورة الشعب القادم من صحراء الحب ، فى القصيدة الأولى ، إلى صورة الإنسان الذى يقاوم موته فى القصيدة الثانية « الناى » ، إلى شهيد النور فى قصيدة « نار الشعر » الذى كان يقاتل فى يافا والبصرة وبيروت .. إلى الأبطال المسكونين بروح الأسلاف فى قصيدة « نهر المجرة » .

وهذا التغير فى الرؤيا مرتبط بمسألة أخرى فى غاية الأهمية هى العودة إلى الينابيع » يقول الشاعر فى قصيدة « نهر المجرة » :

فى نهر مجرة هذا الكون الشعرىُّ
المسكون بروح الأسلافْ
كنا مثل فراخ لم تنبت ، بعدُ قوادمُها
نسبح ضد التيار ..

ويقول فى قصيدة « الينابيع »

سأموت حبًّا تحت خيمتها
أعود إلى الطفولة
راعيا غنم القبيلة
مثل هارون الرشيدْ
ملكا وسلطاناً
على أسراب مملكة القطا
وقبائل الأمطار فى كل الفصولْ
ذَهَبى : ينابيع الحياة
وثروتى : قلق الوجود .

إذن فثَم تلاحم بين أشياء ثلاثة : رؤيا الفنان الثورى الذى يضحى بنفسه وحياته من أجل البشر ، ورؤيا الصمت والترقب والمراقبة حيث الحركة التحتية للبشر العاديين تموج بكل مالا يخطر على البال ، وتنفجر فى اللحظة المناسبة مثل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البركان لتحطم كل ما يقف أمامها من عوائق وسدود ، والعودة إلى الينابيع الأولى المليئة بالكنوز . وهذه العناصر الثلاثة ، بالاضافة إلى وعى البياتى الحاد بالبناء الفنى للقصيدة ، تمثل إضافات هامة فى القصيدة البياتية وفى الشعر العربى بشكل عام لأنها تأتى متلاحمة منسجمة معبرة عن عالم الشاعر الذى نما وتطور وفقا لتطور الواقع المادى والروحى للمنطقة العربية وللعالم جميعا .

البياتى إذن فى حالة تأمل مستمرة ، وفى حالة تلاحم مع الواقع ، ولهذا يقول : إن العودة إلى الواقع تسعفنا وتقدم لنا حلولا للكثير من المشاكل التى نواجهها ؛ المشاكل الفنية والأدبية والشعرية والسياسية والاقتصادية ، أى أننا لا يمكن أن نجلس وراء الطاولة ونفكر كيف نحرر أنفسنا من الخوف والجبن والهلع والتردد والعقم . لقد حاولت بشكل متواضع وأنا أطوف فى شوارع مدريد وحدى أو مع بعض الأصدقاء ، أن افكر بوسائل كثيرة ربما تكون ميسورة وموجودة ، ولكنى لم أهتد إليها بعد ، فوجدت أن خير وسيلة هى العودة إلى الينابيع الأولى[١٥] .

قصائد عائشة

فى الديوان عدد من المقطوعات بعضها يحمل اسم عائشة صراحة ، وبعضها يشير إليها بصورة من الصور التى وردت عنها فى دواوين سابقة ويحمل عنوان الديوان نفسه اسم قصيدة من هذه القصائد ودلالة العنوان لا تنسحب على هذه القصيدة وحدها أو على مجموع قصائد عائشة التى أشرنا إليها ، وإنما تبدو عائشة / القناع والفكرة متغلغلة فى الديوان وتمثل قاسما مشتركا فى كل قصائده بما فى ذلك المقطوعات التوقيع التى تحدثنا عنها ، وكأنما فكرة البياتى عن الموت والحياة المجسدة فى شخصية عائشة « الأسطورية » قد تحولت إلى شذرات يوزع منها البياتى بمقدار على كل قصيدة ، فتارة تأتى عائشة واضحة تماما مثلما نرى فى قصائد « من أوراق عائشة » و « بستان عائشة » و « صورة جانبية لعائشة » و « مرثية إلى خلل حاوى » و « ورقة أخرى » و « الملاك والشيطان » و « طفولة شاعر » و « الينابيع » وتارة تكون الفكرة هى الواضحة بينما يختفى اسمها أو ترد هى على أى صورة من الصور مثل قصائد « وردة الثلج » ، « سر النار » « رجل وامرأة » ، « إلى خورخى لويس بورخيس » و « امرأة » وفيما عدا ذلك يدخل ضمن هذه الشذرات التى أشرنا إليها .

فمن هى عائشة ؟ وكيف وردت فى دواوين البياتى السابقة ؟ وما صورها المختلفة فى أعماله ؟ وكيف تطور استخدام القناع عنده حتى انصهر فى هذه الشخصية الأسطورية ؟

الحق أن البياتى قد سهل مهمة نقاده كثيرا فترك لهم بعض هذه المفاتيح فى أشعاره مثل قصيدته السالفة الذكر عن مذهبه فى التكثيف . وفيما يتعلق بعائشة نعتقد أن قصيدة « الوجه والمرآه » من ديوان « الكتابة على الطين » (الأعمال الكاملة ، م ، ٢ ص ٤٧٣) تصلح « ما نيفستو » لعائشة ولهذا الاتجاه الجديد فى شعر البياتى الذى ظهر فى منتصف الستينيات تقول القصيدة

(ونفضل أن ننقلها كاملة)

العالم الغارق فى الغسق
والمرأة الأسطورة

تطلع من نبوءة العهد القديم وبطون كتب الأنهار

ومن رسوم السَّحَرة
على كهوف العالم القديم
تخرج من سُرَّتها وردة شمس الليل والنهار
ولأَرْوَرْد النار
تمارس الحب مع الضياء والهواء والمطر
تحيل بالبذور والأزهار والثمار
تحتضن المرآة
حالمة بالنهر والحصان والثعبان
وتختفى فى قعرها المطموس
عائدة إلى بطون كتب الأنهار
وريشة الساحر فى الكهوف
تاركة لعبتها الصغيرة
ومشطها المكسور
وألَق الضفائر الخضراء والشموس
على بساط الغرفة المسحور .

وكما أورد البياتى تعريفا لعائشة فى هوامش ديوان « الموت فى الحياة فقال : « عائشة صبية أحبها الخيام فى صباه حبا عظيما ولكنها ماتت بالطاعون ولم يتحدث عنها ، على الإطلاق فى أشعاره . وقد كنت أود إن أسميها فى هذا الديوان خُزَامَى ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكنى احتفظت باسمها الحقيقى أو المستعار — من يدرى ؟ — دفعا للالتباس وعائشة هنا أو خزامى امرأة

سطورية وهى رمز للحب الأزلى الواحد الذى ينبعث فيضيء مالا يتناهى من صور الوجود ، وهى الذات الواحدة التى تظهر فيما لا يتناهى من التعينات فى كل آن ، وهى باقية على لدوام على ما هى عليه » .

كذلك نجد فى كتابه النثرى المهم « تجربتى الشعرية » تعريفات كثيرة لعائشة تصب جميعها فى هذا المفهوم الرمزى لأسطورى الكونى يقول : « وإن عائشة فى الذى يأتى لا يأتى » والموت فى الحياة هى الرمز الذاتى والجماعى للحب لذى اتحد كل منهما بالآخر وحَلاً فى نهاية الأمر فى روح لوجود المتجدد .. وعائشة هذه ما هى إلا روح العالم المتجدد من خلال الموت ، من أجل الثورة والحب وهنا يلتقى الكائن لمتناهى والكائن اللامتناهى فى شخصية الشاعر والثورى . عن طريق التضاد والتزاحم والجدلية والصراع بين هذين لكائنين تندلع الشرارة الإنسانية التى يتفوق بها الإنسان لمبدع الخالق على الطبيعة المقيدة بقوانينها والتى لا تستطيع ن تجدد شبابها إلا عن طريق تعاقب الفصول (تجربتى لشعرية ص ٤٥ — ٤٦) .

وقد جاءت عائشة على صور مختلفة فى قصائد البياتى دواوينه فقد ولدت طفلة — حسب قوله — فى « ملائكة شياطين » ترعى البَهْم فى ظل جبل التوباد ، وماتت وهى شابة ن « الموت فى الحياة » فى إحدى غرف مدن العالم ، يعيده عن طنها ، وإن كانت قد عادت إليه على شكل صفصافة و ناعورة (تجربتى الشعرية ص ١٠٧) وتارة تأتى بأسماء خرى مثل شهر زاد أو أوفيليا ، وتارة تأتى فى صورة فراشة و حمامة والفراشة هى رمز الخلود فى الطقوس الجنائزية لفرعونية ، والحمامة هى حمامة الطوفان ، كما تظهر فى صورة أميرة بابلية أو ملكة أو ساحرة أو عرافة وتنهض مثل لطائر العنقاء من بين الرماد : إنها أو فيليا وشهر زاد فى آن احد تجسدت مرة بعد مرة فى عشتار إلهة الحب والموت فى ادى الرافدين التى ضمت فى حضنها الحبيب المفقود .

وفى ديوان « بستان عائشة » تظهر عائشة بشكل واضح فى نحو إحدى عشرة مقطوعة تقدم عائشة فى صور مختلفة ، تتفق مع تنوع الرؤى وشموليتها وجدلية الواقع والرمز والأسطورة عند البياتى . وفى الديوان قصيدة تحمل عنوان « بستان عائشة » تعد هى الأخرى وكأنها بيان لهذا الديوان . يقول مطلعها :

بستان عائشة على « الخابور »
كان مدينة مسحورة
عربُ الشمال
يتطلعون إلى قلاع حصونها
ويواصلون البحث عن ابوابها

.....

ثم إن البياتى وهذه إحدى سماته الكبرى كما ذكرنا ، لم يترك النقاد أو القراء يتوهون فى البستان وإنما وضع لهم بعض المفاتيح التى تساعدهم فى التوصل إلى ما يريد . من ذلك القصيدة المذكورة التى عرفنا منها أن بستان عائشة كان يقع على نهر الخابور ، وأنه كان مدينة مسحورة يحج إليها عرب الشمال ، وعندما كان يختفى البستان كانوا يعودون إلى حلب لينتظروا ويبكوا ألف عام .. كما أن البياتى فى حوار معه[٣٦] حدد بوضوح تام موقع هذا البستان فقال : « قد تكون نقطة البداية لهذا الديوان هى عائشة التى هى البطلة الواقعية — الأسطورية والرمز . ولقد اخترت مكانا لبستان عائشة ، ويستطيع القارىء إن يتلمس حدوده التى تبدأ من مدائن صالح إلى أعلى الفرات فى الخابور . وكما نعلم فإن قبائل عرب الشمال كانت تتجول فى هذا البعد الجغرافى المسكون بالأساطير والذى يقترن بتاريخ العرب ما قبل الإسلام وما بعده » . ثم يقول : « لقد طاردنى قراء فى مناسبات كثيرة فى طول العالم وعرضه بأسئلتهم حول عائشة .. ومن هى ؟ وكنت أنا مثلهم لا أعرف من هى ، أو أحاول أن لا أعرف . ولقد قمت بالبحث معهم ووصلت إلى مضارب قبيلتها التى تحولت إلى بستان والبستان تحول إلى مدينة مسحورة ، فكان مثلى عرب الشمال الذين كانوا يرحلون فى الربيع إلى أعالى نهر الخابور ليتأموا بوابات هذه المدينة المسحورة ، ويحاولوا اقتحامها ، ولكن الأبواب كانت تختفى وتغرق المدينة ويختفى البستان . وكانوا يعاودون الكرة من جديد بعد أن ييأسوا وينتظروا ألف عام لكى يحاولوا من جديد الاقتراب من هذه المدينة المسحورة ، ولكنها كانت تختفى أيضا كما اختفت فى المرات السابقة إنها إيضا الرغبة الإنسانية المفعمة بالأمل وعزيمة الإنسان التى لم تقهر فى سبيل الوصول إلى الحقيقة » .

وهناك مقطوعة أخرى تعد استكمالا لمقطوعة « بستان عائشة » هى « صورة جانبية لعائشة » التى نعرف منها أن عائشة « وجه وراء قناعه ، يخفى مدائن صالح وحدائق الليمون فى أعلى الفرات » . هذا إلى جانب الصور الأخرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العديدة التى تظهر فيها عائشة فى نفس القصيدة مثل تحولها إلى تفاحة وخمر ورغيف ساخن فى معبد الحب المقدس ، وفراشة .. ،

ونمضى مع القصائد فتطالعنا عائشة بوجوه وصور مختلفة مثل لارا وخزامى وعشتار والعنقاء والملاك وبنت السلطان والوردة وغير ذلك من صور كثيرة تتبدى فيها هذه المرأة الواقعية / الأسطورية .

وفى مقطوعة « سر النار » نعثر على صورة أخرى لعائشة : فقد قدم الشاعر المحبوبة فى البداية على أن نصفها امرأة والنصف الآخر ليس له وصف ، ثم قدمها فى نهاية القصيدة على أن نصفها ليس له وصف ونصفها الآخر كاهنة فى معبد عشتار . وبهذا نكون أمام أربعة أنصاف اثنان منهما يدوران فى عالم واقعى / أسطورى إذ تتلاقى المرأة الواقعية والكاهنة الأسطورية ، والاثنان الآخران يدوران فى عالم المجهول ، فكل منهما ليس له وصف .. ولعل هذا العالم المجهول هو الذى جعل منها (أى عائشة) حريقا للغابات وماء للنهر وسرا للنار .

ثم إن عائشة أيضا امرأة تمثل الغواية فى أعلى صورها ، فهى ، على نحو ما ورد فى قصيدة « امرأة » تعود كل ليلة من قبرها النائى إلى مدائن الصفيح ، تمارس الحب مع الشيطان فى بيوتها ، تصهل مثل فرس فى الريح ، وكلما أدركها النعاس فى تجوالها ، عادت إلى الضريح كما أن عائشة تبدو وكأنها الموئل الأخير للشاعر يلوذ به من الحرقة والعذاب والألم الذى يكابده ، وذلك على نحو ما نجد فى قصيدة « الطلسم » حيث يبدأ الشاعر بقوله :

أحرقنى برق العشق ، صغيرا
أحرقنى الصمت / الطلسم / السحر .

ثم يتوجه إليها فى آخر بيت وكأنه يستنجد بها من كل ما يعانيه فيخاطبها قائلا : فبماذا تأمرنى ، سيدتى ، الآن ؟

وقد أبرز الأستاذ خلدون الشمعة فى مقال له تحت عنوان « قناع عائشة » وجود تطابق بين قناع عائشة وقناع المرأة الفتاكة التى تمثل نمطا من النساء أولع به الرومانسيون وهاموا به ونفخوا فيه من روح العنقاء بعد أن استجلبوه من الميثولوجيا والأدب بصفته انعكاسا إبداعيا لنواح متعددة من الحياة الواقعية . وهذه الصورة تتبدى فى الديوان فى قصيدتين متصلة كل منهما بالأخرى اتصالا وثيقا هما « من أوراق عائشة » و « ورقة أخرى » والقصيدتان مكتوبتان فى يوم واحد (٢٣ / ١١ / ١٩٨٧) لكن يفصل بينهما فى الديوان أربع قصائد

يقول مطلع القصيدة الأولى :
قالت : سأقتله
وأحمل رأسه لقبيلتى
صنما لتعبده
وتحرقه ، إذا اقتتلتْ
وفى الصحراء أبنى معبدا للحب
يحمل إسمه
يقول مطلع القصيدة الثانية :
قالت : سأشنقه
بلَيْل ضفائرى
مهما أطلت الإنتظار
وأعيده حجرا على درب القوافِل
سِدْرة / شيحا وقيصوما
وزهرة جُلّنار ..

إن عائشة هنا ــ كما يقول الأستاذ الشمعة ــ تشبه كليوباترا التى تجر أبطالا من أزمان وبلدان متعددة مكبلين إلى عربتها الذهبية بالسلاسل . وكل هذه الصور التى أوردنا بعضها تقدم غابة من الرموز والإشارات والدلالات يتلاقى فيها الواقع مع السحر مع الأسطورة مع التاريخ مع طموحات الإنسان وحلمه بإقامة يوطوبيا أرضية يعيش فيها البشر فى سعادة ووئام ومحبة ، لقد صارت عائشة البياتى مثل قلب الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى الذى يقول فى أبيات مشهورة :

لقد صار قلبى قابلا كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
والواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه فالحب دينى وإيمانى

وكل هذا نابع من فكرة وحدة الوجود عند كل من هذين الشاعرين الكبيرين يقول البياتى : « طبعا الشاعر يحس بوحدة الوجود ، ربما أكثر من الفيلسوف أو غيره ، لأن طبيعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العمل الشعرى أو الخلق الشعرى بالأصح قائمة على هذه الوحدة . فمكونات القصيدة وجزئياتها قائمة على عناصر متنافرة وبعيدة بعضها عن بعض فى الزمان والمكان ، ولكنها عندما تدخل فى جسد القصيدة تكوّن وحدة عضوية فجدلية الامتداد والإحساس بها من خلال الكتابة والعمل الإبداعى هى التى تقود إلى هذا الشعور ، كما تقود معاناة المتصوف إلى الشعور بها أيضا . فالتجربة الشعرية تعتمد أولا على الحدس الباطن ، وعلى الخيال ، والموهبة ، والثقافة ، والتمكن من الأدوات الفنية ، وهذه كلها أدوات استشعار تقود إلى الشعور والإحساس بشكل عميق بوحدة الوجود »[١٨]

وهكذا يظل البياتى دائما متوهجا ، يفتح الأبواب ويمهد الطرق ، ويغرس فى أدبنا المعاصر عاما بعد عام ومرحلة بعد مرحلة غراسا ناضرا ، ويتقدم الصفوف حاملا راية هذا الأدب إلى كل البلدان وإلى القراء فى كل مكان .

المقطوعة / المرآة

يشتمل ديوان « بستان عائشة » أيضا على عدد من المقطوعات يمكن أن نطلق عليها اسم « القصيدة / المرآة » ، وهى ثمانى قصائد موجهة جميعها إلى بعض الأشخاص مثل خورخى لويس بورخيس ، وبثنية الكساندرة ، ونجيب محفوظ ، ويلماز غونيه ، وأوكتافيوباث ، وأسماء البياتى .. وهذه القصائد تبدو وكأنها مرآة تعكس طبيعة الشخصية الموجهة إليها وتوجهاتها . فقصيدة « إلى نجيب محفوظ » تقول :

ثرثرة فوق النيل ؟
أم وجع القلب الإنسانى المخذول ؟
وهزيمة جيل ؟
أم نار أطفأها فى العوامة
أمر يحتمل التأويل ؟

وقد كُتبت هذه القصيدة عام ١٩٨٤ ، أى قبل أن تنشر أوراق نجيب محفوظ الشخصية التى كان قد أرسلها الى صديقه الدكتور رجب أدهم فى الأربعينيات (نشرت هذه الأوراق فى مجلة اكتوبر بعد حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل عام ١٩٨٨) .

وفى قصيدة « إلى أوكتافيوباث » نقرأ :

قلت لشمس الله أن تشرق فى الميعاد
قلت لها : شردنى فى هذه الديار :
الله والقيثار
لكنها غابت
ولم تشرق على منازل الشاعر فى الميعاد

ويبدو لى أن الشاعر عبد الوهاب البياتى يضع فى هذه المقطوعة القصيرة ومضتين أولاهما تمثل اعترافا بعظمة هذا الشاعر المكسيكى الكبير ، والثانية تدل على الوضع السيىء فى المكسيك فبالرغم من عظمة هذه البلاد وظهور عدد من كبار كتاب العالم ومثقفيه وشعرائه فيها خلال هذا القرن العشرين مثل أوكتافيو باث وخوان رولف ، وكارلوس فوينتيس وسواهم فإن الأوضاع فيها بائسة بشكل يدعو إلى الأسى . ومعروف أن البياتى قد زار هذه البلاد فى أوائل الثمانينات والتقى هنا بعدد كبير من كتاب وشعراء أمريكا اللاتينية مثل جارثيا ماركيز وإرنستو كاردينال وسواهما ، ويبدو أنه قد تاه فى هذه البلاد بحثا عن الله والقيثار ومنازل الشمس لكن هذه الشمس غابت ولم تشرق على منازل الشاعر فى المياعاد .

أما القصيدة الموجهة إلى الكاتب التركى الكبير يشار كمال ، الذى التقى به البياتى خلال إحدى الزيارات للولايات المتحدة الأمريكية فى عقد السبعينيات فتعكس هى الأخرى وضع كاتب عالمى ترجمت أعماله إلى معظم لغات العالم ، ونال شهرة كبيرة لكن هناك مجموعة من الأقزام يحاولون النيل منه وكان البياتى بذلك ، يعبر عن نفسه هو أيضا . تقول القصيدة :

مخترقا جدران الغرف الصماء
ولغات شعوب القارات
مصهورا بالنار
والألم الخلاّق
يتحدى الرمم الصلعاء
وصغار الكتاب
أشعل باسم الإنسان المفعم موتا
ثورة إبداع فى الإبداع

ولعل من أهم هذه المقطوعات المرايا تلك المقطوعة الموجهة إلى « أسماء » البياتى ، ابنة الشاعر . فهى تتميز بقوة العاطفة وتدفقها ، وتكثيف الرؤيا ، وتباينها ، وتطورها من مرحلة إلى مرحلة ، ثم إنها تكاد تشتمل على كل العناصر الإبداعية المعروفة فى شعر البياتى . إنها قصيدة أو جزء يشير إلى الكل . فأسماء ترسم وجه ملاك لم يولد بعد ، قديسا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتعبد ، بدويا بربابته يبكى هندا أو دعدا ، تفجيرا نوويا ، حرب عصابات إضرابا بالقوة يمنع .. إنها كل هذه الأشياء التى تحدث كل يوم فى العالم ، ثم هى فى النهاية خيط دخان يتلوى /رؤيا إنسان يتمرد /ترسم قصر الحمراء بلون الشفق الدامى /والأسود والأبيض . إنها إذن نموذج لوحدة الوجود ، أو كما يقال الكل فى واحد .

قصائد المدينة

المدينة عند البياتى أيضا لها صور متعددة ؛ فهناك مدن تولد فى « المابين » أى ما بين ماضيها وحاضرها فى قصيدة « النور يأتى من غرناطة » التى تعود إلى فترة السبعينيات . فهى — كما يقول البياتى — لا تتحدث عن غرناطة التى سقطت على أيدى الملكيين الكاثوليكيين ، ولا تتحدث عن غرناطة اليتيمة البائسة الآن ، بل تتحدث عن غرناطة التى ولدت فى المابين ولكنها ماتت من جديد قبل أن يقوم لها قائمة لأن الظروف الموضوعية والتاريخية لم تتهيأ لولادتها لكى تصبح مدينة من مدن الحرية(١٩)

وهذه الرؤية للمدينة عند البياتى مرتبطة بمسألة أخرى هى الولادة المستمرة أو الموت والميلاد ، على نحو ما نقرأ فى قصيدة « الولادة فى مدن لم تولد » حيث يدفن البياتى حبه فى غرناطة وهو مكسور القلب يموت ، ويقول « لا غالب إلا الحب » ، لكنه ينهض من بعد الموت ليولد فى مدن لم تولد ويموت . وهكذا موت أبدى وولادة أبدية .

وهذه الرؤية ترد فى مقطوعة أخرى هى قصيدة « الولادة » التى يقول فيها :

الإبداع هو الحب
والحب هو الموت
والإبداع /الحب /الموت : ولادةْ
فلماذا مات ، إذن ، نيرودا /حكمتْ ؟
ولماذا آخر وردةْ
فى شرفة بيتى احترقت ؟
ولماذا نجمة حبّى أفلت ؟

ولكن هذا الاحتراق وهذا الأفول هو الآخر مقدمة لبعث جديد وولادة جديدة مثلما ينهض طائر العنقاء من بين الرماد .

وفى عالم البياتى الشعرى نعثر على ما يسمى بمدن الخوف أو مدن الضرورة أو مدن الصفيح والأسمنت .. كما فى قصيدة « مدن الخوف »

مدن تعيش على الإشاعات/الأكاذيب/الأقاويل/الخواء
وعلى دم الإنسان والحق المضاعْ
وتنام فى خوف على باب الطواغيت الصغارْ
وبعضْوِها /المذياع /تفتح ما تشاء

إنها مدن تقتل الإنسان وتمص دمه ، ويتحكم فيها طواغيت يظنون أنفسهم ويظنهم الناس كبارا بينما هم فى حقيقة أمرهم صغار .

واستكمالا لهذه الصورة نجد مدنا أخرى تموت بالطاعون ، وأخرى يضربها الزلزال ، ومدنا تعانى من المجاعات والحروب ، لكن فيها طواويس تنتفش بلا خجل وتظهر عوراتها للناس . إنها مدن أوقعتها الظروف فى يد طواغيت صغار لعبوا بعقول أهلها وسخروا كل شىء لأمجادهم الشخصية الزائفة .

ومثلما وضع البياتى « صورة جانبية لعائشة » وضع أيضا « صورة جانبية لمدينة ما » ولكن هناك فرقا كبيرا بين الصورة الجانبية لعائشة والصورة الجانبية للمدينة ؛ فالأولى فيها وجه ملائكى يتخفى خلف قناع الأنثى ، وفيها معبد للحب المقدس ، وعناق طيب وفراشة ترف بصيف الطفولة ، وضفائر معقودة ، وحنان ، ومدائن صالح وحدائق الليمون فى أعلى الفرات .. ، بينما الصورة الجانبية للمدينة لا نعثر فيها إلا على مقبرة تعلوها مقبرة ، وعلى الشحاذين وأهل اليسر البخلاء ، ولهاث الموتى ، وسعال شتاء السنوات . ونهاية الشاعر فى مثل تلك المدينة هى أن تنحر آلهة الشعر ، ويموت الشاعر نفسه فى حانوت الخمار . إنها إذن مدينة الضرورة والألم والزور والبهتان ، فى مقابل هذا البستان الناضر لعائشة التى تبدأ حدوده من « مدائن صالح » إلى أعلى الفرات فى الخابور .

وليست كل المدن بهذه الصورة ، وإنما هناك مدن تتمثل فيها غريزة المقاومة ، والانتصار على جحافل الغزاة واللصوص . وهذه تدلنا على صورة أخرى من صور رؤية البياتى للمدينة الفاضلة : إنها المدينة التى تقاوم الغزو والهدم والموت . وقد وضع البياتى الصورة المثالية لمثل هذه المدينة فى قصيدة « المغول » فبدأ بوصف هؤلاء وما أحدثوه من دمار وخراب فى أى مكان مروا به :

عيونهم خرزٌ ملونة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بأعناق السهوب :
مجاعة /برق /بكاء الأرض
ولكن النهاية جاءت على هذا النحو العظيم :

وعلى رماد حرائق المدن
التى نزفت دماً
هزم المغول

لقد بعثت إذن هذه المدن التى خرَّبها المغول ونهضت من بين الرماد إنها مدن لم تسقط ، وإنما ظلت تقاوم الموت والدمار والخراب حتى استطاعت أن تنهض ، وأن تهزم المغول .

وهناك مدن يقوم بينها وبين الشاعر ارتباط حميم ، نلحظ ذلك فى قصيدتى « بغداد » و « البصرة » ذلك أن بغداد سوف تبقى شمسا تتوهج ، ونبعا يتجدد ونارا أزلية ، ورؤيا كونية ، كل ذلك لارتباطها بطفولة شاعر هو البياتى نفسه ، الذى حملها على عاتقه من منفى لمنفى ، وعبر بها مسافات وأجواء كونية واسطورية محلقا فى سماوات الشعر ، باحثا عن كل ما يثير الدهشة ، ويفتح آفاق المجهول . وهذه الصورة الكونية الجديدة لبغداد تتناقض مع صورتها الواقعية التى عاينها الشاعر فى طفولته ، يقول فى أول صفحة من كتابه « تجربتى الشعرية » : « كنت قادما من الريف ، حيث عشت فيه ، وعائدا اليه ، وقادما منه ، حتى عام ١٩٤٤ وهو عام دخولى دار المعلمين العليا (فى بغداد) وكانت الصدمة الأولى حينما اكتشفت حقيقة المدينة . كانت مدينة مزيفة ، قامت بالصدفة ، وفرضت علينا . لم تكن تملك من حقيقة المدينة اكثر من تشبهها ببهلوان أو مهرج يلصق فى ملابسه كل لون أو اية قطعة يصادفها . أما أعماق المدينة الحقيقية التى عاشت قرونا عديدة على ضفاف « دجلة » وولدت وعاصرت حضارات عظيمة ، فقد شعرت بأنها ماتت واختفت إلى الأبد . ولم اكن أرجو لها العودة ، وإنما رجوت لها امتدادا كامتداد النهر الذى ينبع ويجرى إلى البحر الكبير يعانقه ويذوب فيه »

ويبدو أن البياتى قد أحس بأن هذا الامتداد قد تحقق بالفعل ، ومن ثم رأى ما رآه أخيرا عن بغداد من أنها ستبقى شمسا تتوهج ونبعا يتجدد ..

أما مدينة البصرة فترتبط بالبطولة والفداء ومقاومة الغزاة ، وأنها مدينة العلماء والشعراء ، وأنها تمثل هذا الامتداد الكبير إلى البحر وترتبط بعالم الشاعر الواسع :

خصلات شعرك فى مرايا البحرِ :
نافذة وعصفور يطيرُ
ووردتان
وأنا المسافر فى الزمان وفى المكانِ
وفى مَنافى الأبجدية والعروض
لغتى بضوئك أورقت
صارت قناديل المحبّةِ
أزهرت
صارت منازل للقلوبْ
صار الزمان حديقةً
والبحر مرآة الحديقة والزمانْ

وهكذا تتعدد صور المدينة وتتلاقى أو تتناقض مع تعدد صور عائشة ومن هذا التلاقى أو التضاد يصنع البياتى عالمه الشعرى الشديد الثراء والخصب .

الدينونة وبانوراما أصيلة

هما قصيدتان تردان فى نهاية الديوان ، أولاهما كتبت فى ٦ يناير عام ١٩٨٥ ، والثانية فى ٦ سبتمبر من العام نفسه . وتنسب هاتان القصيدتان إلى نوع من القصائد قطع فيه البياتى من قبل أشواطا طويلة هو القصيدة المكونة من عدد من المقطوعات أو عدد من القصائد مثل قصيدة « عذاب الحلاج » و « محنة أبى العلاء » و « مرثية إلى مهرج » فى ديوان « سفر الفقر والثورة » ، وغير ذلك من قصائد كثيرة وردت فى ذلك الديوان نفسه أو فى الدواوين التالية .

وتتكون قصيدة الدينونة من خمْس مقطوعات تحمل كل منها عنوانا مستقلا وهى « سوق الوراقين » و « النار » و « بائع الحب » ، و « الشهداء » و« راكب الموجة » والموضوع الرئيسى فيها هو الشاعر بنوعيه عند البياتى وهما : الشاعر الطاووس المخنث ، والشاعر المتمرد المقاتل ، أو بائع الحب والأكاذيب وشهيد الكلمة .

فالقصيدة الأولى أو المقطوعة الأولى تربط بين الدلال والنخاس والشاعر المأجور فى سوق الوراقين . ومثلما كانت المرأة تباع وتشترى قديما فى سوق النخاسة تباع الآن وتشرى عارية وممتهنة تماما على اغلفة المجلات الجنسية وفى أماكن البغاء المخصصة لذلك فى كل المجتمعات الغربية التى أخذت فيها النخاسة صورا أبشع بكثير مما كانت قديما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يكاد يختلف عالم الشاعر الطاووس المخنث عن هذا العالم الغربى الذى أصبح فيه الحب سلعة وبضاعة .

لكن الشاعر المقاتل واقف بالمرصاد لهؤلاء الداعرين يكافح فى سبيل الحب الإنسانى الحقيقى ، ومن أجل شرف الإنسان وكرامته ، ولا يستكثر الشهادة فى سبيل مبادئه العليا وأفكاره السامية .

ونعود مرة أخرى لهذه الثنائية فى المقطوعتين الثالثة والرابعة فنرى أيضا بائع الحب والأكاذيب والمخنثين الذين صاروا شعراء على أرصفة التاريخ . ثم نرى شهداء الكلمة الذين حملوا أكفانهم واحترقوا بها عند شطآن العصور المظلمة .

ويأتى المقطع الخامس والأخير تحت عنوان « راكب الموجة » لنجد أنفسنا مرة أخرى أمام هذا الشاعر الطاووس الذى يخون الكلمات ومعانى الكلمات ، ويخون الشعراء الحقيقين ليركب موجة الشعر ، لكنه لا يستطيع السيطرة على هذه الموجة القوية فيغرق ، وتكون هذه نهاية طبيعية لأمثال هؤلاء المزيفين الذين يستمرئون الخيانات من أجل الوصول إلى شهرة زائفة أو كسب مواقع انتهازية .

وهكذا نجد القصيدة تشتمل على جدلية بين الموضوع ونقيض الموضوع يمتد فيها الصراع حتى النهاية التى نصل فيها إلى المركب منهما ، ويكون هذا المركب انتصارا للحق على الباطل وللحقيقة على التزييف ، وهنا تكون الدينونة هى المصير النهائى الذى يظهر فيه الحق أبلج ناصعا وينهزم الباطل حسيرا متصدعا .

وليست هذه هى القصيدة الوحيدة فى الديوان التى تتبلور فيها هذه الثنائية بل هناك قصائد أخرى تقدم هذه الصورة أو تلك للشاعر مثل « سور الصين » و « الولاية » « ومملكة الشاعر » التى نعثر فيها على صورة الشاعر المتمرد المقاتل ومملكته التى يحاصرها الأعداء ، ويدخلونها ، وينصبون مشنقة فى ساحتها .. لكن نصالهم تتكسر فوق جدار سره الدفين ، ويظل على صليبه معلقا تضيئه البروق فى ليل المنافى مثل سور الصين .

ونجد أيضا قصيدة « الحلزون » التى تقول :

رجل تسلح بالنبوءة واللهيبْ
أسرى بنار الرافضين
ومات فى المنفى وحيدْ
كلماته اخترقت جدار الصمتِ
ذوبَت الجليدْ
فلمَن ؟ وماذا سوف نكتب عنه ؟
ياحلزون ذاكرة المغنى والشهيدْ .

وقصيدة « المكتشفون » التى تربط بين مكابدات الشاعر ومكابدات المتصوف وقصيدتى « التجلى المقدس » و « الشاعر » اللتين تنحوان نفس هذا المنحى .

أما الصورة الأخرى المناقضة فلا تظهر إلا عرضا فى بعض الأبيات من بعض القصائد مثلما نرى فى قصيدة « نار الشعر »

قال مخنث بابل : « أنت الآن
مأسورٌ ، باسم الشعراء الخصيان »

ثم تظهر بصورة كاملة فى قصيدة « الدينونة » على نحو ما فصلنا من قبل وهكذا نجد ديوان « بستان عائشة » يشتمل على جملة من الصور كما رأينا بالنسبة لعائشة أو للمدينة ، ويشتمل على جملة من الثنائيات التى اشتهر بها عالم البياتى الشعرى مثل مدينة النور ومدينة الدخان ، والشاعر المقاتل والشاعر الطاووس المخنث .

أما قصيدة « بانوراما أصيلة » فتشتمل على سبع قصائد أو مقطوعات هى : إلى رافع الناصرى ، والعاشق ، ونار من داغستان ، وناظم حكمت كان هناك ، والموت فى الشعر ، وإلى محمود الراشد ، والهجرة من الذات . وكما نرى فإن هذه العناوين تمضى من « القصيدة / المرآة » الموجهة إلى أشخاص ، إلى القصيدة الواقعية / الميتافيزيقية مثلما نرى فى مقطوعة العاشق ، حيث تصبح أصيلة فى العالم اللدنى هى وحدها مخلوقة اليوم السادس :

فى اليوم السادس
لبست ثوب العرس « أصيلة »

ونجد القصيدة التى تحمل صورة من صور عائشة مثل مقطوعة « نار من داغستان » حيث جاءت راقصة من أرض السحر الأسود ، تشعل نارا ، فى أرض السحر المشهود .. وبهذا يكون البياتى قد ربط بين عالم عائشة الأسطورى ، وعالم أصيلة الواقع أو المشهود

ثم نعثر هنا أيضا على صورة أخرى من صور عائشة فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقطوعة « ناظم حكمت كان هناك » حيث تصبح عائشة محبوبته أيضا مثلما كانت محبوبة الخيام ، وهى هنا تقدم لضيفه ــ البياتى نفسه ــ واجب الضيافة على نحو ما نقرأ فى الأبيات التالية

كان معى ، يتأمل وجها وقناعا
لفتاة فى العشرين
طارت كالنحلة واحترقت
فى نار خريف البشر الفانين
أتذكره وهو يقول ، بحزن الرائين
سلطانة حبى
صبى الخمر لضيف ، لم يسعد
فى حلب أو برلين

ثم نعثر مرة أخرى على صورة أخرى من صور عائشة ، تتمثل فى لارا ويتساءل الشاعر : من هى لارا؟ هل هى عائشة ؟ أم هى هذا الأفق الموصود ؟ وتكون الإجابة : « هى الحب الضائع والزمن المفقود ، وإذا شئت مزيدا ، فهلمى فى البحر نغوص » . إنها إذن عائشة القادمة من غابر الأزمان ، السائرة فى زمن أبدى ، المتعينة فى كل صورة .

وفى المقطوعة الأخيرة « الهجرة من الذات » يتخطى الشاعر كل الموانع الطبيعية ، ويدور وحيدا فى فلك الإيقاع ، متحدا فى موسيقى الكون ونبض القلب الملتاع . وتنتهى القصيدة بانتصار الإبداع وقيام مدن ، بشروط الفن ، يكافح فيها الشعراء من أجل خلاص الإنسان .

وبهذا نجد كيف جاء هذا الديوان « بستان عائشة » معبرا عن عالم الشاعر الملىء بالرؤى العميقة ، والمشاعر الإنسانية النابضة ، وكيف أصبح هذا الديوان مثالا لدينامية البياتى ، الذى لا يتوقف أبدا عند مرحلة بعينها ، وإنما يواصل الفتح والاكتشاف والتطلع إلى عالم أرحب وأكثر عمقا وإبهارا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هوامش

١) انظر كتابنا « رائد الشعر الإسبانى الحديث خوان رامون خمينيث ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

٢) انظر كارمن رويث برافو فى تقديمها لترجمة مسرحية « محاكمة فى نيسابور » إلى اللغة الإسبانية .

٣) فيديريكو اربوس ايوسو ، مفهوم مختلف للقصيدة فى شعر عبد الوهاب البياتى مجلة الشعر ، القاهرة ، العدد ٥٤ أبريل ١٩٨٩ ص ٥٦ ترجمة كاتب هذه السطور .

٤) عبد الوهاب البياتى ، تجربتى الشعرية فى المجلد الثانى من الأعمال الكاملة ، دار العودة بيروت ١٩٧٢ ، ص ١١ . وهذه هى الطبعة التى سنشير اليها عند ذكر هذا الكتاب

٥) فيديريكو أربوس ، المصدر السابق ، ص ٥٥

٦) عبد الوهاب البياتى ، تجربتى الشعرية ، ص ٣٥

٧) المرجع السابق ، ص ٣٦

٨) د . عز الدين إسماعيل النار والكلمات ، فى كتاب « مأساة الإنسان المعاصر فى شعر عبد الوهاب البياتى الدار المصرية للطةاعة والنشر والتوزيع . ١٩٦٦ ، ص ١٧٦ .

٩) د . صبرى حافظ ، رحلة البياتى مع النار والكلمات ، ضمن الكتاب السابق ، ص ١٣٥

١٠) من أمثلة هذه التوقيعات ما كتبه أحد الخلفاء إلى أحد ولاته : كثر شاكوك وقل شاكروك فإما اعتدلت وإما اعتزلت . أو ماوقع به أحد الخلفاء عندما أرسلت إليه مظلمة بكلمة واحدة تقول « كفيت » .

١١) آثرنا أن نكتب القصيدة بهذه الطريقة : أبيات متتابعة يفصل بين كل منها شرطة مائلة ، ومن يريد القصيدة كما هى مكتوبة فى الديوان فليرجع إليه إن شاء .

١٢) د . صبرى حافظ ، المقال المذكور ، ص ١٣٤ .

١٣) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

١٤) السطور الأخيرة ماخوذة من كلام الشاعر نفسه فى حوار طويل مع كاتب هذه السطور تحت عنوان « عبد الوهاب البياتى — القيثارة والذاكرة » ، ص ١٧٢ من المخطوط

١٥) المصدر السابق ، ص ١٧٢ من المخطوط

١٦) طه جزاع ، حوار مع الشاعر عبد الوهاب البياتى منشور بجريدة « الثورة » العراقية فى ١٢/٧/١٩٨٩ .

١٧) خلدون الشمعة ، « قناع عائشة » جريدة الأهرام الدولى ، فى ٦ فبراير ١٩٨٩ .

١٨) « عبد الوهاب البياتى — القيثارة والذاكرة » ص ١١٣ من المخطوط

١٩) المصدر السابق ، ص ١٧٠ من المخطوط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسئلة الثقافة
اسئلة القصيدة
فى زمن المأساة الملهاة *

اعتدال عثمان

إن الثقافة فى نظرى هى الإطار الفكرى لعملية الإدارك الجماعى ، بمعنى أنها مجموع القيم الأخلاقية والمعرفية والجمالية التى تحدد ذلك الإطار ، الذى يستقبل الأفراد الحياة من خلاله ، فالثقافة إذن هى المولد لصيغة حياة داخل مجتمع ما ، ومن ثم فإن الثقافة تشتمل على الإنتاج الفكرى والأدبى والفنى والعلمى ، كما تشتمل على تجليات العمارة ، والإبداع الموسيقى ، وأشكال الفنون الشعبية ، وأسلوب الحياة والممارسات اليومية .

وبهذا المعنى فإن الثقافة هى المجال الذى يحول الآنى العابر إلى نظام يتسم بالتماسك من ناحية ، كما يتسم بقابلية التفاعل الداخلى والخارجى فى آن واحد .

إن التماسك فى نظام الثقافة يدل على الخصائص العامة المتوازنة لأمة ما ، لكن كل ثقافة ترتبط بشروط معينة ، وبعلائق سياسية واجتماعية وتاريخية متغيرة ، ومن ثم فلابد أن تكون خاضعة للتفاعل الداخلى بين تجلياتها وصيغها — بدرجات متفاوتة — من حيث الاستجابة لتلك المتغيرات . وتحقق الثقافة درجة نجاح عالية إذا توصلت إلى رؤية متكاملة بين عناصرها الموروثة والراهنة . كما أن الثقافة الحية معرضة أيضا للتفاعل مع الخارج عن طريق إقامة الحوار مع ثقافات أخرى ، فلا مفر من التأثر بالتغييرات الجذرية الحادثة على مستوى العالم مثل تحولات الاقتصاد والأيديولوجيات والتحالفات العالمية ، فضلا عن الثورة التكنولوجية والعلمية .

فالثقافة وإن ارتبطت بالهوية القومية ، والخصوصية الحضارية والصورة التى يكونها المجتمع لنفسه ، فإنها ترتبط أيضا بتحديد دور هذا المجتمع فى السياق العالمى . وهو أمر منوط بمثقفى الأمة العربية ودرجة وعيهم بالأنساق المشكلة للثقافة العالمية المعاصرة . ومدى قدرتهم على الحضور الإبداعى والمشاركة الحضارية بشروط العصر .

أصل الآن ، بعد ذلك التحليق النظرى — الذى يكاد يكون مستهلكا من كثرة ما تكرر — إلى أرض الواقع ، إلى أسئلة الثقافة العربية .

لاشك أن الثقافة العربية قد طرحت أسئلتها الدالة على التفاعل الداخلى بين مكونات الذات الحضارية العربية من ناحية وتفاعلها الخارجى مع الآخر/العالم من ناحية ثانية .

ولكن هل يدل مجرد طرح الأسئلة على أن هناك رؤية متكاملة أو حتى متصارعة ، آخذة فى التبلور داخل الذات الحضارية وبينها والعالم ؟

وهل توصلنا إلى صيغة ناجحة فى مواجهة التحديات التى تواجهنا ؟

إن المتابع لحركتنا الثقافية يجد أننا على امتداد قرن من

* ألقى هذا البحث فى مهرجان جرش للثقافة والفنون بالأردن (١١ — ٢٧ يوليو ١٩٩٠) والاشارة إلى زمن المأساة الملهاة تحيل إلى قصيدة محمود درويش « مأساة النرجس وملهاة الفضة » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزمان نبدأ ونعيد أسئلة النهضة غير أن محاولاتنا تعود دائما إلى نقطة البداية وتفضى إلى تكرار الأسئلة ذاتها .

وعلى صعيد الشعر تلتقط القصيدة الحديثة هذه الحقيقة وإن ارتبطت بقضية أساسية هى القضية الفلسطينية . يقول محمود درويش فى قصيدة « مأساة النرجس وملهاة الفضة »

كلما قالوا وصلنا .. خر أوَّلُهُم على قوس
البداية . أيها البطل ابتعد عنا لنمشى
فيك نحو نهاية أخرى ، فتباً للبداية . أيها
البطل المضرج بالبدايات الطويلة قل لنا :
كم مرة ستكون رحلتنا البداية ؟

لقد أصبحت حركات النهضة العربية الحديثة أشبه ما تكون بدوائر متجاورة ــ متقاطعة فى أحسن الظروف ــ لا تؤدى إلى تراكم ونقلة كيفية ، تقوم على التركيب والجمع بين الصيغ التجزيئية المنفصلة فى صيغة مركبة ، تشتمل على التعدد والفاعلية فى الوقت نفسه .

مازلنا منذ ما يزيد على قرن نطرح أسئلة الأصالة والمعاصرة الموروث والمكتسب ، القديم والجديد ، العلم والدين ، الهوية والتحديث بل إننا أحيانا نرتد إلى مواقع فكرية تخطيناها فى مراحل سابقة .

لقد طرحنا أسئلة الغزو الثقافى من قبل وانقسم الفكر العربى يقيم دوائره المستعصية ، دائرة للأصالة ، يقف على بابها حراس متشددون، ودائرة للحداثة لها حراس ليسوا أقل تشددا ، وبينهما دوائر تأخذ بأمشاج من هنا وهناك بغير أساس فلسفى واضح وراسخ ، مستمد من التصاق حميم بالأسئلة الجوهرية لواقعنا العربى،صحيح أن العقل العربى ينشط الآن فى مواجهة الغزو الثقافى ، وفى مواجهة تغييب الذات داخل دوائر الاستلاب ، فيقترح مثلا التعامل النقدى مع البنيات التراثية فى جانب ، والبنيات المشكلة للفكر العالمى فى الجانب الآخر .

ويقتضى مثل ذلك التعامل النقدى أن يتصدر العقل العربى ، مستقلا عن سلطة النموذجين ، التراثى والغربى اللذين يتجاذبناه ومحركا لجدلية التواصل والتغيير فى آن واحد .

ويؤدى ذلك الوعى النقدى أيضا إلى إبراز دور الإنسان العربى المبدع ، المدافع عن حريته وحرية الآخرين ، وحق احترام العقل فى مواجهة البنيات الفكرية الكلية المغيبة لذات الفرد ولعقله ودوره الفعال على المستوى الداخلى .

ويتواكب هذا التوجه مع نقد البنيات الكلية على المستوى العالمى من أجل الهدف نفسه ، أى إعادة الاعتبار للذات وللإنسان.ويمثل ذلك الهدف أهم الإشكاليات التى تواجهها الثقافة العالمية خلال الحب الأخيرة من هذا القرن .

لقد أكدت الدراسات الحديثة فى مجال العلوم الإنسانية أن الفرد قد أصبح مغيبا ومسيرا من خلال بنيات تلغى ذاته و إرادته مثل بنية اللاوعى لدى فرويد ، وبنية الاقتصاد لدى ماركس ، وبنية اللغة لدى سوسير وجاكبسون ، وبنية القرابة لدى ليفى شتروس ، وآليات السلطة لدى ميشيل فوكو وغير ذلك .

وإذا كان العقل العربى يُقْدم الآن على إعادة قراءة التاريخ وتفكيك البنيات الفكرية الداخلية ، المشكلة للاشعور الجمعى ، أو « المخيال الاجتماعى » فلعلنا نكون بازاء طرح جديد للأسئلة الجوهرية فى ثقافتنا العربية الراهنة ، يؤدى إلى تراكم ويفضى هذه المرة إلى إعادة تركيب البنيات الفكرية على أساس عصرى ، لا رجعة فيه .

إن ما يفسح مجالا لرؤية غير متشائمة لواقعنا الثقافى أن نجد جهودا هنا وهناك تسعى إلى إعطاء الأولوية للذات العربية لتفصح عن حقيقة تفكيرها ، وعن المكبوت فى تراثها ولتفجر طاقاتها الإبداعية ، وتمارس حقها فى التعبير والنقد ، وإعادة التأويل وإعادة التركيب ، والمشاركة فى تحولات العصر .

وإذا كان المعبر عنه فكريا يمثل ركنا أساسيا من أركان الثقافة العربية ، ويعد رابطة العقل الوثقى بين المعيش والمأمول ، فإن الفن ، والشعر خصوصا ، هو التجلى الأسمى للإبداع الفردى ، المعبر عن الوجدان الجمعى واللاشعور الجمعى ، فى صورته الجامعة للفكر والخيال ، للواقع والحلم والوعى والإرادة معا .

والشعر هو ذلك الكلام المخصوص الذى يخرج من رحم اللغة حاملا خصائصها الوراثية الممتزجة بتغيرات تحدث على امتداد الشريط الوراثى ، نتيجة تفاعل جيناته المنحدرة من أصول قديمة وأخرى حديثة .

والقصيدة العربية الحديثة تمثل لا شك إحدى ذرى البنية الثقافية الراهنة حين يمتلك ناصيتها شاعر موهوب يتميز بوعى وإرادة وقدرة على طرح الأسئلة .

وفى هذا المقام إذ نناقش أسئلة القصيدة الحديثة وعلاقتها بأسئلة الثقافة فلابد أن تبادرنا القصيدة الفلسطينية بوصفها نموذجا معبرا عن واقع فعلى ومحنة مستمرة ، تمثل أخطر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التحديات ، ليس بالنسبة للثقافة العربية فحسب ، بل للوجود العربى ذاته .

إن القصيدة الفلسطينية تجسد جرحا غائرا ونازفا ما زال فى الضمير العربى وفى الذاكرة العربية ، ومن ثم فإن الأسئلة التى تطرحها نماذجها الباهرة ، تمس وجودنا فى الصميم .

فى قصيدة محمود درويش « مأساة النرجس وملهاة الفضة » يطرح الشاعر أسئلته الجوهرية على التاريخ ، وعلى الزمن العربى وعلى الذات الحضارية العربية ، بروافدها ، المتعددة ، وعلى البنيات الفكرية المشكلة لهذه الذات . ويتم طرح تلك الأسئلة كلها من خلال الذات الفلسطينية الجماعية .

وإذا كان العقل يقدم على إعادة قراءة التاريخ فى تسلسله التعاقبى ، فإن قراءة شعرية لهذا التاريخ ذاته ، لابد أن تختلف وإن توحد الهدف فى النهاية ، وهو بناء الذاكرة العربية على أساس يلبى احتياجاتنا الراهنة والمستقبلية .

إن طموح القصيدة يمتد من نقطة غير مرئية فى المستقبل ، حيث تتحقق العودة إلى الوطن المحتل ؛ رجوعا إلى بدء الخليقة عبر أزمنة تاريخية متعددة ، تختزل الأبد فى لحظات تسع الزمان لتصل الذات الفلسطينية فى النهاية إلى زمن العودة ، واستعادة ذكريات المنفى . لكن لابد لهذه الذات أن تحترق بالمنفى وبالشهادة ، وتُقدم آيات البطولة عندئذ تبيض لألأ الذكرى ، كينونة جديدة ، مخصبةً بالمعرفة .

وتتكون الأزمنة التاريخية فى القصيدة من مستويات عدة تمثل محورا متقطعا ومخترقا بزمن العودة المستقبلى أحيانا ، وبزمن المنفى الراهن فى أحيان أخرى ، فضلا عن زمن آخر يمثل زمن الفرد الشاعر ، وقد توحد بأزمنة الجماعة فى الحاضر والمستقبل ، معبرا عن حلمها ، وإن تفرد بالقدرة على صياغة النشيد أو القصيدة .

وإذا تصورنا المحور السردى يمتد أفقيا مستدعيا أزمنة تاريخية وأسطورية متباينة ، متعاقبة أو غير متعاقبة،تمثل زمن العالم أو سيرة الإنسان أو التاريخ ، أو الذاكرة فى حالتها الأولى فإن زمن الفرد المنشد ــ الذى يعيد بناء الذاكرة فى قصيدة شعر متوحدا بالجماعة ــ يشكل محورا عموديا للزمن يخترق المحور الأول السردى .

إن الشاعر يختار من بين أحداث التاريخ الممتد من آدم وزمن الأنبياء ومرورا بالغزاة الذين تعاقبوا من تتار وهكسوس ويونان ورومان حتى الغزو الصهيونى ، يختار الشاعر أحداثا بعينها ، أو بمعنى أدق يختار صورا شعرية تحيل إلى أحداث ويوظفها لإعادة بناء الذاكرة .

وعلى نحو مماثل يتم اختراق محور اللغة المتراصفة أفقيا بالمحور الاختيارى ، أو الاستبدالى العمودى ، حين يختار الشاعر من بين مفردات اللغة ما يكون صورة شعرية ، تجمع بين مالا يجتمع فى خطاب آخر غير الخطاب الشعرى .

إن الغزاة قد جاءوا وذهبوا ولم يصب التراب بأى سوء ــ أىٍّ سوء ــ أى سوء بعدهم ، بكلمات درويش . والنتيجة أن بؤرة الذاكرة فى هذا السياق ، تتمثل فى جملة محورية تتكرر أربع مرات هى :

« إن الأرض تورثُ كاللغة »

وتأتى هذه الجملة المحورية مرتبطة مرة بالتراب الذى لم يصب بأى سوء بعد رحيل الغزاة (الأرض) وتأتى مرة ثانية مرتبطة بالنشيد (نشيدنا) وتأتى مرة ثالثة لتربط بين أزمنة تاريخية مستدعاة (الإسكندر ــ قيصر) وزمن العودة المستقبلى الذى يخترقها . وترد الجملة ذاتها مرة رابعة وأخيرة لتشد أطراف زمن المنفى الحاضر وتصل الانقطاعات الحادثة فيه ، ولتضمد النسيان جرحا فجرحا ، فلا يضيع المنفى سدى .

يمكن القول إذن أن جملة الأرض تورث كاللغة تتردد فى مواضع مفصلية من القصيدة ، كى تصبح محرق الذاكرة التى يعاد بناؤها من ناحية وكى تربط بين مستويات الزمن (تاريخ ــ حاضر ــ مستقبل) والمكان (الأرض) واللغة (النشيد) من ناحية ثانية .

وفضلا عن ذلك فإن الجملة المحورية السابقة تكشف عن هذه المكونات ذاتها ، إذ تتشكل من عناصر ثلاثة هى الأرض : (المكان) وتورث (أى الميراث الذى يئول عبر الزمن والتاريخ من الأجداد إلى الآباء والأحفاد) ثم اللغة (وتحيل فى هذا السياق الشعرى إلى النشيد)

وأتصور أن القصيدة تفضى بنا إلى تأكيد دور الشاعر أو المنشد فى بناء الذاكرة ، إذ يتكرر المقطع الخاص بالنشيد ، مرات ثلاثاً بنغمات متغايرة على لحنه الأساسى ، وإن اشتمل ذلك اللحن ، بعد تردده الأول ، على عناصر الزمان والمكان والإنسان .

فى المقطع الأول يشكل الشاعر فضاء النشيد المكون من عناصر مكانية (السفوح ــ الوديان) ومن فعلى الأمر (اصعد ــ اهبط) ويشيران إلى حركة تتم فى الزمن ، فضلا عن دعوة وحث ونداء موجه للنشيد كى يفتتح الحركة المفضية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلى المكان والزمان وقوة الأشياء التى يستقطبها النشيد إلى بؤرة الذاكرة .

وفى المقطع الثانى ترد العناصر ذاتها مضافا إليها الإنسان :

يانشيد ! خذ العناصر كُلَّها
واصعد بنا دهرا فدهرا
كى نرى من سيرة الإنسان ما سيعيدنا
من رحلة العبثِ الطويل إلى المكان ــ مكاننا ،

.....

أنت أدرى بالمكان وقوة الأشياء فينا
أنت أدرى بالزمان
وفى المقطع الثالث يقول :
يانشيد خذ المعانى كلَّها

.....

واصعد ما استطعت بنا إلى الإنسان
فأنت أدرى بالمكان
وأنت أدرى بالزمان .

وإذا كانت كلمة نشيد ترد فى مواضع أخرى من القصيدة مرتبطة بضمير الجماعة صراحة كما فى « بالنشيد ــ نشيدنا نشيدهم » أو ضمنا حين يشير الشاعر فى المقاطع السابقة إلى الضمير نفسه فى (اصعد بنا ــ اهبط بنا ــ فينا) ، وإذا تذكرنا أن الشاعر يتوحد بضمير الجماعة فى مواضع متعددة من القصيدة ، فإنه يعود فيقول :

« إنى وقد دافعت عن سفرى إلى قدرى أدافع عن نشيدى »

فالشاعر وإن توحد بضمير الجماعة كما ذكرت الآن ، إلا أنه يؤكد الانفصال والرؤية عن بعد لذلك المستقبل غير المرئى.إنه محكوم بسفره إلى قدره ، قدر المنفى الراهن ، لكنه برغم ذلك يدافع عن نشيده بمعنى المدافعة عن دور الوعى والإرادة الفردية فى إعادة بناء الذاكرة .

ويدرك الشاعر أنه خارج هذا الزمن المستقبلى لكنه يدرك أيضا أن أشكال الماضى يلزمها.كى تولِّد أفكارا أجتماعية تعبر عن إرادة المستقبل ــ الاستناد إلى حدس حميم ، يتبدى فى لغة احتدامية . وتلك اللغة الاحتدامية ــ لغة الشعر ــ تلعب دوراً أساسيا فى تثبيت الذكريات فلا نحيط بعمق إلا بما جعلته اللغة محتدما . بعبارة أخرى أقول إن حضور المنطوق والمكتوب ، المفصح عنه بصورة احتدامية يكون أكثر ثباتا فى الذاكرة .

من هنا يمكن القول إن مفهوم الزمن الفيزيائى الأفقى المتسلسل ، زمن العالم من ناحية ، وزمن الواقع العربى الذى يجتر ذاته من ناحية ثانية،يتم اختراقه عموديا بزمن الفرد وزمن القصيدة المستقبلى ، حتى وإن حمل ذلك الاختراق حس المأساة الملهاة ، وتلك النقطة سأعود إليها فى فقرة لاحقة .

وإذا كنت قد ألمحت فيما سبق إلى بعض مكونات القصيدة ، انطلاقا من النظر فى مكونات البنية الفكرية العربية تجاه مفاهيم أساسية مثل مفهوم الزمن ، فإننى أشير هنا إشارة عابرة إلى مكونات أخرى تسائلها القصيدة وتطرح تصوراتها بشأنها .

على مستوى الزمن الراهن والمستقبل تستنفر القصيدة أسئلة جوهرية تظهر فى المقطع الافتتاحى وتعاود الظهور فى مقاطع أخرى ، متمردة على أسوار الفكر والنظر ، المفهومى الذى يُعلى التصور المسبق للأشياء ويتسامى بالخطاب المفارق ، المتشح بالشعارات ، على حساب العينى المنبثق من الحياة والواقع ، والمتصل بالتغيرات والتطورات .

يقول درويش :

... « وعادوا من أساطير الدفاع عن القلاع إلى البسيط من الكلام
لن يرفعوا من بعد ، أيديهم و لاراياتهم للمعجزات إذا أرادوا »

إن القصيدة تكشف هنا عن قلق الشاعر إزاء سيطرة « أساطير الدفاع عن القلاع » ، أو بكلمات أخرى ، البنية الذهنية الأسطورية المفارقة التى تنحبس فيها صورة العالم ، وتمتنع من ثم معرفته،غير أن الشاعر يواجه هنا هذا القصور فى البنية الذهنية المغلقة عن طريق بنية نقيضة مفتوحة،تجتذب إليها أشياء العالم الحية المحسوسة وتحيط بالعينى الملموس فى مفردات الحياة اليومية ، على نحو ما يتمثل فى السطور الشعرية التالية :

عادوا ليحتفلوا بماء وجوّدهم ...
ويزوِّجوا أبناءهم لبناتهم ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعلّقوا بسقوفهم بصلا .... وباميةً .. وثوما للشتاء
وليحلبوا أثداء ماعزهم ...

وفى مقطع تال يقول :

ولأنهم لايعرفون من الحياة سوى الحياة ، كما تقدمها الحياة
لم يسألوا عما وراء مصيرهم وقبورهم .

أو يقول :

لكنهم عادوا من المنفى ...
لأنهم كسروا خرافتهم بأيديهم لكى يتسربوا منها
وكى يتحرروا
..... عادوا من الأسطورة الكبرى لكى يتذكروا
أيامهم وكلامهم . عادوا إلى المألوف فيهم وهو يمشى
فوق الرصيف ...

أو يقول :

ويعاودون الحرب حول العقل . من لاعقل فى إيمانه
لا روح فيه

وإذا كان درويش يقدم هنا مكونات البنية الذهنية النقيضة للبنية الأسطورية المفارقة ، فإنه يقوم فى تصورى بتأسيس أسطورة واقعية ، إذا جاز التعبير إنها إسطورة الحياة اليومية المستمرة فى تفاصيلها الصغرى ، المنغرسة فى أرض الواقع . وهى أيضا أسطورة البطولة الفلسطينية لدى أولئك الذين يعرفون طريق المقاومة حتى نهايته ويعلمون أنه (لابد من بطل يخرُّ على سياج النصر/فى أوج النشيد)

لكننا لا نستطيع أن نغفل المفارقة الكامنة بين معرفة الحقيقة والإصرار على حلم العودة المستقبلية ، بل اعتبار العودة ،برغم وقوعها على نقطة غير مرئية فى الزمن ، محور القصيدة ، ومحور الذاكرة ، والبنية الذهنية التى يتم بناءها . تلك المفارقة تمثل فى نظرى الدافع المحرك لانبعاث المأساة والملهاة فى آن واحد .

إن ارتقاب الحدث المستقبلى يصنع إطارا عقليا مهيأً لاستقبال الذكريات كما أن الاحتشاد ، انتظارا لوقوع الحدث يجعل هذه الذكريات تنهمر .. لكن المفارقة تكمن فى إدراكنا أن الحدث ، عندما يقع ، فإننا قد نواجه بصورة مغايرة تماما لتصوراتنا ، فلا يحدث شيىء مثلما كان متوقعا . وكأن الحدث المرتقب يتحقق ليشبع ارتقابنا ويخيبه فى الوقت نفسه .

إن درويش فى الحقيقة ، إذ يستعيد ذكريات ماهو مرتقب بحس ساخر مدرك لطبيعة المفارقة المزدوجة بين الحدث المتصور وأشكال تحققه غير المتوقعة من ناحية ، وإدراكه لحقيقة الوضع الراهن وتهديد الغزو المحتمل من ناحية ثانية ، إنما يكثف إحساسنا بمأساة النرجس ، أو مأساة الواقع . ونحن وإن كنا نضحك معه فى ملهاة الفضة ، ضحكا أشبه ما يكون بالبكاء،فإن ذلك الضحك النازف إنما يستنفر وعينا تجاه خطر الغزو المحتمل .

لعلنا نواصل تفجير الأسئلة ، أسئلة القصيدة وأسئلة الثقافة ، بل أسئلة الوجود العربى ذاته .

القاهرة : اعتدال عثمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإشارات :

ـــ محمود درويش ، مأساة النرجس وملهاة الفضة ، مجلة الأسوار . صيف ١٩٨٩ .

ـــ حول مفهوم الثقافة والعقل العربى انظر :

- محمد عابد الجابرى نقد العقل العربى ٣ أجزاء خصوصا الجزء الثالث بعنوان « العقل السياسى العربى ـــ محدداته وتجلياته » المركز الثقافى العربى ، الدار البيضاء ١٩٩٠ .
- حامد ربيع ، الثقافة العربية بين الغزو الصهيونى وارادة التكامل القومى ، دار الموقف العربى القاهرة ب . ت .
- محمد برادة-عبد القادر الشاوى « ندوة الدوريات الثقافية » مجلة الآداب ، العدد ٧ ، ٩ يوليو ، أغسطس ١٩٩٠ .
- مجلة الوحدة ، عدد خاص بعنوان"الغزو الثقافى"ديسمبر ١٩٨٤ .
- خالده سعيد ، السؤال الفلسطينى وتحديث الثقافة العربية ، ندوة أيام فلسطين ١٠ ـــ ١٦ يناير ١٩٩٠

ـــ حول مفهوم الزمن ، انظر :

- جاستون باشلار ، جدلية الزمن ، ترجمة خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع بيروت ١٩٨٢

النحات

عادل عزت

جارتى تمكثُ فى شُباكها الليلىِّ لا تفعل شيئاً غيرَ قَهْرِى .

إنها عاريةٌ قد أسدلتْ شَعْراً كثيفاً فوق نهديها... أزاحتْهُ قليلاً كى ترينى ما ترينى. آهِ سُحقاً لنجومِ الطيفِ إن ترسلُ نوراً ليس يكفى.

بيننا ليلٌ ومكرٌ وحماقاتُ التمنّى.

إننى أحرق قلبى بمكوثى شاخصاً أرنو إليها. إنْ تراءى أولُ الفَجْرِ أراها أغلقتْ شُباكها مُظْهِرَةً بعضَ التَّثَنّى.

لكأنّ الصبحَ ساعاتُ انتظارٍ لقدومِ الليلِ...فى الليلِ كِلانا صار للآخرِ مأسوراً أنيساً أسراً..ما هذه الأطيافُ تسرى؟!

ليلةً كلّمتُها بالنورِ. أشعلتُ شموعاً وشموعاً مُرْسلاً نفسى إليها، وقليلاً من جنونى، وتهاويلَ التماثيلِ ببيتى.

إننى الممعنُ فى جَعْلِ الجمادات حياةً. لم تكن تلكَ الجماداتُ بشىءٍ ثم صارت خفقاتٍ وظلالاً وشذًى. كلُّ تماثيلى نفوسٌ صاحبتْ فى السرِّ نفسى.

وتماثيلى اشتياقٌ...طائرٌ أوشك أن يُفلتَ من قبضةِ كفٍّ ... رجلٌ يمشى بعكازٍ... صبىٌّ حالمَ الهيئةِ يمشى...

عازفُ الناىِ الذى فى روحِهِ الأنغامُ تأوِى...

طفلةٌ ضلّتْ... نساءٌ أسرفتْ فى زهوها... وجْهُ فتاةٍ فى انتظارِ لحبيبٍ ليس يأتى.

ها أنا فى آخرِ الأركانِ تمثالٌ له وجهٌ حزينٌ ليس يدرى بارتجافِ النورِ والظلِّ لَدَى الشمعةِ إذ تذوِى وتَذْوِى.

جارتى تمكثُ فى شباكها محضَ معانٍ خافياتٍ. كيف أغريها بأنْ تأتى لبيتى.

ليلةً جازفتُ إذ أودعتُ نارى فى حروفٍ عبرَ أوراقٍ كثارٍ ثم أرسلتُ لها نارى خطاباً دونَ تنقيحٍ كأنى كنتُ أرميها بوردٍ وكأنى عدتُ للعشرين من عمرى، وعاد النَزَقُ البرىُّ يسرى تحت جلدى.

قلتُ ياأنت أنا النحاتُ... نَفْسٌ همجىٌّ.. عزلةٌ وحشيةٌ تأنسُ بالأحجارِ لا بالناسِ. هل تدرينَ أنى خشنٌ فظٌّ حنونٌ مثلُ كفى؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد أعاشتنى تماثيلى وحيداً فى الليالى.. صرتُ طَبْعاً جافياً أرتاب فى الناسِ لذا أخلقهم معنًى جديداً. كلُّ نَفْسٍ لحظةٌ باقيةٌ تمنحُ للرائينَ نوراً وظلالاً. لحظةٌ ليست تعانى زمناً من حولها يأتى، وينسلُّ ليأتى ثم ينسلُّ ليأتى.

جارتى أنتِ على البعدِ الأساطيرُ جميعاً فمتى تأتى الأساطيرُ لبيتى؟

كم من الأيامِ والأحزانِ أرسلتُ إليها فى خطابى؟! لستُ أدرى.

كلُّ ماعَنّ لقلبى قلتُهُ دون احتراسٍ. منذ أنْ كنتُ مصيراً غامضاً أشعر أمناً وعبيراً دائماً فى حِضْنِ أمى.

وأبى كان طبيباً راحلاً عبر القرى مثلَ نبىٍّ صامتٍ، والناسُ تأتيه لتُشْفى ثم تعطيهِ ابتساماتٍ وتمضى.

لم نكن غيرَ ارتحالٍ دائمٍ فى إثرِهِ كان مهيباً وغنياً بالمعانى. إنّ روحى وُلِدَتْ فى ظله عبر البرارى. إننى الصفوُ الذى قد مرّ بالأعشابِ فى همسِ الصحارى، والمَدَى يبدأ منى.

فى الصبا مات أبى، مِنْ بعده أمى . كأنى صرتُ أعمَى ساكناً زنزانةً لا أهتدِى إلا بغيبٍ كامنٍ يسرى بنبضى.

لستُ أدرى كيف قادتنى المقاديرُ لبيتِ امرأةٍ أحيا غريباً زائفاً فى قمقمٍ يُدْعَى التبنّى.

هذه المرأةُ فى كل صباحٍ تهدرُ الساعاتِ فى تجريب أصباغٍ وعطرٍ تلْوَ أصباغٍ وعطرٍ تتمنى زوجَها الغائبَ عنها بينما تشكو إلى المرآةِ فى ذلٍّ كئيبٍ أنها محرومَةٌ من نعمةِ الإنجابِ أو تأخذ فى تأويلِ حلْمٍ زارها والفجرُ للإصباحِ يُفضى.

إنها مملوءةٌ بالعشقِ والأوهامِ والشرِّ، وتَخْشَى حَسَدَ الناسِ ومكرَ الجنِّ. ما أشجى الخرافاتِ التى كالنارِ يُزكى بعضها بعضاً وما أبهى الأساطيرَ بنفسِ المتمنى.

لا حياءً عندها من كونها قاسيةً هجّاءةً لكنها فى الليلِ تحكى لى حكاياتٍ عجيباتٍ، وتشكو من جحودِ الناسِ والجيرانِ والزوجِ الذى يأخذ من أموالها دون شعورٍ بامتنانٍ. لم يكن عندى ردٌّ غير أنْ أصغى، وأصغى.

إنها تلعنه دوماً وتشكو أنه يعشقُ عشقاً زوجةً أخرى فإنْ جاء إليها أخذتْ من توقها تبكى وتحنو ثم تبكى.

جارتى إنى رأيتُ الناسَ أشراراً وجسمى فى بداياتِ التشهّى.

زوجُها يعمل نحاتاً ورساماً وخطاطاً يحبّ المالَ حباً مهلكاً. علّمنى فى ليلةٍ بعضاً من الأسرارِ عن صنع التماثيلِ، ولمّا غاب أياماً تسللتُ إلى مَرْسَمِهِ أعبثُ بالأشياءِ فى وَجْدٍ كأنى كنتُ أهذى.

عندما عاد رأى بعضَ التماثيلِ التى أبدعتُها بل إنها قد أبدَعَتْنى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باعها دون عناء. هكذا صرتُ أثيراً أجلبُ المال له وهْوَ كَسولٌ كَـدِرٌ أرنو إلى اللومِ الذى يبدو بعينيهِ علَى أنَّ الرؤى تأتى إلى روحى ولاتأتى له. إنَّ الرؤى بيتى وذنبى.

بينما المرأةُ تزدادُ اختبالاً وجنوحاً للتصابى. مرت الأعوامُ فى خوفٍ مشوبٍ بهوانٍ. صامتاً كنتُ حييًّا مبدعاً كلَّ تماثيلِ لغيرى.

ليلةً قد طردتنى إذ رأتْ وحشاً مخيفاً وغزالاً وذئاباً حُفرتْ فى بيتها فوق جدارٍ. ذاك ما فاضَ به حزنى وغيظى.

كم من الآمادِ مَرّتْ وأنا فى الليلِ صبرٌ سائرٌ تحت المصابيحِ بلا مأوًى سجينُ الجوعِ حرٌّ وغنىٌّ بالتأسِّى.

كيف لى أن أمزجَ الليلَ ظلاماً ونجوماً بتماثيلى؟! وهل أقدر أن أسموْ بأحجارى وكفِّى جاعلاً من سجناءِ الصمتِ بَوْحاً بالأناشيدِ، وبالهمسِ، وبالمعنى المدوّى؟!

كيف لى أن أجعلَ الثابتَ يبدو بهجةً فى الكونِ تَمْضِى؟!

إنها أسئلةٌ فى نشوةِ السيرِ شريداً غافلتنى.

آهِ قد مرتْ شهورٌ كان مأوايَ بها قبواً بحانٍ ملؤهُ خمرٌ وفئرانٌ وأشياءُ بلا جدوى أحاطتْ بفراشى. عائشاً فى هذه الفوضى توحدتُ بنفسى.

أرسلتنى حكمةُ الأقدارِ من فَجْرٍ إلى فَجْرٍ قوياً مدركاً بعضَ الذى تفعله الأيامُ بالأفئدةِ الحيرى. رأيتُ الناسَ أشواقاً سَرَتْ فى قِصةٍ كليةٍ كبرى. ومِن كُوَّةِ قبوى قد تراءى الكونُ سحْراً خالصاً يمكثُ فى الأعلى، وفى أنحائه الأحلامُ والأنوارُ... إنَّ اللهَ موجودٌ ولاريبَ بقلبى.

ذلكَ الحانُ أرانى الناسَ فى أحوالها القصوى... خُطاةً أسرفوا فى البوحِ بالأسرارِ... أوغاداً وعشاقاً.. وإنَّ الصمتَ أحزانٌ، وإنَّ الهمسَ شجوٌ يتمادى نحو لغوٍ ليس يجدى.

بينما الأشرارُ قد جاءوا إلى الحانِ ليرتاحوا قليلاً من نفاياتِ التردّى.

أنقذتنى حكمةُ الأقدارِ إذ أخرجنى من هذه الأيامِ نحاتٌ عجوزٌ مالكٌ قصراً عتيقاً. قصرُهُ ذو ألف تمثالٍ وقنديلٍ. لقد صرتُ به ضيفاً فتياً ناسكاً. ياليتنى أقدرُ أن أشرحَ بعضَ العشقِ والأنغامِ مابين التماثيلِ وبينى.

قصرُهُ قد شاخت الأشجارُ فيه، واختفى الرونقُ من جدرانه. لكننى كنتُ به أشعرُ سِحْراً دائماً ينبثّ من أرجائه، أشعرُ مِسكاً خافتاً ينسابُ فى أجوائه... أين أنا؟ كيف اهتدتْ نفسى؟ وماذا يحمل الصمتُ لأذنى؟!

لَكأنى كنتُ أصغى لترانيمِ عهودٍ قد مضتْ ثم انثنتْ ترجعُ نحوى.

قال لى النحاتُ "*أنتَ الفَجْرُ لاتستعجلِ الساعاتِ فالشمس لها حينٌ به تأتى، وتمضى الغروب المتأنّى*".

كان عمرانا معاً عمراً كأنى كنتُ أهديه شبابى، وهْوَ يهدينى تجاريبَ الليالى قبل أن يرحل عنى.

صار أنواراً لروحى. مرت الأيامُ فيما بيننا حُلْماً فحُلماً. قد أرانى فنه المسرفَ فى الأحزانِ والإتقانِ فانجابَ سحابٌ، واختفت عصفورةٌ فى هجرةٍ دائمةٍ نحو بحارٍ صَفْوُها صفوُ السماواتِ، ومنها إنما الإلهامُ يهمِى.

ربما نمكثُ ليلاً كاملاً ندرسُ فيه إصبعاً في كفِّ تمثالٍ صغيرٍ أو دموعَ امرأةٍ مُغْمَضَةِ العينينِ تبكى.

قال لى النحاتُ: "*هذا القصرُ أطيافٌ وذكرى لعهودٍ تركتنى.*

لعناتٌ تملأ الأجواءَ لاتفتكُ إلا بالذى أوتى ثراءً مستفيضاً .. لعناتٌ أخذتْ منى ببطءٍ كلَّ أحبابى وأهلى.

هجرتنى زوجتى منذ سنينٍ، وابنتى منذ شهورٍ لم تزرنى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إننى أعلم أنَّ القصرَ منهوبٌ ومهدومٌ إذا ماحلَّ مَوْتى..."

قد بكى من غربةِ النفْسِ، وأعطانى من المالِ الذى يكفى لإيوائى ببيتٍ. هاأنا أحيا به الآنَ، وأرنو كلَّ ليلٍ للذى تكشفه الأنوارُ منكِ.

جارتى إنى وحيدٌ كشموعى، كتماثيلى، وإن الصمتَ والأنغامَ فيما بيننا قد عذبتنى.

سوف أحيا كغريقٍ، كصبىٍّ ذاهلٍ إنْ لم تردِّى.

جاءنى الردُّ كأزهارٍ بلا رائحةٍ قد شاعَ فيهِ الجهلُ والأخطاءُ.. آهٍ لم أكدْ أفهمُ منها غيرَ بعضٍ من معانٍ أضجرتنى.

أمها مشلولةٌ... فقرٌ ومالٌ ضائعٌ، واللهُ موجودٌ رحيمٌ... طُلِّقَتْ منذ شهورٍ.. إنها خائفةٌ من هذه الأصنامِ فى بيتى.. خطابى غيرُ مفهومٍ، وتشتاقُ لأن تعرفَ كم يبلغُ عمرى.

كلُّ ماقد قلتُهُ راحَ سدًى.. لكنها تبدو على البعد ملاذاً دافئاً. صرتُ كأنى أتمنى ربَّةَ الإخصابِ فى عهدٍ قديمٍ. يانداءً غيرَ مسموعٍ ويامحنةَ عينى.

جارتى الآنَ أراها امرأةً ساهمةً تعرف أنّ النارَ تزدادُ بجسمى.

القاهرة - عادل عزت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكم نيلـــــكم
ولى نيـــــل

عيونُ النيلِ تحتضنُ البناتِ ،
كَشَفْنَ عن سيقانهنّ البيضِ أحياناً ،
وسُمْراً أغلبَ الأحيانِ ،
ثم نَزَلْن صوْب الماءِ يملأنَ الجرارَ ،
ضَحِكْنَ حين تدغدغُ الأمواهُ باطنَها ،
فتنطلقُ الصبايا تنثرُ الضحكاتِ
والولدُ الذى يجتازُ بابَ الحلم ، تحت اللبْخةِ العجفاءِ يقبعُ ،
فى رداء الوحْى ، يحملُ دفتراً ، ويدبِّجُ الأشعارَ ،
عن حوريّةٍ شقَّت قميص الماء ،
واندفعتْ إليه فعانقتهُ ، فذاب فى أحضانها عِشقا ،
وراح يُلملمُ الكلماتِ ،
ينظمُ دُرّها عقداً ، ويحلمُ بالغد الفينانِ ،
هذا النيلُ أعرفهُ ، ويعرفنى ،
فهذا النيلُ نيلى ،
آهِ ، كم أهفو إلى أيامهِ العذراءْ .
يلوحُ النيلُ زنْدا فارعاً يمتدُّ يَحْتَضِنُ النجوعَ ،
وقد علاه الوشمُ ، أخضرَ فى بهاءِ الصبحِ ،
أشجارٌ ، وأعشابٌ ، وتوتاتٌ ، وجمّيزٌ ،
ونخلاتٌ ودوماتٌ ،
مدىً كالفيْضِ مُنسياباً ،
تهرولُ وسْطَه إيزيسُ ،
روحاً تجمع الأشلاءَ ،
ضمّتها ، وغطّتها بُهدب العين ، فى وَلَهٍ ،

عبد المنعم عواد يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتدرى أنه لو ضاع شِلْوٌ واحدٌ ،
يقضى بأنّ الموتَ مقدورٌ على أوزيرَ ،
« لا ، لا تقعدى إيزيسُ ، هذا موعدُ الإخصابِ ،
« حورسُ ، ياوليد الثأر :
« قُمْ واحملْ خلاص أبيك ، لا تجبُنْ »
ويبقى الزندُ مُمْتَدًّا بطولِ الحلمِ ،
هذا النيلُ أعرفُه ويعرفنى ،
فهذا النيلُ نيلى ،
آهِ كم سكرتْ بذُوبِ رحيقهِ أحلامُنا الخضراءُ .
ومدّ النيلُ أهداباً ،
ليجلس تحتها العشاقُ من بلدى ،
وهُمْ يتلون آىَ الحبِّ طاهرةً ،
وهذا النيلُ أعرفهُ ،
ولا أدرى بنيلٍ آخر قزمٍ ،
تخفىّ عن ضياءِ الشمْس فى قلبِ المقاصيرِ ،
التى استشرتْ كورْدِ النيلِ ، تأكُل كلَّ خَيرِ الأرض ،
هذا النيلُ أُنكرهُ ويذكرنى ،
ومدَّ النيلُ أهداباً ،
تعرِّشُ فوق فلاحٍ عجوزٍ ،
شمّر الجلباب ، وانغرستْ ببطن الأرضِ ساقاهُ ،
وأذكر أنّه يوماً تحدّى سطوةَ الفرعونِ ،
أرْسلَ ألفَ مظلمةٍ ، ليأخذَ حقَّه المسلوبَ ،
هل كانت فصاحتُه سوى السرِّ الذى عجزتْ عن استشرافِه
الأسفارُ ؟
إنّ السرَّ فى جُرعاتِ هذا النيل ينهلها ،
فحلّت عقدةً كانت تؤودُ لسانَهُ ،
فمضى يدبّجُ ألف مظلمةٍ لأن أتانةً سُلِبتْ بلاحقٍ ،
ولم يسكتْ .
وهذا النيلُ أعرفُه ويعرفنى ،
فهذا النيلُ نيلى ،
فاصمتوا إنْ همهمت أمواجُهُ بالقولِ ،
هذا سيدُ الحكماءُ .

دبى : عبد المنعم عواد يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع المتنبى

أحمد غراب

جاءنى والدُجَى يعضُ يديًا
ولهيبُ الحروفِ فى شفتيًا
كنتُ والسُهْدُ والطيوفُ الحَزَانَى
نجْتدى للرُؤى شُعاعاً نبيًا
فاعْتصرنا النُجومَ ثُمَّ احْترقنا
دون ضَوْءٍ لنسْتقيلَ سويًا
قال لى زائرى بصوتٍ حنونٍ :
لو تَرَيْثَ لاقْتحمتَ (الثريًا)
قُلْتُ : زِدْنى .. فراح يُصْغى حزينا
لهطولِ الرمادِ فى رئتيًا
قال : يا صاحبى الحروفُ وحوشٌ
ومن الحُمْقِ أن تموت صبيًا
الولاداتُ مُرَّةٌ يا رفيقى
صحْتُ : يبدو ظننْتَ لحمْى طريًا
أنا من يخْبزُ الصخورَ ويَطْهُو
أَذْرعَ الشمْسِ مِعْزفا ضوئيًا
يرْتدى الصحْوُ دِفْء صوْتى ولكن
يتعرَّى الوجودُ فى مُقْلتيًا
ولأنِّى شربتُ نار القوافى
أَعْشقُ الحرْفِ ساخنا جَمْريًا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ينْتقى ريشَه من البْرقِ . يبْنى
من حَصَى الرعْدِ صَوْتَه الأبديًا
يعصر الأُفْقَ فى جناحيه يَطوى
تحت مِنْقاره المسافاتِ طَيًا
— هذِهِ نكْهتى ... وأرْدفَ : مَرْحى
لكأنِّى رجعْتُ فيكَ إليًا
... فاتَّئدْ إنَّ (ضبَّةَ)* اليوم أضْرَى
قلتُ : يا عم مات (ضبَّةُ) حيًا
— كيف يابْنِى ؟ .. وأينْ ؟ .. واهتزَّ شَوْقاً
للجواب السجين فى شفتيًا
— صار (سُوقاً) تسيلُ ضَوْءاً ولوْناً
كى توارى مُسْتنْقعاً دمويًا
شارعاً يمْضغُ الخُطَى ثُمَّ يحْسُو
بين فَخْذيْهِ ظِلَّهُ الناريًا
مُدُناً تُتْقن الخشُوعَ (كمُوسَى)
وتناجى قُلُوبُها (السامريًا)
لغةً مطاطيَّةً ... أُغْنياتٍ
من عُبارٍ .. تقهْقرا فكريًا
.... فانْثنى واجماً — إذنْ فهْو حىٌّ
فادْخل الصمْتَ .. لم تزل سَطْحيًا
إنَّ هذا الذى تراهُ انطفاءً
حيَّةٌ تغْتفى .. فحدِّقْ مليًا
إن لى أَعْيناً تشمُّ خُطَى الزيْفِ
وأَنْفاً يرى الخداعَ جليًا
ولذا كنتُ فى حياتى غريباً
للغراباتِ من دمى مَنْفيًا
أَمْتطى الريحَ ناصِباً لقضايا
زمنى هوْدجاً على كتفيًا
رافعاً جبْهتى بيارقَ رفْضٍ
للوجود الذى اسْتحال بغيًا

---

* ضبة قاتل المتنبى

راحلاً كلُّ بلْدةٍ عانقتْنى
فى دمِ الصبْح طاردتْنى عشيًا
كنْتُ أرْنُو فيهنَّ (ضبَّةَ) مبْغَى
يرْتدى لحْيةً فيغْدُو وليًا
فتبسَّمْتُ باكيا من زمانٍ
جاء فَحْلاً وارتدَّ عِنْدى خصيًا
ثُرْتُ فى داخلى فَأَعْشبَ سُخْطى
أوْرقَ السخْطُ فى سكونى دويًا
قيل : فلْتصْلبُوا شفاهَ المغنِّى
فوق أوْتارِهِ ليُدفنَ حيًا
إنَّه يُشْهرُ القصيدةَ رُمْحا
ينْتضى الفكْرَ صارما ثَوْريًا
يمْنحُ الحرْف أذْرعا وعيونا
قد تُعرِّى قناعنا الشمْعيًا
البلادُ التى احتوتْه احْتواها
فهْوَ مثل الرياح يغْزُو خفيًا
ينْطفى كى يشعَّ . يعْمَى ليرْنُو
يرْتمى واقفا . ويذْبُلُو قصيًا
صاح صوتٌ : لا تتركوا منه شلْواً
ربما أعْشب الروابىَ غيًا

* * *

واقْتفتْنى زوابعُ الموتِ . أرْخت
ظلَّها الفاحِمَ الكئيبَ عليًا
صيَّرت كلَّ رَبْوةٍ لى عدوًّا
يلْبس المقْتَ مِئْزراً صخْريًا
كلُّ درْبٍ سلكتُه كان قبْراً
ليس يُخفى هديرَه الوحشيًا
ضقْتُ ذَرْعا بأن يظلَّ صليبى
تحت جلْدى . هتفتُ للموت : هيًا
إنَّ هذى الحياة أكذوبةٌ كُبْرى
رانى نفضْتُ منها يديا

* * *

لاح لى (ضبَّـةٌ) فـأسْرجـتُ قلبـى
صَـهْـوةً وامتشقْتُنـى سمْـهـريًـا
إنَّ طَـعْـمَ المنـونِ مُـرٌّ ولكـن
ليْس أَشْـهى مـن أن تمـوت أَبيًـا

* * *

.... وارْتَخَى وهْو لم يزلْ يرْشفُ الذكْرَى ويجترُّ صمتَهُ الثلجيًا
فـاشْرأبَّـتْ نـافـورةٌ مـن دمـاءٍ
بـين جنْبيْـه حـين أَغْفـى شجيًـا

* * *

.. حينما هبَّ راحلاً والضُحى يغْزلُ للأفْقِ معطفاً فِضِّيًا
وتراءت أَشْباحُ (ضبَّةَ) تجتاحُ جبين المدينة الحجريًا
كـان قلْبـى نـافـورةً مـن دمـاءٍ
أَقْسَمَـتْ أن تطـلّ مـن جنبيًـا

القاهرة : احمد غراب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصـــــدى

صـابر عبـد الـدايم

● عهدتُكَ تَفْتَـح للشمس صَدْرك ∴ وفى جبهـة الغيـم تَحْفُـر نَهْـرك
وتمسـك بالفـأس والكَوْن ضـاح ∴ وتغـرس فى دورة الأرض عُمْـرك
وصـوت السـواقـى أذان نـدىٌ ∴ عـلى خضـرة الأفق يُطْلـعُ فجْـرك
وعنـك السنابـل فى الحقـل تحكى ∴ وتروى إلى موسم الخصب قـدْرك
فهـل متَّ فى الأرض حزنـاً وعشقًا ∴ ولم تحفظ الأرْضُ بَعْـدك سِـرَّك ؟
وهـل أنـت فى أسْرِ حبـك بـاقٍ ؟ ∴ أم المـوت مازال يـرفض أسْرك ؟
ونحـن الحيـارى ...
حملناك كُرْهاً ∴ وأنت الـذى عشت تؤثـر غَيْـرك
فقلبـك حقـل من الحب .. يُـورِق ∴ شـوقـاً وحبًّـا ويثْمـر ذكـرك

∴ ∴ ∴

● أتـذكُـرُ لفـح الهجـير يضىء ∴ كيـانـك .. يُشْـرقُ فى رَاحَتَيْـك ؟
وحـين يُـهـل زمـان الحصـاد ∴ تـغنـى الفتـوَّةُ فى سـاعـديـك
وفى بَيْـدر القمْـح تغـدو جـواداً ∴ ولـون السنـابـل فى مقلتيـك
تِكـرُّ .. تفـرُّ .. وتقبـل ... تُـدْبـر ∴ تُـهـدى لطفلـك فيض يَـدَيْـك
ذراعـاك مثـل الجنـاحِـين طـارا ∴ بعـزمـك كـالضـوء فى كـل أيْـك
وهـاأنـت تملـك نبض الحقـول ∴ فتنمـو الحـدائـق فى شـاطئيـك

وتـرحـل فى سنبـلات الحيـاة ∴ وتجـرى البحيـرات فى نـاظـريْـكْ
يفيض جبينـك نـهـراً زلالا ∴ يـروِّى الحيـاة عـلى جـانبَيْـكْ
فـأنت « أبو زيـد » هذا الـزمـان ∴ ولسنـا نخـاف عـلى مـا لَـدَيْـكْ

● فكيف انطفأت ... ؟

ونحـن الحـزانَـى ∴ بـلا أىِّ شمْس نجـىء إليـكْ
نفتّش عنـك بكـل الـدروب ∴ ونـرجع بـالـوهم ... نبكى عليـكْ

∴ ∴ ∴

● أتذكُرُ صْفصفافَة الحَقْل تُصْغى ∴ لمـا كنـت تَنْسـجُ مـن أُمْنِيـاتْ
وفى الصيف والأمسيات الوضـاءِ ∴ حكـايـاك تجمـعنـا من شتـاتْ
نـرى فيـك دفئـاً ووَمْض حنـانٍ ∴ فَقَـدنـا صـدَاهُ بكـل الجهـاتْ
نـدور بكـل المحـاور لكـن ∴ إذا مـا أتينـاك نهـوى الثبـاتْ
ونقْطف من كـل نجـم شُعـاعـاً ∴ ونـأتيـك نَحْمِـلُ أشْـلاء ذاتْ
فتـغـرس فينـا ائتـلاق الحيـاة ∴ فتهـوى الرحيـل لجَمْـع الـرفـاتْ

● وعُدْنا إليكَ ...

بـأطيـب وعْـدٍ ∴ فمـا طبّـتَ نفْسـاً لمـا هـو آتْ
وإذْا بـاخضرار الـزمـان جفـاف ∴ بعينيـك يغتـال طـعـم الحيـاةْ

∴ ∴ ∴

● أحـدِّق فيـك ولسْـتَ تـرانى ∴ فعيْنُـك تـرحـل خلف الـزمـانِ
وقـد كُنْتَ تقْـرأ لـوْن شـرودى ∴ وتـدرك مـاذا وراء لسـانـى
وتـدرك مـاذا تخبِّـىء عينـى ∴ وتشهـد سِـرْبَ الأسى فى جَنـانى
فكيـف أراك ولسـت تـرانـى ؟ ∴ وقـد شبت النـار تغـزو كيـانى
أتقـرأ خلـف النجـوم كتـابـاً ∴ جديد التجـلى .. جديـد المعانى ؟
أتسبـح فى ضـوء عمـر جـديـد ∴ بَـدا روضةً من ريـاض الجِنانِ ؟
وهـا أنـت تهـزم ليـل الـرزايـا ∴ كـأن زمـانـك بضـع ثـوان
وتبصر وجـه الحقيقـة يـغشى ∴ مـرايا الـوجـود بسحـر الأمـانَى
ومـا أبْصر النـاس إلا بـريقـاً ∴ تـلاشى سنـاه بكـل مكـان
● فهـلْ منـكَ نقبس لمْـح يقـين ∴ يقينـا ضيـاع رؤانـا الحسـانِ ؟
وكيـف .. ونحـن نسـير ثقـالا ؟ ∴ تنـوء خطـانـا بقيْـد الـهـوانِ
ومـا مـن شـعـاع يضىء رؤانـا ∴ وتخطـر فى سحـره المقلتانِ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● أخى ...

هـل محـال .. يـعـود التَّـدانى ∴ ومـا عُدْتَ إلاَّ صـدًى فى جَنَانى ؟

ولـم أجْـنِ إلا تـراب الأمـانـى وعقـلى وقلبـى بـه تـائـهـانِ

● أحـدّق فيـك ولسـت تـرانى ∴ فعيْنـك تـرحـل خلف الـزمـانِ

وقـد كنت تقـرأ لـوْن شُـرودى ∴ وتـدرك مـاذا وراء لسـانـى

وأصبحـت تقـرأ أوفى كتـاب ∴ جـديـد التجـلى .. وضىء المغَـانى

وتسبـح فى ضـوء عُمْـر تهـادتْ ∴ عـلى شـاطـىء خُلْـده جنّتـانِ

الزقازيق : صابر عبد الدايم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجهى .. أو الذى ينتظر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنهيدةٌ طويلة
ونظرةٌ سادرةٌ
للسقف والنوافذ المغلقة
خاطرةٌ بعيدةٌ تجىء
مثلما فراشة من الدخانْ
تمرّ من لفافتى .. إلى الرئه
تدور فى ازقّتى المخبّأة
عربةٌ
يَجرّها حصانْ
حوذيَها الزمانْ

* * *

ياسيدى
هل نقطف الأيام من أحداثِها
هل نصطفى من الليالى الغافياتِ
جوهر الأحلامِ

أحمد تيمور

أم نوقظها من مُصْطَلى أضغاثها
هل نُدخل الفصول جملةً على مُناخنا
من باب شوق الريح للقِّاحِ
حيث تُمطر الصيوفُ فى الخريفِ
أو يصطاف فى سواحل الشتاءِ
كوكبُ الربيعِ
ثم نستفزُّ سطح أرضنا
برقصنا السريعِ
حتى ينقلبْ
فننحنى على السحبْ
نُزيح غيمها
لنكشف النجوم تحتنا
نرشّها
بالنفط والنبيذِ
حين نبدأ الرقص البطىء
والغناء المستضىءَ
باللهبْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

ياسيدى
هل نخلع السنين سُترةً .. فسُتْره
نفض دهشة البكارات البتولْ
ومرّة .. فمرّه
نعاود الذهولَ فالذهولْ
هل تذكر الشمسُ التى قضمتُ من كعكتها
ذات أصيْل
هل تذكر الذين أقبلوا على صراخها الطويْل
هل تذكر النخيلْ
لمَاّ جرى وراءنا
ليستردّ من لهاتنا الرطُبْ ؟

هل تذكر الذى نسيتهُ أنا
وهل على أرائك الكؤوس تحت أفياء الحببْ
فى سُكره الثقيلْ
يَذَّكر الخمرُ العنبْ ؟

* * *

الماء شَكْلُ ما يريده الإناءْ
والنار شكل ما يريدها الهواءْ
ولم أكن سوى الذى تريده يكون
كابدتُ من سنين عمرىَ العجول أربعينْ
نصبتُ فوق البدر خمية الهلال
ثم رحت تحتها أعالج الخسوفَ
والقصائد الزرقاء
والجنونْ
زرعتُ فى حياض قاع البحر
غُوطتينَ
من قرنفلٍ مموسقٍ
وسوسنٍ غَردْ
وقبل أن أسرِّح الحوت الذى أسرجته
فصَلتُ بين طيب هذه
وعطر تلك
بالزَّبَدْ

* * *

ياسيدى
على حصانىّ الحرونْ
واصلتُ رحلة السنينْ
أطارد اليقين بالظنونْ
اختبر الأفكار كالأشياء تحت سقف معملى
أرجُّها كنجمة ثلجية فى كأس ليلة مديدة الشجونْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أُريقها من الأنابيب التى ترغمها
على التقعرّ / التحدّب / التلاطم / السكونْ
أفكُّها بالنار . باستدامة الفضول باستهامة الحنين
أحلّ بالكحول أُحْجياتها
وأمتطى إلى رُبَى شطوطها
مداخنَ السفينَ

* * *

ياسيدى الذى أكونْ
حملت أن أصير واضحا
مميّزا كعود ياسمينْ
أحرقت نارى
وانطفأت فى رمادى
وعندما سمعتُ طفلتى تنادى
أقبلتُ من لفاء غيمتين فى مدى بعادى
تشليلنى الوديان حقبةً
وحقبةً .. تحطّنى البوادى
ساقرتُ
والصفير فى قاطرة الحلم المعادِ
وعندما وصلت منهكا بلادى
وواهن الفؤاد والبصرْ
وجدتُه
على أريكة الكتوفِ .. ينتظرُ
متكئاً على عصاً محنّية العُنقْ
مغضّنًا .. مغضنا
كأنه مسترجع من حادثى غَرِقْ
حدّقت فيه برهةً ذاهلةً
وجهى .. أنا .. تُراه ؟
عرفتهُ
قبّلتُه على جبينهِ
وذبتُ فى أساه .

القاهرة : د . أحمد تيمور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البلبل والوردة الحمراء

محمد سلطان لطيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيْنَ الغُصونِ مُغَنًّى بالهَوَى دَنِفُ ... راحَتْ إليْهِ صنوفُ الهَمِّ تَنْصَرِفُ

عَيْناهُ مُسْبَلَتانِ ... لَيْسَ فى وَسَنٍ ... أنَّى يَنامُ شَجِىُّ قَلْبُهُ يَجِفُ ؟

أَضْناهُ فى الحُبِّ أَمْرٌ فَوْقَ طاقَتِهِ ... وَشَفَّهُ بِعَذابٍ دَمْعُهُ الذَّرِفُ

فَرَقَّ عَنْ رهَفِ العُصْفورِ هَيْكَلُهُ ... حتَّى أراهُ مَعَ الأَنْسامِ يَنْعَطِفُ

أخالُهُ فى الدُّجَى نِضْواً قَضى أَجَلاً ... لَوْلا يميلُ بِهِ غُصْنٌ فَيَرتجِف

ماذا أَلَمَّ بِصَدَّاحِ الجِنانِ وَقَدْ ... باتَتْ عليْهِ سُدُوفُ اللَّيْلِ تَكْتَنِفُ ؟

صَمْتٌ يُحَدِّثُ عَنْ أمْرٍ بداجِيَةٍ ... وَاللَّيْلُ إيقاعُهُ المعْتادُ يَخْتَلِفُ

عَلَّ الصَّباحَ إذا ما جاءَ يُخْبِرُنا ... ففى الصَّباحِ غُيُوبُ اللَّيْلِ تَنْكَشِفُ

ما إنْ تَنَفَّسَ حتَّى ناحَ نادِبُهُ : ... أَوْدَى بِصادِحِنا جُرْحٌ بِهِ نَزِفُ

مُوَسَّداً بِفُرُوعِ الوردِ ، يانِعَةً ... حَمْراءَ فى حضْنِهِ .. وَسْنَى بها وَطَفُ

مات الشَّجِىُّ .. وَسِرٌّ حَوْلَ مَصْرَعِهِ ... فَهَلْ على طَرَفٍ مِنْ أَمْرِهِ نَقِفُ

قالت مُحَدِّثَتى وَاللَّيْلُ يَأْخُذُنا ... هَلاَّ سَمِعْتَ حَدِيثاً قَصَّهُ السَّلَفُ ؟

فَقُلْتُ : هاتِى وَقُصِّىْ ــ لا حُرِمْتُ ــ أَنا ... إلى حديثِكِ بى ــ ياجَدَّتى ــ شَغَفُ

قالتْ : ــ وَقد نَضجتْ فى النَّار قَهْوَتُها .

تَحْكى .. وَتَسكت أحْياناً وَتَرْتَشِف

يُحْكَى بِأَنَّ فَتَاةً ذاتَ مَيْسَرَةٍ ... كانْت بكلِّ فُنُونِ الحُسْنِ تَتَّصِفُ
عاشتْ بقَصْرٍ لَهُ رَوْضٌ يُحيطُ بِه ... يَهْفُو لها الوردُ أَوْ تَدْنُو لها القُطُفُ
أَحَبَّها بُلْبُلٌ طارَتْ صَبابَتُهُ ... لحْناً تُرَدِّدُهُ الأفْنانُ وَالشُّرفُ
ما كان يَصْرِفُهُ عَنْ ظِلِّها سَبَبٌ ... وَالحُبُّ شاغِلَةٌ يَغْنَى بها الْكلفُ
حتى إذا دَلَفَتْ للنَّوم ناعِمَةً ... أَوَى السَّميرُ إلى شُبَّاكِها يقف
هَمْساً يُهدْهِدُها بِاللَّحْنِ يَسْكُبُهُ ... حَتَّى تَذُوبَ بِنَوم مِلؤُهُ التَّرَفُ
أَوفَى على القَوْم عامٌ مُثْمِرٌ رَغَدٌ ... كانتْ بآنائِهِ النَّعْماءُ تُغْتَرَفُ
حتّى إذا انْصَرَمَتْ أيَّامُهُ عصَفَتْ ... بساكنى الرَّوْضِ ريحٌ غَيْرُ ما ألفُوا
هذى أميرتُهُم فى قَصْرها احْتَجَبَتْ ... وَلَمْ تَعُدْ لخميل الوِرْدِ تخْتَلفُ
أضْحَتْ مَلاعِبُها فى الرَّوْضِ مُوحشَةً ... وَباتَ بُلبُلها بالصَّمْتِ يُكْتَنَفُ
داءٌ أَلَمَّ بها .. أزْرَى بِرَوْنقِها ... لَمْ يَحْتملهُ قَوامٌ صاغَهُ الرَّهفُ
سَرَى فَطَرَّحها .. ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِها ... حتّى غَدَتْ بِرياحِ الموْتِ تُعْتَصفُ

وَاسْتَبْهَمَ الدّاءُ .. لا يبْقَى عَلَى صِفَةٍ
أوْ يَسْتَقِرُّ لَهُ فى مَوْضع طَرَفُ
أَعْيا الجميعَ .. فلا طِبٌّ أحاط بِه
وَلا كَهانَةُ عَرَّافٍ بِهِ تَقِفُ
وَراحَ كُلُّ عَليمٍ فى تَحيُّرِهِ
يُقَلِّبُ الكفَّ فى صَمْتٍ وَيَنصَرِفُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وَقيلَ إنَّ عَجُوزاً بالنُّخومِ تَرَى ... ما لايَراهُ طَبيبٌ عالِمٌ ثَقِف
جاءتْ فَما جَهِدَت بالدَّاءِ ما جَهِدُوا ... وَإنْ تَبدَّى مُحالٌ فى الذى تَصِفُ
قالتْ بأنَّ دَواء الدَّاءِ يانِعَةٌ ... فى الوَرْدِ تَنْشَقُها نَشْقاً فَينْكشِفُ
حَمْراءُ صِرْفٌ .. بِلَوْنِ الدَّمِّ قانِيَةٌ ... وَقْتَ الشُّروقِ مِنَ الأكْمامِ تُقْتَطَفُ
واسْتيأسَ القَوْم مِنْ قَوْلٍ بِهِ خَطَلٌ ... يالَلنّصيح !! عَجُوزٌ حُكْمُها خَرِفُ
يالِلدَّواءِ !! مُحالٌ أنْ يُحَاط بِه ... أنّى لَهُ وَدَبيبُ الموْتِ يَزْدَلف ؟
حَمْراءُ فى الوَرد ؟ هذا المُستحيل فَما ... تَنْمو بأرْضٍ .. وما جاءتْ بِها الصُّدَفُ
فَالوَرْدُ حِينَئذٍ بَيْضاءُ صِبْغَتُهُ ... وغَيْرَ أبْيَضِهِ فى الكوْنِ ما عَرَفُوا !

سادَ السُّكونُ .. فلاَ وَقْعٌ هُناكَ سوى
مــا أوْدَعَ الحُزْنُ لَيْلاً كادَ ينْتَصف

كأَنَّ بـالكـون أنفـاساً تُرَدِّدُها
بِزَفْرة اليأْسِ فى أَحْشائِه السُّدَفُ

وَبـالغصُـونِ عَميـدٌ قـدْ أَلَـحَّ بـهِ ... داعى الوفاء .. وَأَضْنَى رُوحَهُ الأَسَفُ
عَيْناهُ مُسْبَلتا الأجْفـانِ مِنْ شَجَنٍ ... وَفى الجَـوانِـح قَلْبٌ مُتْعَـبٌ دَنِفُ
مُستَغْـرقَ الـرُّوح فى أمْـرٍ يُـراوِدُهُ ... ياللشَّجِىِّ !! لقدْ أوْدَى به السَّرَف
ففى الصَّباحِ مَع الإشْرَاقِ مَوْعِدهُ ... وَمَسـرحُ الوَعْـد شُبَّـاكٌ لـهُ طنَفُ
عَلَيْـهِ بعْضُ فُرُوعِ الـوَرْدِ زاحِفةٌ ... حَتّى تَـدُورَ مَع القُضْبـان تَـأْتَلفُ
هُنـاكَ وَفَّى بدَيْنِ العـاشِقـين وَمـا ... يقْضِى بِهِ الحُبُّ وَالإيثارُ وَالشَّـرفُ
وَأَسْلَمَ الرُّوحَ بَيْنَ الـورَد مُحْتَضناً ... عَـذْراءَ قَانِيـةً .. وَسْنَى لهـا رَفَفُ
لَفَّ الجَنـاحَـيْنِ فى حُبٍّ يُطـوِّقهُـا ... كَمـا يَضُـمُّ إليْـه الإلْفَـة الآلِـفُ
راعَتْ بِحُمْرَتِها ألْبـابَ مَنْ شَهدُوا ... فَحُمْـرةُ الوَرْدِ صِبْـغ ليْسَ يُعْترَفُ
ظَنُّوا بِها خَجَلاً .. حتّى إذا نَظَرُوا ... أَلْفَوْا لها شَوْكَةً فى الطَّوْقِ تَنْخَشِفُ
كـالسَّهْمِ مارِقَـةً فى القلبِ نـازِفَـةً ... مِنْـهُ الدِّمـاءُ عَلى الأَوْراقِ تَنْـدَلِفُ
حَتّى إذا انْتَزَفَتْ كُلَّ الـزَّكىِّ بَدَتْ ... حَمْـراءَ يـانِعَـةً تُغْـرِى فَتُقْتَطَف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مـاتَ الحُبُّ لتَحيا مَنْ إذا هَلكَتْ ... فالعَيْشُ مِنْ بَعْدِها فى عُرْفِهِ تَلَفُ

قالوُا : به سَرَفٌ ... كُلٌّ بِشِرْعَتِه
فى شِرْعَةِ الحُبِّ لا قَصْدٌ وَلا سَرَفُ

فإنْ سَمِعْتَ نَسِيبَ العَنْدَليب ضُحًى ... أَوْرَدَتْ شَجْوَهُ الأَسْحارُ وَالـزُّلَفُ
فَاذْكُرْ حِكايَتَهُ فى الحُبِّ .. إنَّ لَهـا ... فى رقَّـةِ الـوَرْدِ ظـلاً قـانيـاً يَـرِفُ
كـانَتْ حِكـايتُـهُ حُبًّـا وَتَضْحِيـةً ... ما سُطِّرتْ مِثْلَهـا فى عِلْمِنا صُحُفُ

محمد سلطان لطيف

حصاد الرحلة

حسن توفيق

يجتاحنى شوقى الجموحُ .. فلا يُصدُّ .. ولا يُردّ
شوقى .. خروجُ الموج من بحر إلى بر لكى يلقَى مصيراً غامضاً
فوق الحبيبات الرشيقه
روحى ترفرف فى حديقه
عطشاً إلى نبع وورْد
والنبع أصفى ما يكون
والعشب حول صفائه متلعثمٌ حيناً ، وحيناً مائل قَلِقُ الظنون
حين النسيم يداعب السطح الذى تتحول الموجاتُ فيه لأغنيات
يصطادها العشاقُ أو تغفو على صدر السكون
لكنَّ هذا النبع مثل الأمنيات الشاردات
متمنعٌ أبداً .. لكيلا ترتوى من مائه وصفائه إلا العيون
وتظل روحى فى الحديقه
أبداً ترفرف فى الحديقه
وحديقتى .. أزهارُهَا المتفتحاتُ لآلئ ، سكرتْ من اللغة الرقيقه
لغة الندى .. قبل التسرُّبِ فى نهارٍ من عسل
أو فى نهار .. تُولدُ الضوضاءُ فيه من الخطى والدمدمات
المستفيقه
وورودُهَا المترنحاتُ تميل من فِيض القُبل
حيث الفراشُ المستهامُ ينيم أجنحةً مزركشةً ملونةً بلون الحلمِ فى
أحلى منام
ليبثَّ أشواقَ الغرام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتظُّل روحى فى الحديقةِ صرخةً عَطْشَى
والغيمُ .. غيم الصدِّ يحجبُ ما تراءى من ورود
والصمت يُشْبِعُ صرختى ببروده نهشاً
والجو ينذر بالرعود
ياجالسينَ على ضفافِ النبع حيث الأغنيات الناعمات المؤنسات
هيا اشهدوا عَطَشِي الذى لا يستجير ولا يهون
هيا اشهدوا نحلَهْ
للورد .. تبتهلُ
ما أطيبَ الرحلهْ
لو أنها تَصِلُ
ياناظرينَ إلى الغصون
هيا انظروا لتروا دمى ينسابُ لكنْ لا يجف على الغصون المدميات
هيا اشهدوا شوقى الجموح
يسعى إلى وردَهْ
يسعى .. ويهزأ بالجروح
ويظل منطلقاً .. لكى يهدى لها وُدَّهْ
ياناظرين إلى الورود
لم أجْنِ غير الشوك فى زمنٍ يُلوِّحُ بالوعود ولا يفارقُ أو يجود

الدوحة : حسن توفيق

□□□

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسئلة علنية

عن عشق جديد

عبد الله السمطى

ما الذى غيّرنى ؟
ما الذى غيّر أبراج الأسى تحت ضلوعى ؟
ما الذى فجّر من حول مراثيها الحَماما ..
كيف أصبحت على نطفة فلٍّ هاربا
كيف تداعيتُ ، وخاصمت الغماما ؟
ما الذى غيّرنى ؟
كيف شقّتْ هذه الأرضُ دروبا تحت جلدى
فاستفاقت قبلات الله فى العشق
وأَرْختْ تحت عينىَّ المناما
كيف ماست هذه الشمس على كفِّى
فطارتْ وردة /ذاكرة بين عروقى
عندما هرّبتُ بالدمع الظلاما ؟
كيف حاصرتُ الصباحاتِ ..
وغيّرتُ مواقيت دمى فى الحزنِ
غيّرتُ أناشيد فمى فى البرقِ
غيّرت بأذن الموت رأسى
حين أغلقت على صوتى الكلاما ؟
ما الذى غيّرنى ؟
إن كوناً وَلِديًّا سارياً بين خلاياىَ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهل ثمة تاريخ على صدر المساءات يلاقينى ؟
وهل ثمة موّال ــ لبرقين صغيرين ــ يغنّى .. ؟
«جادك الغيث» على سنبلة العمر ويهدينى ــ لأحيا لغوانى ــ
من خوابى الدهر عاما
أم تنحيتُ عن الأشياء ..
أربكت قناديل البكا تحت جفونى
وتصدّعت على حائط قلبى
حين مرّت أبجديات دراويشَ
ونجْمات مجاذيب
وآهات خُزامَى
مالذى غيّرنى ؟
ما الذى غيّر مشوارى الخصوصىّ إلى نهر السماوات
إلى حيث ذرارى وجعى صامدة فى التيه ..
تقتات الفراديس ، وتجتثّ بأجسام المسافات العظاما ؟
ما الذى عبّر كالصيف عن الحبر ..
وخلّى شمس تموّز على أوراق أحزانى تفوح
ما الذى ألغى ربيعاً راقصاً تحت الأصابعْ
ورمى البحر .. رمى الشطآن فى خدّ الندى
وابتاع من النار المدامعْ
ومن الريح الزوابعْ
ومن الشعر المرابعْ ؟
مالذى كذّبنى ؟
من بعد أن صدقتُ أحلامى وألبستُ السحاباتِ قميصى
ولَدَيْها ضمَّدَتْ جُرحى الجروحُ
آه ياحبُّ لماذا ؟
تجرح الأرض وتنسيها مراثىَّ
وترمى وسوساتى ، وشجيرات نحيبى
نحو طير لا يؤاسى ؟
أبقلبى يجرح الدهر ويأسو
آه ياحب لماذا
تذبح الوقت على جثة سهدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولماذا منذ قرنين من الآهات لم تكبرْ
بإشراقات ليلاتى شمسُ ؟
ولماذا صارت الفوضى بكفّ الريح سيفا
ودمى صار نبيًّا
بفم الصحراء يستفتى المُدامَا

آه ياحب لماذا
غيّرتنى منذ عامين ــ على شعرىَ هذا
وعلى جرحَى هذا
فى بلادى هذه
فى شهورى هذه ؟
غيّرتنى كلمات سقطت كالفلّ من تحت اليديْنِ ..
غيّرتنى نظراتُ
ترجمَ البدرُ معانيها
ودسّ القلب خلف الناظريْنِ
بعد أن كنت أدسُّ النخل فى أعضاء أعضائى
بعد أن صرت بترحالى أُديسيوسْ
أقرأ الشطآن من داخل حزنى
آه ياربى لماذا ؟
لا يطير الكون من قلب الأنوثةْ
لا تضىء الأبجديات ، بنون النسوةْ
إن قلبا ليس فيه امرأة
هو قلب علّق الروح على قضبان سجْنِ ..
فرحُ بالحبّ قلبى
كيف فى غاباته أُلقى عصا عمرى
وفى مزماره / السّحر .. أغنّى ..
غيرتْنى .. غيّرتْنى
فأماناً أيها الحب أياسيّد وقتى ..
لا تكسّرْ دهشتى ..
كينونتى طالعة من فرحتى ..
لا ترتكبْ هجراً وحيداً
فأنا هيّأتُ هجراتى بعينيها .. وهيّأتُ المقاما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأماناً أيها الحب أياسيد روحى ..
حُلّ فى كل شىء
فى العصافير ــ العناقيد ــ المسافات ــ الكلامات ــ الفضاءات ــ
الشجيرات
ندَى لبلابةٍ عرشت القلب ..
يدَىْ طفلٍ يمرُّ النَّهد فى فيه فلا يبغى الفطاما
وأماناً أيها الحبّ أياسيّد بوْحى ..
أعطنى من فمها سكرة عشقٍ ..
كى يصبح البحْرُ من حولى ياسكران
حتى أرشف القبلة من صهبائه بوحاً وأكواناً غراما ..
ــ مالذى غيّرنى ؟..
ــ غيّرتنى ..
ــ ما الذى غيّرنى ؟
ــ سكنتنى ..
ــ ماالذى غيّرنى ؟
ــ قتلتنى .. قتلتنى
فلماذا أُقرىء الدنيا السلاما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القاهرة : عبد الله السمطى

إيـــزيـــس

○ نعـــيم صبـــرى

ولكَمْ تُغرينى كلَّ صباحٍ .. كلَّ صباحْ
ولكَمْ تُغرينى كلَّ مساءْ
فى ضوء شعاع السَّحَر الناهض ، راحت تسرى
موجةُ سحْرٍ ، رعشةُ حُلمٍ ، دَفقةُ أنثى ، أنَّهُ آهٍ ،
فارت ثم توارت فى سردابِ الجسد الوسنانْ
قهر النومُ الصحوَ المتثائبَ والكسلانْ
لفحتنى أنفاسٌ حَرَّى
ورأيت ذراعين لأعلى ، فإذا بهما دلتا نهرٍ
فى وجدانى الظمآنْ
فعببت الماء عجولاً حتى أَروَى
ورأيت اللؤلؤَ فوق جبينٍ نعسانْ
أنفاسٌ حَرّى
ظمأٌ يُروى
وأنا ... وأنا مفتونٌ بالإغراءِ وبالأشجانْ
أشجانٌ ترحلُ ، تأتى ، ترحل ، تأتى .... أشجانْ
مأخوذاً أخرجُ حيثُ الفجرُ وحيث اللون الفضةُ والآفاقُ
الورديةُ فوق جبين الكونْ

أتجول فى شريانٍ يدخلُ فى شريانْ
أتسمعُ نبضَ القلبِ النائمِ ، نبضَ القلبِ المُرهَقِ
من إجهادِ الخفقانْ
أتسمع بعضَ نحيبٍ يأتى من أزمانٍ ضاعت فى النسيانْ
من أسمعُ ؟ ! .. لاَ
إيزيسْ ؟
اختلط الأمرُ عَلَىّ .

* * *

تُغرينى تلك الأنثى كلَّ مساءْ
تتزيّن بالألوانِ وبالأضواءْ
وتصفف شَعْراً كالليلِ المنسابِ على الأحياءْ
أفتح أبوابى ..
وأهيم على طرقات الشَّعر الحالِك قبل ظهورِ القمرِ الوضّاءْ
أتصبب عرقاً .. أنداءْ
اتسمعُ بعض نحيبٍ يأتى من أحشاءِ الليلْ
من أسمعُ ؟ ... لا
إيزيسُ هناكْ !

ولَكَم تغرينى تلك الأنثى كلَّ خريفْ
تتساقطُ أوراقُ الأشجارْ
تتعرَّى
أتعرَّى
أتسمَعُ ذاكَ الصوتْ
من أسمعُ ؟ .. لا
إيزيسْ !
فى كل شتاءْ
ينهمر عليها الماءْ
يغسلها
تشعر بالرعشةِ من عنف البرد القارسْ
تأتى نحوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقفز فى حِضْنى
تلثمنى
أتصبب عرقاً .. أنداء
أتسمعُ أيضاً ذاك الصوتْ
يختنق الدمع بأحداقى
فأضمُّ الصوتَ الآتى من أزمانِ البُعدِ هناكْ
وتنوح بصدرى إيزيسْ

* * *

وَلَكَمْ تغرينى حقاً كلُّ ربيعْ
تورقُ أشجارُ التوتِ وكلُّ نخيلِ الوادى والصحراءْ
تورقُ فيها الأنثى ألواناً من إغراءْ
فأذوب حناناً .. وهُياماً
وأفكرُ ماذا أفعلُ كى أمتزجَ ببهجتها
كى أمسحَ دمعتَها
أتحرّق شوقاً للآتى
أخطبها من أوزيريسْ
يمنحنى إيّاها
يوصينى
أن أرعاها
حين يموتْ

القاهرة : نعيم صبرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصيدتان

١ • من ؟

على منصور

من يطارد تلك الوجوهْ
الوجوه التى هرولت من عيونى على درج (المصلحةْ)
الوجوه التى هطلت قلقا عند بابْ
الوجوه التى فجأةً ..
هدأت حول ماكينة (لتُصوِّر مُستنداتْ)
الوجوه التى فرحت حين
أقبلت الحافلة
الوجوه التى قلّبت خلسةً فى الجريدة ثم انتهت لمحل (عصير القصبْ)
الوجوه التى عَبَرت واجهات المحلّ الكبير المضاءْ
بخطىً ضائعه
الوجوه التى ..
وحدها الرقصة العارية
أطعمت جوعها فى الليالى ، الليالى البعيدة
من يطارد تلك الوجوه
الوجوه التى ، آه ، ما فكرت مرة بالسؤال !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ • صراخ

مرّةً أوْمأتْ بالأريج
مرّة
ثم ثغر الحياء انبلجْ
مرّتينْ
بعدها ، أدمن القلبُ قفز الدَرجْ
والخراباتُ
— فى بهجةٍ —
يقترحْن الحدائق همسا ...
على خطوتينْ
فجأة لا أريجْ
فجأة لا درجْ
فجأة ..
تصرخ البئر بالقصّتين !

القاهرة : على منصور

تكوين
الحلم والابتداء*

جلال عبد الكريم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تكـــوين

كونٌ يترنح .
يتشبثُ بالأخضر من ألوان الطيف
تنفكُّ الألوانُ خيوطاً تتعلقُ عليها كلُ عيونِ الأرض .
وتتعلقُ منها ، تتأرجحُ
بين الموتِ وبينى .

الحـــلم

سيفٌ يتدلّى من عنقى .
سيفٌ فى مرمى البصرِ وسيفٌ فى قبضةِ قلبى .
شجرُ الكونِ رقابٌ وحِرابٌ تنظرنى
والموتُ صهيلٌ تحت سنابكه تتفتحُ كلُّ جروحِ الأرضِ
فينبجسُ الدمُّ الدافئُ من أجسادِ الشهداءِ .
كان قتالٌ بين الموتِ وبينى
وهنالك عند الحافة كنتِ تنامين

مغلَقةٌ عيناك على حلمٍ قزَحىٍّ يتلوّنُ حين
أغوصُ بنصلى فى جوفِ الموتْ
يتبدد حين يمدُّ الموتُ حرابا فى دمّى .
أدخلُ فى الموتِ ويستقبلنى
شجرُ الكونِ يمدّ جذوراً فى دفءِ دمائى
أتشبّثُ بالأخضر من ألوانِ الطيفِ فيخذلنى
أترنّحُ عند الحافّةِ وأراكِ هنالك تنفتحين
وكنتِ على الموتِ تنادين .

الابتداء

كانت عيناكِ على خيط الأصفرِ تنغلقان .
أخرجُ من جوفِ الموتِ على قدمىٍّ ودِرْعى مثخنةٌ
ودمائى تَهدِرُ فى نبضِ الشهداء .
كان الموتُ يحلّقُ فوق النهرِ الدافىءِ ، يهبطُ ، يطعنُ
تحتضنُ ضفافُك نصْلَ الموتِ وترتجين ، وتشهقُ
ألوانُ الطيفِ بعينيكِ ، تغوصُ أظافرُكِ الآن بظهرِ الموتِ
وإسمى بين الشهقات تنادين .

القاهرة : جلال عبد الكريم

(*) تختتم هذه القصيدة ثلاثية « الحلم والابتداء » التى نشر اول أجزائها فى عدد مايو / يونية ١٩٨٩ من مجلة ابداع ، ونشر الثانى فى عدد فبراير ١٩٩٠ من المجلة .

شوق

عماد الدين محمد شوقى

عشرون سيدةً وكأس من دمى وأنا ...
أداعب طائراً يشدو ...
فألمح فى حنايا صوته مطراً وخارطةً وأُمّاً ثاكلهْ
مليون سيدةٍ تسافر فى دَمى ..
تمتدُّ فى وجعى كحدِّ المقصَلهْ
وأنا على شجر المحبةِ ...
طارحٌ فى كل فصلٍ مُجْدِبٍ .. ثمراً لهنّ
...
يا أيها الفرحُ المُسَرْبَلُ بالوحولِ وبالجنونِ ..
ومن أعاصير الظما كان البراق لقمَّةِ الموت الفريدْ
أصداءُ همهمةٍ تُغمغم فى مدى البحر الجموحِ ..
تهبُّ عاصفةٌ ونوءٌ آخرٌ وتجىء عاشقةٌ بكامل عطرها وصباحها
لتروِّض البحر الجموحْ ..
عجباً لتلكَ عذوبةٍ صوفيّةٍ من ذلك النخل الجحودْ
سحقتْ بقلبى وردةً بدويَّةً
وأباحت اللّقيا رصيفاً للتَّسكُّعِ فى دهاليز العبيدْ
فجعلتُ من جسدى بساطاً للصلاَة وللأقانيم الصباحِ ..
رجوتُ أن آتى إليكِ كيوسف
ولأنتِ أصدقُ من زليخةَ فى هواها
إن رددْتِ الباب فى وجهى الصفيقِ ..
أعودُ ..
أجمع خيبتى وأحسُّ بالوجع الجميلِ يمزِّق السحبَ الصموتةَ ..
فالحقيبة صاحبى .. ولآخر العُمُرِ
آه من الورد المدجج بالبَراءةِ كيفَ يغزونى ويتركنى ..
أسيرَ مواسم المطرِ ..

القاهرة : عماد الدين محمد شوقى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ياسر

* إلى روح ابن أخى .

النجمةُ منْ زمنٍ كانتْ /ترنُو لجوارِكَ
بالقربِ الراقى منها لمدارِكَ ..
عندَ سماواتِ الصدِّيقينَ القُصْوَى

فلماذا خَلَّيْتَ النجمةَ والهةً تَبْكى ..
وهجرتَ مَدَارَكَ بينَ الأفلاكِ البُعْدَى
وتركتَ النجماتِ الأخرى /يبكينَكَ
بالدمعِ
الهَامِى ؟

ولماذَا نَفَّضْتَ الريشَ الذهبىَّ اللأَمعَ
عنَك
على زبدِ الماءِ المتلاطِمِ عنَد مناظرنا الخيريَةِ
حتى واتاك السِّرُّ المَأْسورُ ..
وحتَّى صرتَ على الموجِ الجانِى /ورداً للنِّيل
تنوحُ عليكَ ثَكَالَى أربعةٌ ؟

أفأعجبكَ النيلُ الحانِى ؟
أَمْ راقَكَ أنْ /تسرى
منْ منزلكَ النَّجْمِى
إلى /هذا الماءِ النَّيلىِّ

سعيد ربيع

لِكَى تختارَ
قَبابَ الماءِ
بديلاً ؟
أقسمُ ـــ بالرحمنِ ـ بمن سوَّاك ..
وأنزلَ جِسْمَكَ
عند الفُلْكِ
ليجْرىَ فى النَّهْرِ المفطورِ بأمرهِ
فى لُجَجِ الظُّلُمات
طوى
فتزَيَّى أوشمةَ الصمتِ الأبدىَّ النافذِ فى النَّاسُوتِ
وأطبقَ منكَ ـ على ياقوتِ الحقِّ المستورِ ـ الأجفانَ
وأعلى روحَكَ فى درجاتِ تَرقِّيها /نحو الملكوتِ
لتعرجَ فى أنوارِ اللاهوتِ الأسْمَى
ولتعرجَ تسبحُ تسبحُ ..
تشرقُ تشرقُ ..
من سُبُحِ الرحموتِ
على أَنْ كوْنُكَ حين بكيتَ بصرخَتِك الأولى ..
خوفاً من أهوالِ الرهبوتِ
وحينَ شَهَقْتَ بِشَهْقَتِك الأخرى
طمعاً فى أحوالِ الرغبوتِ ..
فمقدورٌ هذا ..
مكتوبٌ فى اللَّوحِ المحفوظ
ومذكورٌ فَى صَدْرِ كِتَابِكَ
فاعلمْ مَا هُوَ لَكْ .

وأعيذُكَ
مِمَّا كَانَ وَممَّا سَوْفَ يَكُونُ
بباءِ البسملةِ العُظْمى ..
وبكافِ الكَافى ..
ثُمَّ بنونِ النون

فَقُمْ .. وتَحَمَّمْ قبلَ مساءِ الغَىِّ الدَّاجى الإنسانِىْ ..
بصباحِ هُدَى النُّورِ الصَّمَدِىْ ..

وتحَّررْ منذُ الآنَ
مِنَ الرِّيشِ الذهبىِّ ..
مِنَ الوِرْدِ النِّيلىْ

هَيَّا ..
أنزِلْ عَنْ حَالِكَ أَحْمَالَكْ
وأرفَعْ مِنْ بَالِك أَثْقَالَكْ
وتخفَّفْ لطْفاً واستَعففْ
واخرُجْ لِمُرادِكَ مِنْ دَارِكْ ..
وَانْشُرْ كَفَّيْك مُشَرَّعتين سَنَا
برياحِ الجَنَّةِ مُتْرَعَتَيْنْ هَنَا ..
فالشمسُ الآنَ على الأغصانِ تلاطِفُ وَجْهاً طَيْفيَّاً نُورَانِّياً
وتخيْر قاصرةً للطرفِ تقرُبَها عَيْنَاً
حَوْراءَ مِنَ الحورِ العِينِ الفُضْلى
مُرْتَاحاً مِنْ زَيْفِ الدُّنْيَا
مَعْصوماً مِنْ نيران الغِشْ

وَاهْنَأْ برفَاقَكَ ياولدى .. وانْعَمْ ..
نِعْمَ الرفقاءُ الأبرارُ الشهداءُ
ولا تَقْلَقْ فى عَيْشِكَ منذُ الآنَ
فإنَّ الجَنَّةَ لا تَلْقَى أَمْثَالَكَ إلاَّ بالأَحْضَانِ ..
فَعِشْ ..
عِشْ .

القاهرة . سعيد ربيع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هدهدة للطفل

حتى ينـــــام

حســن النجــار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دخلتْ سرير نعاسها البريِّ ثم
استطلعتْ مُدناً وراء سديلة الخَلَوات :
هذا طفلىَ الملكىُّ يتبعنى إلى وادى
الملوك ، ينثُّ رائحة الجياد على مفارش
خطوتى البيضاء .. يحمل عن قُرىَ جسدى
غلال مواسم التحميل ..
ياملك الملوك :
أما رأيتَ زمانى المغلوبَ ؟
هذا سيفه الخشبىّ
مَن ردَّ المغول وقام قومة أهله !
يرمى على جسدى متاع البيت ،
أقسم أن لى جسداً ينوء بدوره
الأفلاك ،
ياولدى الشقىّ .. أما كفاك ؟
يغيب عن عينى ،
فأهرع مُرّة الثديين أسأل عنه
حُراس الحدودِ :
أما رأيتم سيّدى بين الرجال
يصوغ رودة لحمه شجراً
ويلبس خوذة الغزواتِ ؟
أقسم أن لى جسداً سيرجعه إلىَّ ،
أراه مختبئا يغطّ على سرير مطالعات
الريح .. ما بين الضفيرة والجسد .

القاهرة : حسن النجار

قـــــــراءة

فى عينى أحمد

● على أحمد هلال

حدِّقْ ..
لقوافل الطير الخرافىّ المهاجرْ
وامسح بكفّيك الهواءَ
هذى ابتسامتك التى تنسابُ
من حولى فتخضرُّ الرؤى
وتناغُمُ الملكوت .. ترجيعُ العصافير الطليقة
قسَماً بعينيك اللتين تعانقان سفائنَ
الحلم الكبير ولحظة المدّ المحاصر
إنى قرأتك والمدى نسج من البلورِ
والشفقِ المطرز باليمام اليثربى
فجرت فى صحراء قلبى من ينابيع التوقد
واشتعال الرغبة الخضراء
ملحمة الفصول ..

حدِّقْ ..
واقرأ طوالعنا الخبيئة وابتسم
ذيَّلتَ بسمتك الوضيئة بالبكاءِ
الصامتِ الموصول بالشجر الخرافىّ الملوّنِ
بالحمام وبالعصافير الغريبهْ ..
صافحْ بكفيّك الملائك وابتسمْ
واترك على كل الوجوه يمامةً حيرى ..
وغزالُ عينيك المشاكسُ لا يقر بأى أرضْ
صافح بوجهك أوجه الأجداد والأبناءِ
حين يمرُ فى عينيك تاريخ القوافل والبلاد
وحين تنكشف الرؤى ...
ها .. كل من جلسوا على حرف الترقب
قبل أن يخضرَّ فى عينىّ ميلادُ الحروفِ
البسمة .. الشمس ، استقاموا للصلاة
خاطب بعينيك الوسيعةِ مهرجانَ الضوءُ
ذرّات الغبارة ...
وفراشةَ الأمل المراوغ .. سوسناتِ الحلم
أزهار النهارْ
واحضِن بعينيْك الخصيبةِ وجه أمّك
حين يفجؤك البكاءُ
وحين تغدو بين عالمك الخرافى ابتسمْ
واقرأ وجوه الجالسينْ
اقرأ طوالعنا الخبيئة وابتسمْ ...

رملة الأنجب ــ منوفية : على أحمد هلال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

زفـــــرة

محمد القلاوى

ما يستقر بكَ المقامُ ،
ولا يدومُ لك السفرْ
رجمتكَ عين الناظرينَ
وما تزال حقائب الأسفار بين يديكَ والأضلاع
مشْرعةً تراوحُ فى ضجرْ
مشدودةٌ قدماكَ بالأفخاخ بعد عبورِ أنهارِ الجنونِ
مفزَّعاً من ضفّه الأغوار عُدْتَ ،
تجرُ أنْفَالَ انكسارك
صَدِئت ثيابُ صبَاكَ
حينَ خلعْت أسماء الشهودِ على مناجيم ذاتكْ
وأبحت بومةً رَمْسكَ المطمورِ بالصحراء ـ صوتك
فلتنمْ حتى تطير اذا رأتْ مس المطرْ
تستنفر الأشباح مذ سُملت
عيونُ عصاكَ
فاغترف الحصى بمواضعِ الأقدامِ
تنفخُ فيه من سَبحاتِ وجدك نفثةً
فتباغتُ الشوق الفتىَ
تمضى مُخَلاً كالدجاجة ما دَرَتْ أرضَ المخاض
فيلعب الصبيان بالرمز العتىَ
طيات دهشتك العجوز
تقطعت بحواف اسباب التمالكَ .
عندما عمَّ الفراغُ
وخلف ظهرك دوَّمتْ أنوار صَحْوكَ
ما التفت فصرت تمثالا من الملح الحزين
مخضبا بالقهر كيف تعود عرياناً
فتجفل منكَ اغصان الشجَرْ ؟
عد للكهوف لعلها تحنو عليك !

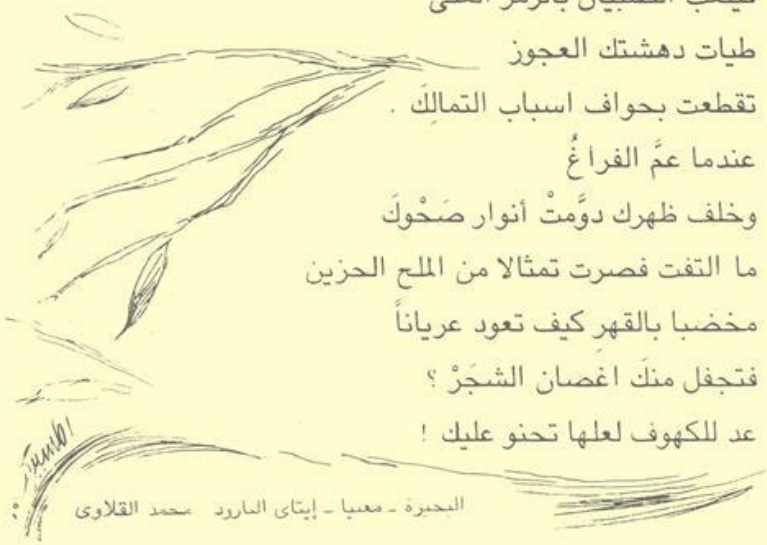

البحيرة ـ معبا ـ إيتاى البارود محمد القلاوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصائد

مختار عيسى

حيرة

وعلى زجاج القلب ليلاً
نقّرتْ .
فتأرّق النّوّمانُ
صاحَ ،
فأدبرتْ
فتناوم اليقْظانُ
أرقَ الفتى
ليلاً تنظّرها ، فلم تُقبِل ..
ياذُلّهُ
حيرانُ .

نبـــوءة :

تفتحُ جرحك للرّيح ،
وتُعلنُ — فى غضبٍ — رفضَك ...
إسماً يحمل ميلادَك ،
تخلُع ثوب أبيكَ ،
وذاكرةَ الرّفقاء على العتباتِ ...
كأكوام القشْ ،
وتغادرُ عُشّكَ :
طفلاً يحملُ ذاكرةً شاختْ
تقذفُ فى وجه زمانك قفّازاً
من ذُلّ ،
وكنّك تقرأُ آتيكْ !
تصرخُ — فى بَلَهٍ — :
أرفُضكُم ،
وتموتْ !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحول : مُذ زغرد فى قلبْينا الرُّوح الشاعر
وَتلبَّسنا النغمُ الطفلُ ،
وامتلكتنا الطرقاتُ مغنِّيَنِ
شريدَيْن .
وأنا أعرفُه
يعرفُنى ..
الواحِدَ كنّا
لكّنا ...
حينَ اشتعلت جذوتُنا
باضتْ فى قشّ حظائرنا
النسوةْ ،
انشطر الواحدُ فينا
صرْنا غرباءْ !

أيمن : شافَ الطير الصدّاحَ
(يغازل نجماً ،
ويحاورُ كون الله ،
ويجلسُ ــ متكئا ــ فوق سرير النورْ)
غافل أفْئدة الحرّاسِ ،
وغادَرَ آنِيَة الأمّ ،
وأشرع فى بحر الكشف قلاعَهْ .
طار يُثّقب فى سور البْرقِ ؛
لينفذ نحو السرّ ! .
يكّلمَ مولاهْ !.
لكنّ ملائكةً غُفلاً ،
وجنوداً غيّارينَ ..
رأوهُ ،
رَمَوْهُ ،
تساقطَ من علّيينَ
انكَسرتْ أحلامُ الطفلْ !
.....

كلّ صباح ...
يلبسُ « أيمنُ » خُضرَتَهُ ،
وينظُر نحو الله
يتحَسُس كسْر القلبِ ،
وتدمعُ عيناهْ ! .

المحلة الكبرى ــ مختار عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومضات

لطفى عبد المعطى مطاوع

شوكة

أشعلتْ بسمةً
لوَّحت لى بكفِّ الفراقِ ،
مَضَتْ — وَمَضت — فى شحوب المساءِ .
تدوسُ ،
تدوسُ ،
تخشخشُ — فوق هشيم الفؤادِ ،
وتوغلُ بين الدماءِ ،
تَمدَّدُ ،
يورق فيه الأسى المستبد ،
الفراغ الدَّفينْ
رَحَلَتْ فى الزمان البعيدِ ،
مُخلِّفةً مِزقاً من مُنىً
شوكةً فى الضميرْ .

* * *

وداعاً

أَرْسَلَتْ يدها
لوَّحت فى الفراغِ ،
بَكَتْ :
حين ثار الغبارُ ،
وحوَّم فوق الرؤوسِ عواءُ القطارِ ،
هنالكَ ،
طار يمامُ العيونِ ،
وحطَّ بكف رصيف الوداعِ ،
وقَرْ ....

* * *

وميض

كانت الشمسُ داميةً
فى رؤوس المفارقْ
حين فارقَ أهل المدينة أَجْمعَهمْ
وتهادى إلى البحرِ ،
يطوى بمعطفه ذكرياتُ الوصالِ ،
ويمضغ قافيةً
ليس يذكر صاحبها
وأطالَ الوقوفَ ،
أمام وميضِ الطيورِ الحزينةِ ،
— بين يدَىْ حضرة البحرِ — ،
يشرقُ فى مقلتيهِ ،
جلالُ الدموعْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحلة الكبرى : لطفى عبد المعطى مطاوع

فـــيما أرى ...

شـــريـــف رزق

١

تكونينَ أقْربَ منِّى إلىَّ ، وأبعدنى ... تكونينَ أُمْنيةَ السَّيسبانِ وبَوْحَ العصافير للشجَرِ المُتكبر ، فى رئتىَّ ، تكونينَ نافورةً فى جبين الرِّيَاح ، يَكون المدىٰ وَرْدَةً كالدِّهان ، يكونُ الفضاءُ مرَايا ، تكون المرايا مرايَا ، وأهْتفُ :

إنِّى
أُحبُّكِ ... أتْرُكُ شِعْرِى علىٰ شفتيْكِ ، وأطْوىِ بجسمى جزائرَ جِسمِكِ

أهْتفُ : إنىّ
أُحبُّكِ•كانَ المدىٰ وَرْدَتين ، وصوْتُكِ كان يدثّرنى فى شوارع جسمِكِ ، كان الرّحيلُ يُضيّعُنى ، وأناملُ عينيْكِ ــ فى البُعدِ ــ تعْرفُ كيفَ تُعيدُ صِياغةَ عُمرى•يكون المدىٰ نورسين ، تكونينَ أُنْشودةَ البحر ، كيْفَ سَأُوقِفُ عاطفة البحرِ تجرفُنى ؟ كيف ؟ لاعاصَمَ اليومَ لى غير جِسمِكِ ، سَيّدةَ البحرِ ، يا فضةَ الشَّمسِ ، إنِّى
أُحبُّكِ ، صحْتُ ، دخلتُ ، اخْتفتْ فى السّماءِ السّماءُ يكون مساءٌ أُغادرُ وجْهى علىٰ حِجْرِ أُمى ، وأحْملُ فى جسدِى البيْتَ ، أرْحَلُ فَوْقَ زَفيْرك ، أنْحلُ ، أنْحلُ ، أنْحلُ ... تكْسرنى الرِّيحُ ، لكَنَ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ فى البُعدِ ـ نعْرِفُ كَيْفَ تُعيدُ صياغةَ جسْمى انامِلُ عينْيكِ ، اَهْذِى :

أُحبُّك ● نَهْرٌ

بَعيْدٌ يُذوِّبُ جسمى . كَأَنَّكِ لَمْ تَقْتُلينى ، كَأَنَّكِ ... عَيْنَاكِ واسعتانِ ، وَوَجْهُكِ كانَ المَدىٰ شَادِيا ، وكأنَّكِ ... اهْذِى :

أُحبُّكِ ● وَجْهى

يُغادِرُنى ـ صخَبٌ نابضٌ . وخيولٌ كما البرقُ تَمْرقُ فى جسدى ، فى صهيلٍ بهىٍّ ، وتُرجعنى ليديكِ ، فأهْتفُ ، اهْتفُ : إنِّى

أحبُّكِ ... ●

٢

رئمٌ يتوشَّحُنى ، يتوغَّلُ فَوق رمال الصَّبحِ وحيداً ، ، رئمٌ مِمْراحٌ ، أتسرَّبُ مِنْ سُرَّتِه ، وأجىءُ إلىٰ وَجعٍ يتلف تحتَ عنَاقيدِ الصَّفصافِ ، وأنْت تجيئين ـ تظلين تجيئين ـ دلالاتٍ تيّاهاتٍ وتغيبْينَ ، وجسمى فوْقَ حشائشك اسْترخىٰ ـ تحت عناقيد الصَّفصافِ أنامُ . الرِّئمُ اسْترسلَ فى أحْراشِ البْهجَةِ . والرّؤيا سالت مِنْ أغصان الشمس . الشَّجرُ الغامِضُ فوَّاحٌ وكليمٌ . وإذَا فى خاصرة الأفْقِ الشمسُ اقتْعَدَتْ ، وتملَّتْ جِلْسَتَها ، واحْتَجَبتْ وإذَا الهمساتُ الوهّاجاتُ ـ هُناك ـ انْطفأتْ ... تأْتينَ ، إذا أصْحو مِنْ رَحِمِ الليْلِ ، وتُلقينَ عَلىٰ جِسمى جسمى ، وتغيْبِنَ مُباغِتةً ...

٣

كَانتْ
ستخرجُ مِنْ جراحى الخيْلُ ـ صَاهِلَةً ـ
ستدخلُ فى مرايا الأُفْقِ ، إذْ وَحْدِى

وَقَفْتُ عَلىٰ تُرَابٍ ، جائعٍ
فيمَا أرَىٰ :

أمضى .....

ويفتحُ لى المدىٰ
ابوابهُ ...

طُرُقٌ
تُسلِّمُنى إلىٰ طُرُقٍ ، تُسلِّمُنى إلىٰ
طُرُقٍ ، تُسلِّمُنى إلىٰ .....

فيما أرىٰ :
اعْدو ... ويتبعُنى الأُنَاسُ الكادِحونَ ، نَلوذُ
بالقُبَبَ الخفيضةِ ، سَوْفَ أهْذِى إذْ تُحاصِرُنا
خُيولُ النَّارِ ، مُحتدما ، وإذْ يلجُ الأُنَاسُ الكادحونَ دَمى أرىٰ
ــ فيْمَا أرىٰ ــ شَجَراً يجىءُ ، ولا يَبِيْنُ ....

منوف : شريف رزق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تـــأويل | مرثية تجىء

أحمد ابو زيد

أَجرُّ اغترابى وأمشى
إلى حيثُ قدَّرتُ لا حيث قُدِّرَ لى
وحيداً ..
أنا اخترتُ من صُرّةِ الأرضِ
.. واحدةً ليس فيها سواى
وأبطأتُ فى البحرِ حتى فقدتُ المراكبَ
.. واحدةً تلو أخرى
إلى أبوىْ
(هى الريحُ مُتّكئِى ومجاديفُ روحى وأشرعتى وغِنَاى)
حزيناً ..
كما خَيّرتنى همومُ القصيدةِ
مُتّحداً ــ كالسنابكِ فى الخيلِ ــ
.. تُعلننى فى قوائمها
.. وأَشدُّ لها ذائباً فى خُطاى
ومنفرداً بالطريق / الجبالِ
وأُعلنها بالرؤى وامتدادِ الخيالْ

أجرُّ اغترابى وأمشى
إلى أىِّ أرضٍ تنبّأ لى باسمها الجُرحُ .. أمشى
وأحملُ من كُلِّ غُصنٍ يُظللّنى فى الرحيلِ فسيله
وأغرسها تحت جلدى أميناً بها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. وشغوفاً بشَدّتها فى الضلوعِ
أقولُ غداً
.. حين أرشقُ جسمِىَ
.. فى هجرةِ العائدينَ أُقَصِّصُ أعوادها فى دمى
.. وأفصّلُ نعشى :
قريباً إلى بدنى وأليفاً لدىْ
(فقد كُنتُ أخزنهُ عند ذاكرتى
.. ثُمَّ صار كذاكرةٍ تحتوينى
وترحلُ بى كالمراكبِ للشمسِ
.. مؤتلقاً كإلهْ
إلى أىّ كوكبةٍ فى السديمِ
: فقد أدركتنى لطولِ معاشرتى فى الرحيلِ
وتعرفُ سرّى
وتَعرفُ كيف تحدّدُ لى الاتجاهْ)
أقولُ غداً
وأجرُّ اغترابى وأمشى
إلى حيث قَدَّرتُ لا حيث قُدِّرَ لى .

القاهرة : احمد ابو زيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

..... الديار ... التى لأميمة

● على عبد الدايم

قال لى المطرْ
« انْتَ مرّ .. وحيداً
يخاتلكَ الشارعُ الطويلْ
والمصابيحُ مغروسةٌ فى ضباب العوادمِ
والفتياتُ ركنَّ رغائبهنَّ الى غَسَقٍ
وبدأنَ الرحيلْ
أيُّها المتعبُ
لن تعيش طويلا
لكيما ترانى

.....

إنه القلبُ مزدحمٌ بالتباريحِ ــ
يالغةً لم تعدْ تستطيعُ الدخولَ الىَّ ..
ويالغةً أثقلتها الجماداتُ فانكفأتْ للزوالِ ..
أيا لغةً للتباريحِ ..
كيفَ الخروجُ إلى امرأةٍ بالغمامِ الفسيحِ ..
وكيفَ احطُّ على لَهَبٍ
من بلادٍ تعذَّبَ من أجلها الراحلونَ
بلادٍ ستضحكُ اذ يضحكُ القلبُ من وجعٍ
ثم تَضْحكُ عمّا بكاءٍ جميلٍ ،
وتبعثُ للنخلِ زهوتَها
وتناقشُ أحزانها .. تتهيأُ لى
إننى الريح يالغةً لا تبينُ
ويامرأةً
تستكينُ ولى فى النخيلِ بلادٌ
بلادٌ يحطُّ اليمامُ إليها
وينذرُ فتيانَها للصهيلْ

.....

إنه القلبُ مزدحمٌ بالتباريحْ .
الشوارعُ مرهقةٌ
والديُار التى لأميمةَ تعلو
وتُسقِطُ أبناءها فى حصارِ الحساباتِ .
فى أرَقٍ من خروجٍ جديدٍ لعصفورةٍ وهى تسعى
وفى الموتِ دونَ الحلولِ
ودونَ مواريثَ أو وارثينَ يصيرونَ نخلا
يصيرونَ زهوَ الصباحاتِ ــ
ــ مزدانةً بالخضارِ الندىِّ
يصيرونَ فيها دماً شامخاً
ببرقاً
وقتيلْ

.....

السلام عليكِ ديارَ أميمةَ خاويةً
فارتقى للسماءِ ،
الى سقطةٍ فى العراءِ
ستستوحشينَ الذى كُنْتِهِ

الاسكندرية - على عبد الدايم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قراءة فى رواية « البكاء على الأطلال »

الحياة تحت ظلال الحب والفن والموت

حسين عيد

رحل عنا الروائى الأردنى غالب هلسا ..
رحل عنا وهو فى قمة نضجه الفنى ..

كان فنانا واعيا ، دارسا . قرأ فى تراثنا العربى واستوعبه تابع الانتاج الروائى والقصصى المصرى والعربى وتمثله ، اطلع على فن القص الأجنبى وتفهمه ، واختار لفنه ـ بموهبته المتدفقة ووعيه الجاد ـ طريقا تجريبيا خاصا ، محفوفا بالمخاطر . كان طموحه أن تكون حياته فنه وأن يكون فنه حياته .. أو كما عبّر بطل روايته « الضحك » حين قال « مازلت أعتقد أن الصدق يستلزم من الكاتب أن يكتب حكاية لا تنتهى أبدا ، وأن عليه أن يكتب فى آخر صفحاتها اعتذاره : لا أستطيع أن أمضى أكثر من ذلك لأن على أن أموت ... » .

ويعنى غالب بالصدق هنا ، صدق التعبير الفنى عن واقع حياته المعيشة من هذا المنطلق كانت محاولاته التجريبية للاقتراب من الحياة أو حتى تكون رواياته واقعية ـ كالحياة ـ يجب أن تستمر حكاية واحدة لا تنتهى أبدا إلاّ بالموت شأن الحياة البشرية نفسها ..

أمّا لماذا اختار هذا المجال ؟ .. فيوضحه عدد من آرائه التى سبق أن نشرها ضمن دراساته النقدية : حين ركز على جانبين ضروريين بالنسبة للمبدع : أولهما « أن منطقة الأمان بالنسبة للكاتب هى الواقع ـ التجربة الحيّة ـ وهو اذا ابتعد عن هذه المنطقة تصبح كتاباته إما مجرد تركيبات ذهنية فقيرة ، خيرلنا الف مرة أن نقرأها فى مقال ، من أن نقرأها فى قصة ، أو تصبح مجرد بحث عن الطرافة .. » ثم أوضح أهمية التجربة الحية للكاتب حين قال : ونحن نعلم أن أشدّ الأعمال الفنية تأثيرا فى المتلقى هى تلك التى تحكى تجارب واحداثا عشناها.أى أن المسألة الجوهرية فى الفن هى مسألة الصدق أو مسألة الاقناع به » .

اما الجانب الثانى الذى ركز عليه ، فهو قضية توصيل تجربة الفنان الى المتلقى : لأنه بدون إتمام هذه العملية لا يمكن أن يوجد فن .. ونجاح الفنان مرتهن بقدرته على إثارة تجربة عند المتلقى مماثلة للتجربة التى يود التعبير عنها .. وهذا وحده هو الحكم على فشل بعض الأساليب الفنية أو نجاحها ، وهو ما نسميه بقدرة الأساليب الفنية على الإقناع .. وعلى كل كاتب أن يوفق بين نصّ ما يريد روايته ، وبين قدرة الأداة التى يستعملها على توصيل ما يقول :

للكاتب الأردنى غالب هلسا كتابان فى النقد هما « قراءات فى أعمال يوسف الصايغ ، يوسف ادريس ، جبرا ابراهيم جبرا وحنا مينه » و « فصول فى النقد » ، وهما يعكسان متابعة جادة ومتذوقة لبعض الانتاج الروائى المصرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعربى والأجنبى . وله فى مجال القصة القصيرة « وديع والقديسة ميلاده وآخرون » و « زنوج وبدو وفلاحون » وله فى الرواية خمس روايات هى « الضحك » و « الخماسين » ، « السؤال ، ثلاثة وجوه لبغداد » ، و« البكاء على الأطلال » .

فماذا عن رواية « البكاء على الاطلال »

رواية زمنية : ـ

يقوم بناء الرواية الزمنى على تداخل ثلاثة مستويات للزمن فى وعلى الشخصية الرئيسية فيها : أولها التسلسل التاريخى (العام) الذى ينظم مسار الرواية ، وهو الفترة التى أعقبت هزيمة حزيران ١٩٦٧ الى ما قبل حرب ١٩٧٣ . والمستوى الثانى هو الزمن الخاص لبطل الرواية وراويها (الكاتب خالد) وهو زمن ممتد فى الماضى ، يتميز بانتقالات زمنية متقاطعة تتذبذب تارة الى الوراء وأخرى الى الأمام ، لتضىء بذكرياتها المستعادة فترات من طفولة خالد وشبابه وعلاقاته المتنوعة المتشابكة . أمّا المستوى الثالث فهو زمن الحلم أو الهلوسات التى يراها أو يعانيها خالد .

هذا البناء الزمنى المتداخل ، المحسوب بدقة فنية ، جاء مناسبا لموضوع الرواية ، فاختيار الزمن التاريخى لفترة ما بعد حرب ٦٧ ، يقدم فترة انكسار واحباط فى المناخ العربى العام ، توافق ما يعانيه خالد من احساس حاد بالاختناق ، سواء اكان السبب ما يراه فى المجتمع الخارجى من تفكك أو ما يكشفه واقع المثقفين من تآكل واندحار أو ما يحسه هو على مستواه الخاص من احساس طاغ بالفشل والكآبة والضجر فيلجأ الى الانغماس فى حياة حسية طاغية أو بالاندفاع الى السكر الذى يعتبره نوعا من « الغاء مستوى من الوعى واستبدال مستوى آخر به » ليتيح لخياله حرية الابحار إلى وقائع التاريخ العربى التى يعشقها ، أو الانطلاق الى استعادة ذكريات ماضية يعيد تشكيل بعض تفاصيلها وفق رغباته الخاصة ، أو الانغماس فى حمى هلوسات وأحلام يقظة .

ولعل هذا البناء الزمنى هو ما منح الرواية طبيعتها المميزة ، وكشف خواء هذا العالم المصور ، وجسم تفكك الزمن من خلال تفسخ العلاقات بين شخصياتها ، وساعد فى النهاية فى بلورة رؤية الرواية الفلسفية عن الحب والفن والموت .

رؤية فلسفية : ـ

خالد كاتب قصص ، كتب قصصه الأولى فى كازينو ، لأنه « كان يعتقد أن الكتابة يجب أن تتم فى مكان كهذا حيث الشجر ، وحين قرأ رواية « ماجد ولين » انهكته حتى الاختناق والدموع والالام التى يعانيها العاشق » ، ورغم أنه يعيش فى قلب القاهرة ، فإنه يحن الى موطنه الأول « يلسعه اشتياق الى الجبال والوادى العميق ، والنهر ينحدر من جبال عالية ويندفع نحيلا ، متعرجا فى الوادى يشبه الخرائط المرسومة فى الكتب .

واذا كان غالب هلسا يرى أن « منطقة الأمان بالنسبة للكاتب هى الواقع « التجربة المعيشة » ، لانه يوفر له فيما يكتبه عنصر الصدق ، فهذا ما يحاول أن يمسك به فى الرواية ، ليكشفه للقارىء حيث تدور احداث الرواية كلها فى فلك هذا الاستمتاع الحسى . غير أن هذا يشكل الجانب الظاهر من الرواية إذ تبطن داخلها رؤية فلسفية يمكن أن تتوضح فى : أن الحب يمنح الحياة معناها ، ويحفز الكاتب لابداع الفن محاولة اعطاء المعنى والنظام لعالم معقد اشد التعقيد » (ص ٢٠٠) وهو بهذا يتجاوز واقعا يتهدده الموت الجاثم ، المتربص وينتصر على الزمن ، حين يحقق فيه ما يصبو اليه . فاذا فقد الحب ، انقلب الوضع .

تبدأ الرواية وخالد منغمس فى رحلة ضياع وفقدان المعنى ، بعد أن فقد عزة (وهى صورة وامتداد لمحبوبته الأولى نادية التى أحبها منذ خمسة عشر عاما) ، وهو يعبر عن هذا الفقد : « فكر أن ترك أجمل شىء فى حياته ينفلت منه ، فقد كل ما كان يجعل حياته ذات معنى . لم يبق أمامه الآن سوى أن ينحدر الى الهاوية الى فقدان المعنى . سوف يصبح كل يوم خطوة جديدة فى طريق السقوط . ولكنه قال لنفسه ايضا « لن أضعف امامها حتى لو كلفنى ذلك حياتى » وبمعنى من المعانى فان ذلك كلفه حياته بالفعل » (ص ١٨٨) .

فهو حين فقدها ، فقد نبع فنه ، فمات معنويا ، عندئذ يبرز شبح الموت المنتظر قويا ، مسيطرا ، يتأكد فى كل لحظة ، « كان ذلك فى اليوم الذى افتقد فى صباحه عزه حتى الجنون ، عندها احس أن لحياته معنى وحيداً هو الاقتراب من الموت » (ص ١٢٣) .

لذلك نراه حين يصحو ضجرا ، مجهدا يتخلله الاحساس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثقيل الملح بفعل غير معروف لديه عليه أن يقوم به دون تأخير » (هو فعل الكتابة المفتقد) ، « يضاد هذا ويوقفه هول مواجهة العالم ـ الخارج ـ البرد ـ الخوف ـ خيبة الأمل ثم تكرار الاشياء الممل » (ص ٤١) . وللتغلب على هذا الاحساس يعدّ كوب القهوة ويضيف اليه قطرات من الروم ، ثم يبدأ فى التدخين ، مع الجرعة الأولى من كباية القهوة ، وقد تخلل الروم رأسه وجعله قادرا على التنفس بحرية أكبر ، ومع النفس الأول من السيجارة يرافقة دوار خفيف لذيذ استمتع بالاستسلام له . وبالتغلب عليه استعاد سيطرته على اللحظة ، وعلى التخطيط لما يلى من ساعات النهار ـ سوف تكون ساعات ممنوحة للفرح والاكتشاف . ذلك كله مشتمل وموضوع فى اطار حس متفائل ورغبة جارفة بالاستمتاع الحسى . حدس خالص ينبئه بانه فى هذا اليوم بالذات سوف تبدأ المعجزة فى الحدوث ، أحس بنفسه متفتحا لها وقد أخذت بوادرها تبدو » (ص ٤٤) .

وبطبيعة الحال تخيب ظنونه ، لكنه مفعول الروم الذى خفف من قسوة الواقع الذى يحياه وبث فى ركوده وأسنه نسمات متفائلة وهمية

وهو حين يلجأ الى الممارسات الحسية (الجنسية) ، لا يجد المعنى المفقود ، بل يكون انطباعه فى اعقاب احداها ، أن الحب « ينتهى وتعقبه مرارة الادراك باستحالة الاستجابة من الطرف الآخر ، تشتعل أحلام اليقظة وتنطفىء لساعتها نتيجة خبرة عريقة باليأس . يتخلف وراء ذلك طعنة نافذة فى القلب ! هذا الحرمان أصبح طابعا لحياته ، للحياة ، يرافق ذلك استبصار بأن الموت يقترب والحياة تمضى وسوف تمضى هكذا ، دون أن تحقق لنا ما نرغب فيه بجدّة . ويتكرر ذلك كثيرا فى اليوم الواحد ، بدرجات متفاوتة ، وكأنه جزء من وجودنا لا نستطيع أبدا قبوله أو تعوده » (ص ٨٣ ، ٨٤) .

هنا يلجأ إلى التاريخ القديم الذى يعشقه ، ليستعيد « عائشة بنت طلحة » التى جسّدها أبو الفرج الاصفهانى فى كتاب « الأغانى » ، حية فى خياله ، حتى ليكاد يراها ، فاذا التاريخ يخذله ويبرز له شبح الموت ثانية من ثناياه « فى الليل نبهنى رعب أصم لا مصدر له ، صموت ، وعلى التو تذكرت أن عائشة لم يعد لها وجود . لقد تحول ذلك الجسد الباذخ ، المتوقد بالحيوية والرغبة والحب الى تراب وعظام لن أراها بعد ، لن يكون ممكنا قط أن أدخل بيتها ، أتجول بين الجوارى ، أرى طلعتها الشامخة عندما تصحو متضاحية من نومها .

كيف أصف ذلك ؟ لقد شعرت بدبيب الموت يزحف حثيثا فى جسدى مختلطا مع كل نبضة عرق . شعرت بأننى أسير نحوه مفتوح العينين ، بلا قدرة على التوقف أو الرجوع . وددت أن أستغيث من أجلى ومن أجل الآخرين ، أن أصرخ أوقفوا عامل الزمن المدمر الذى ينقض علينا ولا يبقى على شىء . (ص ٢٥ ، ٢٦) .

ويحاول الهرب من مواجهة الحاضر ، والخارج ، الضياع ، الموت ، باجترار ذكريات من ماضيه ، أو اختلاق احلام يقظة ، أو الولوج إلى عالم سيريالى ملىء بالهلوسات . وقد تتناثر فيه بعض صور مواجهة الذات التى يسقطها على الشخصيات التى يتخيلها ، كتلك المرأة التى تخيلها تهدهده ببكائية حزينة وتقول « لقد قست عليه الحياة ، يقاوم ويقاوم وهو خلال ذلك يتلاشى ويتهشم . لم يعرف حضن الزوجة ، ولا ضحكة الابن . وهاهو الآن يسرع إلى قبره قبل الأوان « ثم تقول له أيضا » نم يا ابنى . لم تكد تعيش . جف ماء الحياة منك . أنت جيفة تعيش على الذكرى لم تكد تذوق طعم التجربة الحقيقية . كلمات يارب هى كل بضاعته ، كلمات ملأوا بها رأسه فالغت مدلولاتها ، واعتقد انها كل شىء » (ص ١٧١ ، ١٧٢) .

ولعل كلمات هذه المرأة / الأم التى انبعثت من داخله ، قد لخصت أزمته ، فهو لم يتغلب على الموت القادم بالخلود فى نسله (لانه لم يتزوج ولم ينجب) ومن ناحية أخرى افتقد تحقيق عالمه الفنى من خلال الكلمات فمات موتا معنويا (حين أصبح جيفة تعيش على الذكرى) .

لذلك يصبح منطقيا أن يعيش منتظرا متوترا مجىء عزة المستحيل ويترقب المحال : أن يدور المفتاح بالباب ، وتنبثق منه عزّة « فلتجىء لتجعل للحياة معنى » (ص ٩٧) ، لأن حضورها ، هو حضور للحب للخصب الفنى ، للانتصار على الزمن والموت .

وهكذا عندما تنقلب الدورة ، ويقابلها ثانية ـ بالمصادفة ـ بعد مضى ثلاث سنوات فى كازينو ـ ويذهبان سويا إلى بيته ، يقول لها فى اليوم التالى عن تأثير هذا اللقاء « انه لا يدرى ماذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حدث له ، لكنه اكتشف أنه راغب فى العمل . لقد أخذ يكتب . لقد كتب . وفكرت أن معنى ذاك أننى غيرت حياته . هكذا يفعل الحب » ص ٢١٢ .

عندئذ يتسق المسار ، فالكاتب قد استعاد حبه المفقود ، الذى يمنح حياته معناها المنشود ، فيتجدد نبع فنه ويخصب ، وينتصر . وعندئذ ـ أيضا ـ يتفسر بناء الرواية ، فخلال الخمسة عشر فصلا الأولى ، ظل صوت الراوى (خالد) حزينا ، شاكيا ، يجتر فقد المحبوبة ، يعانى جفاف ينابيع الفن ، وانقضاء الزمن ، وحصار الموت ـ أما الفصل الأخير ، الوحيد فقد قدم بصوت المعشوقة بعنوان « عزة تتحدث » . وكأنّ ظهورها هو الفعل الوحيد اللازم لخالد ، كمرادف لعودة الحب اليه ، فكان طبيعيا إن تتدفق ينابيع الفن ثانية ، وتنثال الكلمات ، فيكتب ويكتب ، قاهرا شبح الموت .

القاهرة : حسين عيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

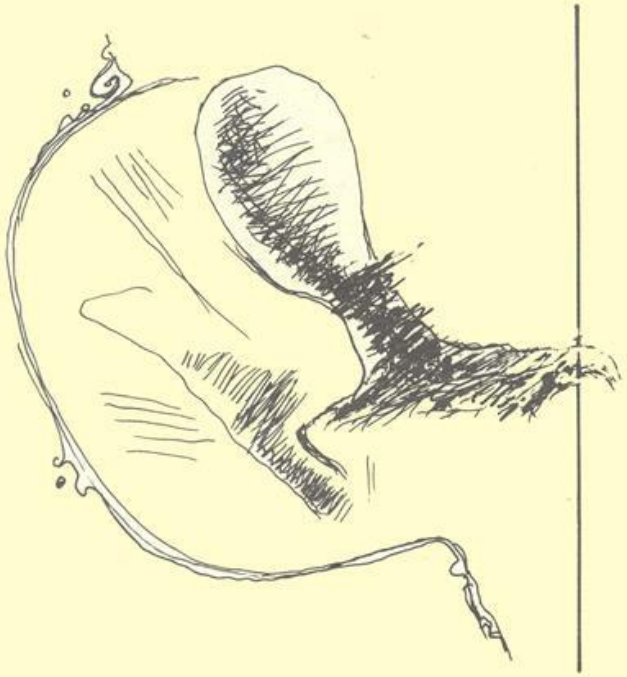

المـــــــرآة

جمال زكى مقار

ذلك الصباح يتذكر أنه كان صباحا ضبابيا قد كسته غلالة من الشحوب الرمادى الحزين لم تكن صرخات أطفال الجيران الصاخبين الراكضين على السلم تمزق الصمت الذى وشّى الأشياء ، ولا ضحكات الجارات الوثيرات تخدش حياء ذلك الصباح ، ولم تكن العصافير تشقشق كالعادة ، ونوفمبر كان يعلن عن نفسه فى رذاذ خفيف ينقر على النافذة .. همس لنفسه :

ـــ نوفمبر الذكريات .

هذا الضباب يأخذ روحه إلى أماكن بعيدة فتأتيه الذكريات دفقات متسارعة ، صور أيامه منذ فجر وعيه حتى ما يسبق هذا بدقيقة فينطرح أمامه العمر على مذبح الوقت .

* * *

كان يرقب البخار المتكاثف على زجاج الحمام وعلى البلاط القيشانى ، كتب اسمه بأصبعه ، تأمل جسده العارى فى مرآة الحمام الطولية ، جفف الجسد فى عصبية بالغة حتى احمر الجلد ، ارتدى ملابسه ، بنطلون أسود ، حذاء أسود لامع وحزام قديم من الجلد الطبيعى ما زال يحتفظ برونقه ، قميص أزرق ، مشط شعره الأسود الفاحم ، مسد شاربه بعد أن رشه ببعض من الطيب أحنى طرفيه وبرمهما برما خفيفا .

* * *

هبط درجات السلم ، هالـه الصمت المحيط فلم تكن النسوة اللواتى يتحدثن سويا ويتكتمن ضحكاتهن الساخرة التى تغوص فى ظهره كالنصال يقفن ، ولا الصبية الملاعين الذين كانوا يسألونه عن الساعة لكى يتأكدوا أنه لا يتكلم ولا يبين ، وبعد أن يبتعد أمتاراً يصرخون فى ظهره « فرقع لوز » فيتردد صدى الصيحة فى الفضاء .. امتص صمته الصمت وفارقته الذكريات وبقية مسحة من الحزن قابعة فى انسانى عينيه . عند مدخل البناية ، وجده واقفا ، أخذته الدهشة ودارت به الأرض دورة كاملة حتى استند إلى الجدار ، تماسك ، فتح عينيه جيدا ، شخص يلبس بنطالا أسود وحزاما قديما وحذاءً أسود لامعا وقميصا أزرق ، نفس قسمات الوجه المستدير ، والأنف الحاد والعينان الضيقتان والجبهة العريضة والفم المزموم فى إصرار،غير أن العينين لم يكن بهما ذات الحزن بل كانتا فرحتين تشعان بوهج قديم ، وهج كان يشع من عينه هو فيما مضى من الأيام .

مشى فمشى خلفه ، المسافة بينهما كالمسافة بينه وبين ظله ، أسرع الخطو فلم يجده شيئاً ، توقف أمام قاترينة عرض أحد المحال ، كان هناك ثلاثة ، اثنان ينعكسان أمامه وواحد خلفه تلفحه أنفاسه ، دخل بنكا ، وفى المصعد ابتسم أحدهما للآخر ، اغتصب الابتسام بينما كان فى ابتسامة الآخر فيض من الحب والوداعة .. فى الطابق الثالث خرج من المصعد وترك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الآخر ، اتجه إلى قسم الكمبيالات المستندية ، بقى ساعة أنهى فيها ما يريد وهو يحس دقا خفيفا فى يافوخه آخذا فى التزايد لكنه كعادته آثر أن يستبقى الألم حتى ينتهى ، فقد كان فى أمس الحاجة إلى المال .

* *

حين خرج من البنك وجده واقفا ينظر إليه فى وداعة ، مشى حتى الميدان التقط اتوبيسا وقفز إليه بكل ما أفقدته السنين من خفة ، استرد أنفاسه ، امتلأ صدره بالهواء الملوث همس : —

— ها قد انصرف اللعين !

لأول مرة من أعوام طوال يشعر بحاجته إلى الالتصاق بأجساد البشر ، يأخذ من حرارتها دفئا لروحه ، دفئا يتماس مع خط الخوف منهم فى نفسه .

* *

صعد السلم إلى شقته وأوصد الباب خلفه ، أسند ظهره إليه فى ارتياح ، عالمه المحسوب ما يزال كما هو ، كل شىء باق فى مكانه ، الآن لا حيرة ولا دهشة .. ولا دفء أيضا .

* *

ملأ براد الشاى ووضعه فوق الموقد ، كانت هناك خطوات تصعد الدرج ، أنصت جيدا ، لا شىء ، ذات الصمت وذات الموات اللذان عشقهما وأدمنهما منذ رحيلها المفاجىء بعد شهور قلائل من زيجته ونهايتها التعسة .. كانت تحمل فى احشائها حياة جديدة ، منذ ذلك الحين قرر أن يجمد الزمن لأنه يعرف أن الزمن لا يأتيه إلا من خلال الآخرين حين يعرفهم ويحبهم ويكرههم ويحبونه ويرحلون عنه . نعم لا شىء الآن غير مطاردة الشعيرات القليلة البيضاء التى تطل من حين لحين من لحيته فيجتث جذورها . والغبار الذى يتراكم على مقابض المقاعد والكتب وزجاج المنضدة وكلما مر يوم أوغل أكثر فى مدى الصمت والسكون .. واعتاده الناس غريبا كطائر غريب جاءت به الصدفة .. وفى الليل حين تنطفىء الأضواء تأتيه بكل ما فى حضورها الخفى كاناً من نور يشع فيزيح الظلمة جانبا ، تسامره وتمازحه ، فيدللها ويغنى لها بصوت أجش مبحوح هامس فتغنى له ، وفى نعومة تمشى بأناملها الرقيقة النحيلة تجوس فى شعر رأسه وصدره ، وحين يهم أن يلف ذراعيه حول خصرها تتمايس فى دلال وتنفلت تتناءى وتغيب فى ظلام سحيق ، تبلل وسادته عبرات وينخمد حتى يجىء الصباح .... يدخل ليستحم ويلقى عن جسده عناء الليل الذى نامه .

حتى الآهل والاصدقاء تساقطوا فى مسيرته نحو الصمت فقد بدا أنه رجل ينتصف العوالم .. نصف مجنون نصف شاعر نصف صوفى نصف كافر بالحياة ، فروا واحدا واحدا إزاء هدوئه وتماسكه وإصراره على وحدته المترفعة وإزاء أيضا خوفهم ويأسهم ، وبقى هو وحيدا كما أراد . شىء واحد كان يكسر الصمت المحيط به .. الموسيقى المنبعثة من الحاكى القديم ، موسيقى قديمة كقدم روحه ، يسمع دقات مقدمة السيمفونية فيغرق شيئا فشيئا ، يغوص فى يمٍّ عميق .. هناك كانت الصور الايقاعية وصدى المعارك ، واصطكاك ووقع حديد على حديد واشتجار ورماح وخيول تركض ثم تلين الموسيقى اللعوب فتأخذه هامسة : —

— تعال

يذهب كالمنوم بل هو منوم فعلا لا يعبأ بصوت العاصفة البحرية التى بدأت تهب ، يرى حوريات بحريات رائعات الحسن يرقصن ، يتمايلن فيتمايل رأسه معهن ، وفى ضجيج الاحتفال يصخب كل شىء حتى هو نفسه ، وفجأة تتوقف البكرة عن الدوران ، وكأنه لقى حتفه .. يظل مستلقيا لساعات تمر وهو مقتول من الألم والمرارة يحملق فى لا شىء

* *

الآن أيقن أن الخطوات الصاعدة الدرج انتهت أمام بابه ، دُق الجرس ذهب ليفتح ، للحظة انتابه غيظ لم يعهده، فى نفسه أبدا ، غيظ مدمر .. بحث عن شىء يصفع به هذا القادم .. إنه هو نفس الشخص ببنطاله الأسود ! التقت عيونهما ! أزاحه بيده قليلا حتى أفسح مجالاً للدخول ، ظل الباب مفتوحا وهو واقف بينما أصبح الآخر فى منتصف الصالة وقف أمام صورة الزفاف القديمة الحائلة عاقدا ذراعيه خلف ظهره ، تأمل أبعاد الوجهين الباسمين وباقة الورد التى تحيطهما بهالة من جمالها ، عروس منتصرة وهاجة وفتى رائق واعد ينظر إلى بعيد كأنه يستشرف سهلا من فوق جبل .

أغلق الباب فتراجع غيظه فجأة ، تأمل بدوره هذا القادم الغريب وهو يدور يتأمل اللوحات الفوتوغرافية للوحات عالمية ثم انصرف إلى الأثاث والكتب ، كان يقلب صفحاتها ويتوقف حينا أمام العبارات .

« لم يكن يعرف أن الروح العظيم لا يكون وحده أبدا ، وأنه مهما خدعه الحظ وسلب أصدقاءه ، فإن هذا الروح فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آخر الأمر يخلق الأصدقاء بإشعاع الحب الذى هو ممتلىء به »

كان القادم يقرأ بصوت جهورى كأنه يخطب فى جمع غير منظور أمامه ، وهو هو نفسه سمع تصفيقا حادا متجاوبا مع اختتام المقطع ، غير أن الصمت حل بينهما وعادا يقفان وجها لوجه فى تحد ، نظرة وادعة مطمئنة ممتلئة حباً وطيبة فياضة ، ونظرة غائمة كئيبة تغوص فى سواد حالك نظرة انكسرت لحظة واحدة انكسارا مخزياً .

أخذه القادم من يده ، وقفا أمام المرآة الطولية ، نضيا ثيابهما وألقيا بها فى « القدمة » فصارا عاريين كما ولدتهما أمهاتهما ، نظر إلى المرآة كان شخص واحد ينعكس أمامهما ... فجأة لا يدرى أهو ؟ أم هو الذى انهال بشىء ثقيل على المرآة ، سمع صوت تحطمها وانهيارها يصم أذنيه ، أغمض عينيه وحين فتحهما كانت الدماء تسيل من قبضته المطبقة ، لم يكن هناك سواه وصمت مطبق وشىء قد أدار اسطوانة موسيقى على الحاكى .

القاهرة جمال زكى مقار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصطفى والغجرية

إدريس الصغير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد كل هذه السنوات الطويلة الموغلة فى القدم ، وجد نفسه يقف فى مواجهتها . عبث الزمن بالجبين والخدين والشفتين . العينان مجهدتان ، والصدر ... آه من الصدر . وكما يمج ماء عكرا من بين أسنانه القى بالسؤال :

ـ هل تحبيننى ؟

أشاحت عنه بوجهها . الجسم ضامر ، والأوصال متعبة والحركات واهنة ، مستدركا يصحح السؤال .

ـ أقصد ، أمازلت تحبيننى ! ؟

أنسحبت الآن تماما . القت عليه نظرة ثم انسحبت ، نفس النظرة التى حار فى تفسيرها كل هذه السنوات الطويلة الموغلة فى القدم وفكر أنه لم يعد يفهم أشياء كثيرة . بل لربما لم يفهم فى يوم ما شيئا أبدا .

جرعات مشروب مر ، ولفافات تبغ كريهة ، ثم يعزّ الاصدقاء إلى درجة الانقراض يامصطفى ، أين هى حدود الخطيئة وأين هى حدود الصواب . حشوت غمدك بسيفه ، ثم علقته ديكورا على حائط غرفتك . ثم ماذا بعد ذلك ؟

هوذا إبراهيم يستل السيف ، ويشهره عاليا ، مترصدا لك عند الباب ، وأنت تلجه ببطنك المكور ، وضحكتك المميزة ترى هل أفزعتك صيحته الرهيبة :

ـــ سأقتلك ياعطيل الآن . كما قتلت ديدمونة .

أهى أقداح الراح يامصطفى ؟ أم تراها لحظة صفاء عابرة ، فى هدأة ذلك الليل البهيم والناس نيام ، ونحن فى صومعتك الشاهقة فوقَ سطوح المدينة ؟

يكون أسامة الآن نائما يغط فى سبات عميق . لكم أحببت هذا الطفل إلى حد الهيام وفى الصباح حين يستيقظ سيبادر بنتف شعيرات لحيتك ، وسيسأل أسئلته البريئة هل تملك يامصطفى لها جوابا . هكذا يلوذ إبراهيم بصمته الحكيم متأملا .

ـــ لماذا قتلت ديدمونة ياعطيل ؟

لكننا سنهاجر نحن الثلاثة . هكذا ننسك تحت جنح الظلام وإبراهيم يحمل قدر الطعام أمازلت تذكر تلك الاكلة اللذيذة ؟ دجاج وبصل وزبيب .

إلى أين تأخذنا خطانا . كان البدر يرصع أديم السماء بين النجوم المتلئلئة ، وصوت هدير أمواج البحر ، وزعيق أبواق البواخر .

سأعتذر اليوم عن كل ما سببته لكل من تعب كل هذه السنوات الطويلة الموغلة فى القدم . قضيت عمرك تتبعيننى ، وأنت تحملين سلتك متنقلة بين مراكز الشرطة والسجون والمرافىء ومحطات القطارات . تصورى أننا لم نحك لبعضنا يوما ما نكتة واحدة . لم نغن ولم نرقص أبدا . هل كتبت لك فى يوم ما رسائل غرام ملتهبة ؟ هل قرأت عليك يوما قصيدة حب لشاعر مشهور ؟

ما الذى سيفيدك به اعتذارى الآن ؟

قل يا مصطفى . لماذا تظلون هكذا دوما صامتين .

آه . تذكرت . تذكرت الآن تماما . كنت فى وضع المستلقى على فراشى امام جهاز التلفزيون ، فسمعت الوزير يخطب . كنت أعرف أنه وزير منذ سنوات طويلة . وكنت أراه يوميا فى التلفزيون . إلا أننى لم أسمع صوته إلا اليوم . لم أفهم شيئا مما يقوله . وقلت لربما كان المسكين متعبا فخانته اللغة . لكن لماذا أقول لك هذا الكلام ؟

آه تذكرت مرة ثانية . هى خيانة اللغة . فإذا كانت تخون حتى الوزراء أنفسهم ، فما بالك برجل بئيس مثلى ؟ يسكن كهفا مهجورا فى حى مظلم .

لا تأبهى كثيرا لما أقول .

ثقى فقط بأننى ما أحببت غيرك أبدا ، رغم خطبة الوزير . لكن ما علاقة خطبة الوزير بما نحن فيه ؟ اعذرينى ، ففى مثل حالاتى ، من الطبيعى أن يخرفَ المرء ، حتى وإن لحن الوزير فى خطبته . ما الذى سيحدث هل سيختل نظام الكون ؟ كل الوزراء يلحنون فى خطبهم ، فهل هبت الريح من تلقاء كاظمة ؟

يامصطفى تعقل . عد إلى رشدك . ألم تحدثنى أمس فقط عن أمنيتك فى أن تمتلك يختا . قلت بأنك ستملؤه بعشرات الحسان العاريات ، وبكل ما لذ وطاب من طعام وشراب ، لتبحر به فى عباب اليع ، ثم لا تعود بعد ذلك أبدا ؟

تعلق يامصطفى . وحكاية العَجرية !؟ هل تريد أن أحكى للناس قصتها معك والموز ؟!

أمازلت تأكل موزا ؟! وتأكله بنفس تلك الطريقة ؟ تعقل يامصطفى تعقل لكن أين أنت الآن ؟

أخاف فى حمأة النوى أن أنسى حتى تقاسيم وجهك . هل ستسعفنى الذاكرة دوما فى استحضار طيفك صافيا رائعاً . قولى بربك ماالذى جنيناه حتى نلقى هذا المصير ؟ كنت أسير بخطوى وئيدا فى شارع طويل تحت ظلال أشجار البلوط ، أدوس أزهار الأقحوان بقدمى المتعبتين . الجو بارد والشمس تميل نحو المغيب . وصدرى مكبل . تذكرتها . تذكرت مصطفى وإبراهيم وأسامة . تذكرت يوم دخنت أول سيجارة وشربت أول قدح ، وتلقيت أول صفعة . تذكرت فرقعة السياط ، والعطش والقمل والدماء . تذكرت خطبة الوزير ، وتصفيفة شعر رئيس المجلس البلدى ، وقطة تموء ، وعجيزة عالمة مبحوحة الصوت ، ومذيعاً مخنثا . ومدينة مستباحة ، تذكرت الزنزانات والمقابر والقيود والشتائم .... تذكرت

المغرب : ادريس الصغير

□ □ □

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

. شروق تغلق النافذة

سيد عبد الخالق

لما ظهر بعيداً فوق المدق الطويل الممتد بين البحيرة الزرقاء والمروج الخضراء الشاسعة .. يتبعه حصانه الأشهب ، رأته :

ولدا ورجلا ، وفارسا ؟ قالت البنت شروق الصغيرة : الأفق بيضاوى ، للنهار لون الفضة ورائحة الزرع الأخضر المترامى

امتلأ الصدر الصغير ، والعيون الواسعة . رسمتْ إرهاص شروق .. كسول متراخ لم يتم تماما . وكان الولد . الرجل . الفارس .. ال .. يمضى هناك على مهل ، أو يتواثب .. هكذا رأته ، وبين حين وآخر يمد حزمة خضراء للحصان الذى يتبعه .

العينان الواسعتان تسافران هناك .. قرب البحيرة سوف يمر بها الآن ، ولابد أن حصانه العطشان سوف يشرب « نسوة فى الملابس الملونة ، يجمعن ثمار المانجو الطازجة هكذا تراها قالت البنت الفرحانه » إنه يتواثب لابد أنه قوى جدا ، ولابد أنه فرحان مثلى

رسمت شروق « أخريات » يجلسن على حافة البحيرة ، كملائكة فى ثياب شفيفة تنحسر عن أرجلهن البيضاء الممدة فى الماء ، كن يملأن الجرار البنية ويقذفن بالحصى الصغير « لابد أنه صغير » قطيع الخراف الابيض وهو يلوك العشب الطرى « لابد أنه طرى » ابتسمت البنت :

سوف يستوقفنه كى يحمل لهن الجرار البنية الى رؤوسهن ويداعبنه وسيضحك ويمضى ..

تحيرت البنت كلا ليس ولدا .. الفارس يستطيع أن يفعل أشياء كثيرة تراه يذهب فى اتجاه معاكس ؟ المؤكد أنه يتواثب ويرتدى ثياب الفروسية الداكنة ، هذا حصانه الأبيض ، رفيقه الوحيد ،، ضحكتْ .. لو يصدِّق ستقول له إنها رأتْه ولدا ورجلا عاديا وسيضحك ويمضى . طيور البحيرة الرصاصية تصدر صفيرا صباحيا رائقا ومتواصلا وتصنع نصف قوس فى الهواء تختفى خلف أشجار الكافور الخضراء العفية تميل نحو ماء البحيرة تشرب عجلى ، ثم تعلو فى انتظام ودربة . رتبت البنت الاشياء فوق صفحتها : هذه بحيرة ، وتلك أشجار الكافور وهؤلاء نسوة يغنين ، ومرج أخضر شاسع و ..... وهذا ...

الآن اقترب . الان تستطيع أن ترسمه بوضوح . بحثت عن أقلامها الملونة . لم تجد غير الأسود . غضبت . صارت البحيرة سوداء ، والمروج سوداء ، والكافور أسود ، والقادم يجر حصانه ، ويتواثب .. كان أسود .

ارتجفت البنت ، لما مال بجذعه نحو الأرض بصعوبة . يلتقط حجراً ، ويقذف به الكلب الذى يتبعه تراجع رأسها الصغير .. وبان وجهه الحزين المشقق كأرض عطشى ونظرته الأسيانة المرسلة فى لا شىء .. حتى عروقه النافرة من ذراعيه

النحيلتين رأتها ، صدره المتعرج البارز خلف صديرى مقلم باهت ... رأته .. رأت كل شيء وكان الشيخ الماضى فوق المدق الطويل الممتد بين القناة الغاضة . وحقل الذرة الوحيد متعبا ... يعرج فى وضوح ويتعثر ، ويجر خلفه حماره المتعب مثله ، ربما من طول المسير ، والنسوة اللواتى يغنين يصرن الآن نقاطا رمادية فى عيونها مصلوبة قرب البيوت البعيدة .

ليس ثمة طير فوق قناة تغيض بماء عفن وطحلب أخضر . إنها تشم الرائحة الآن . قطيع كلاب مجربة .. فقط كلاب جربة تنبح فى نشيج متواصل ممل إنها تسمع الصوت الآن .. ليس ثمة ولد .. رجل قوى ، أو فارس وحصان أشهب . دق القلب الصغير ، وقالت البنت الصغيرة الخائفة :

الأفق داكن والشمس لم تظهر بعد وللنهار رائحة الخريف المطل

كانت خطوط كثيرة تتوازى على صفحة دفترها الصغير وتتقاطع . دوائر مرتعشة الجوانب كاملة الاستدارة ، بقلبها مستطيلات لها رؤوس أسهم ، ومربعات صغيرة ، ومكعبات كبيرة هوامش مبتورة لشروق لم يتم ، تحت علامة خطأ كبيرة وفى إطار أكبر حجما من علامة استفهام واضحة .. واضحة تماما !

بردت شروق ، ارتدت معطفها الثقيل . أغلقت النافذة !

القاهرة : سيد عبد الخالق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطـــــيور

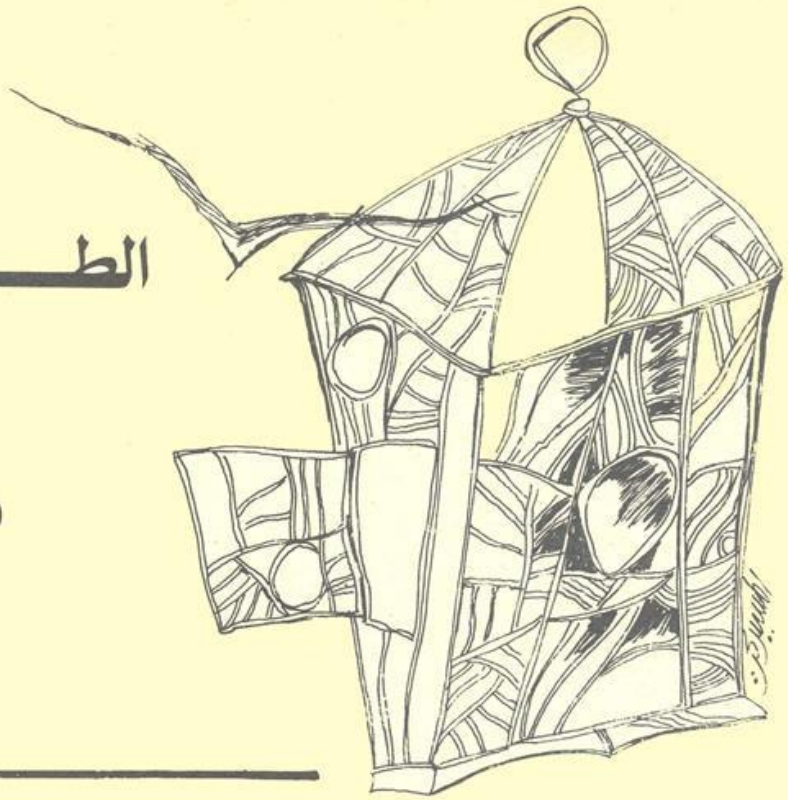

فيصل ابراهيم كاظم

لم يكن قد اعتاد تربية العصافير او البلابل او الطيور في اقفاص تُعلق في سقوف الغرف او الفضاءات الفارغة .. كان يمقت ذلك ويعتبره نوعاً من جحود البشر ..

لكنه في الآونة الأخيرة وقع تحت تأثير طفله الصغير عندما أصر على انتزاع احد (طيور الحب) من قفص خاله ، وعندها فقط أحس أنه أمام معضلة .. فعلى مر الأيام ظل الطفل يحشر العصفور في سلة من (البلاستيك) المثقب وهو يلح عليه كل ساعة « أريد قفصاً اضع فيه العصفور » ، حاول أكثر من مرة أن يفهم الصغير أن الطيور والعصافير لاتسعها الأقفاص والجدران والمسافات المحجوزة . كرر محاولته فلم يفلح واعادها ثالثة ورابعة ولكن الصغير كان أكثر تشبثا منه مدعماً رغبته تلك بالبكاء والصراخ حيناً وبخبث الطفل حيناً آخر حتى إنه سعى إلى تحطيم كل ما يقع تحت يده ، من الصحون إلى الأقداح والرفوف وزجاج النوافذ حتى وصل الى الكتب . كان يعرف بحدس الطفولة أنها أثمن شيء لدى أبيه لذلك سعى أخيراً إلى استلال أحدها وراح يمزق صفحاته خفية ثم جاء بها جميعاً وألقاها أمام الأب كومة واحدة .....

صعق الرجل وتصاعدت في رأسه فورة غضب ، أمسك بالطفل ، اراد ان يصفعه لكن دموعه انسابت قبل ان يمد يده اليه ، فسأله بعنف :

ـ لماذا فعلت هذا ؟

ـ لأنك لم تجلب لي القفص .

ـ وتمزق الكتب ؟

ـ أنت تحب الكتب وانا احب العصافير ، لماذا لا تجلب لي قفصاً ؟

ترك الصغير ، أحتار في امره فاستدار إلى غرفته ، استبدل ملابسه وخرج .....

فكر ان يقصد سوق الأقفاص فالأمر لم يعد محتملاً ، لماذا لا يأتي بقفص تلبية لرغبة الصغير ولكن أن تحجر على كائن حي ذلك أمر مفزع ، لم يكن يحتمل تلك الفكرة لأنه كان يحترم رغباته وهواجسه إزاء العالم ، لم يكن يمتلك قدرة التصور على ان يحنط جسده في حدود ضيقه أو أن تمنع عنه مسالك التشعب او الضرب في طرف الحياة ، كان يثور ويغضب ويعيش تعيسا لأيام إذا ما أحس بأن شيئا ما يحاصر بهجته او حتى حريته في ممارسة حزنه . وأشد ما كان يؤلمه تلك الأقفاص التي يراها في فناءات البيوت والاماكن التي يزورها أو يمر من امامها .....

غاص في شوارع المدينة .. يمر على الدور والعمارات ، يحدق في ابعادها الهندسية ، طوابق .. شبابيك ، أبواب ، حدائق مسورة : « ماذا لو امتلكت فرصة ان اجعل من هذه المحددات الهندسية اقفاصاً لا يملك قفلها الا انا ، وقتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سأعلم الآخرين كيف يحجرون على الطيور . سأسد كل المنافذ ، والشبابيك وفتحات التهوية ،وكوى الإضاءة . سأترك لهم حيزاً قليلاً للحركة والتفكير ثم سأجلب أقفالاً ضخمة لكل الأبواب ، أقفلها واحداً .. واحداً ، أبواب الدور والعمارات ، وأجعل الحدائق حكراً على العصافير .. بعدها سأجلس فى مكان مرتفع واتفرج على الجميع . سأمارس معهم عنفاً خاصاً .. وجبة طعام واحدة فى اليوم ، شربة ماء لا تكفى لسد الرمق ، ثم اوقف التدفئة والتبريد ، أزيلها جميعا ، كل الأثاث أرفعه ، سأتركهم فى عراء الجدران والبلاط وأسدل على النوافذ ستائر سميكة تمنع تسلل الضوء إلى عيونهم ، ثم أمر عليهم بعد ذلك واحداً .. واحداً وحسب ما يسمح به الوقت . ماذا سيفعلون ؟ ، يثرثرون ؟ ثم ماذا سيدفعهم ذلك الى الهيجان ، فليفعلوا ماشاءوا الجدران متينة بما يكفى ليدفعهم إلى الجنون أما ما سوف يحاولونه من طريق والتخلص أو الهروب فسوف أكون مطمئنا إلى أننى سأنشى جيشا من الطيور العصافير لتنقل لى حتى همساتهم وعندماأكل إلى الغربان والصقور مهمة السيطرة على ماتفرزه الحال .. المهم أن أطبق برنامجى فى عزلهم التام ، فقط ما سأفعله لأجلهم هو ان تكون فصول الاقفاص خريفا ، بعها سأضع لى عينا سحرية تشاهد كل ما يجرى فى كل قفص ، سأبقى أرصدهم والعنهم حتى يلعنوا أنفسهم ويكفوا عن تعذيب العصافير ، وداهمه صوت منبه سيارة مارقة بسرعة وأثاره صوت الكابح ، لم يكن بينه وبين الموت سوى (سنتيمترات) ، راعه وجه السائق المحتقن وهو يمد ذراعه ويقذف من فمه سيلاً من الشتائم ، اعتذر للسائق وانعطف إلى مركز المدينة حيث سوق الطيور والعصافير والأقفاص .....

فى السوق فاجأه الزحام الشديد ، أجساد تلوب وتلتوى وهى تدلف مساحة السوق ، أخرى تزعق وتصرخ بأصوات البيع ، وأخرى تمر وتمضى لاشغل لها غير لهاث المرور عبر الزحام ، باعة من كل نوع ، باعة الطيور ، باعة العصافير ، باعة البلابل ، باعة الببغاوات والوز حتى الدجاج والديكه والقطا والنسور ، انواع كثيرة من الطيور تضمها أقفاص ملونة ومختلفة الحجوم ، مناقير صغيرة ..مناقير كبيرة ، معقوفة أو مقوسة أو مستقيمة .. طيور ساكنة ، ستسلمه بذل ، وأخرى هائجة شرسة تملأ أقفاصها بالزعيق والسخط الذى لا طائل منه ، والباعةصغار كبار والأنوف معقوفة أو مقوسة أو مستقيمة والكروش حسب المواهب والزعيق حسب درجة الحنجرة وقدرتها على المطاوعة ، أصوات هامسة مستكنة إلى حدما وأخرى حادة ، عالية تخترق فضاء السوق من أقصاه إلى اقصاه وبين كل هذا تنصب نظرات الحذر على سكان الأقفاص . طير يمد منقاره من هنا ينهره البائع ، آخر يطقطق جناحيه يخزه البائع ثم يأمره بالهدوء .. والدرجة القصوى من الحذر تنهض عند الحوار على الثمن بين البائع والمشترى ، سوق ضجيج وطيور وأقفاص وباعة ومتفرجون ومارون عبر الزحام للبيع او الشراء او النزهة وقتل الفراغ عبر امتار السوق .....

وقف فى فسحة صغيرة ، ظل يحدق فى التكوينات القائمة وفى امتداد الضجيج المتسرب إلى راسه ، قَسّم الحشد :

« بائع .. مشتر .. متفرج .. أقفاص .. طيور .. أنواع من الطيور .. وأنا » ضحك من فكرته وهو يقطع الطريق باتجاه السوق « ان يجعل من كل المحددات الهندسية اقفاصا تجعل الأخرين يفهمون لغة الطيور » ، ثم انفجرت فى رأسه فكرة اخرى وهو يتابع حركة السوق « ماذا لو امتلكت الطيور والعصافير فرصتها فى تبادل المكان ؟ ماذا لو دخل ذلك البائع صاحب « الكرش » والرقبة الضخمة بدل الطير الأبيض الذى يحتجزه فى قفصه ووقف الطير عنه فى فضاء جسده ؟ ثم لو خرجت تلك المجاميع وبادلت الباعة أساليب البيع ، وحتى هؤلاء الذين لا يملكون إلا الفرجة ، ماذا لو خرجت بدلاً عنهم مجموعة طيور ليدخلوا الأقفاص بدلاً عنها ؟ ، سيصير السوق سوق اقفاص وبشر وطيور تبيع .. ماذا ستفعل الطيور ؟ هل ستقبض الثمن لتبيع لطيور أخرى بشراً فى قفص ؟ ، شىء رائع .. بشر يقامون فى الاقفاص ، يثرثرون ، يزعقون ، يحتجون لابأس ، المهم أن الطيور ستمتلك فضاءها لكنها يقينا حينها ستحلق عاليا وتترك للبشر أقفاصهم »

ظل يضحك من افكاره . يضحك لتضيع ضحكته فى زحمة الضجيج ، لم يكن مهماً أن تضحك أو تبكى كل ما فى الأمر أنه فراد طيور وأقفاص وباعة وصراخ خانق ، لايهم أن تكون مجنوناً أو عاقلاً ، لايهم أن تقول لا ، المهم أن تدفع الثمن لقفص تشتريه أو طير تودعه فيه أو تمضى مع العابرين أمتار الزحام .....

انتبه الى طير جميل له لون التراب ومنقار معقوف يقبع فى قفص احد الباعة حيث اختار له مكانا بعيداً عن الضجيج .. تقدم نحو البائع ، سأله :

ـ ما نوعه ؟

ـ انه (القبيح)

ـ هل هو طير للبيع ، وهل يدجّن ؟

ـ نعم ، وهو اليف جداً .. يكفى أن تعوده على المنزل لبضعة أيام لتتركه وتخرج دون خوف حتى بغير قفص .. انه من الطيور التى لا تهجر موطنها حتى تموت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ وبعد ؟

ـ انه يعيش معك سنوات عمره إذا ما اطمأن إليك وأحس بالأمان ، شيء واحد يجعله يكرهك ويضرب عنك وعن الطعام

ـ ما هو ؟

ـ منقاره المعقوف ، انه يستمر فى الطول باستمرار ولا يقبل ان يحدده له احد .. هو الذى يفعل ذلك كلما أحس بالحاجة اليه ، أما اذا أخطأت وفعلت ذلك بدلاً عنه فإنك تكون قد حكمت عليه بالموت لانه سيضرب عنك . وعن الطعام والشراب ربما حتى يموت ..

ـ كم ثمنه ؟

ـ هو والقفص .. أنا لا أبيعه وحده

ـ لكننى أريده بدون قفص ، ألم تقل انه شديد الألفة ؟

ـ غير ممكن

دفع ثمن القفص والطير ، فتح باب القفص ، أخراج الطير وضعه فى مجرة بحذر واستدار .. صاح البائع :

ـ والقفص الا تأخذه وقد دفعت ثمنه ؟

ـ انه لك .. نم فيه لو شئت !

عاد الى البيت ، قبل دخوله الباب ردد مع نفسه (ماذا فعل بى هذا الصغير اللعين ؟ أخبأ (القبيح) خلف ظهره وهو يواجه الطفل ، استغرب لأنه لم يجد فى وجهه علامات الأصرار على جلب القفص ، رأى فى يده قطعة حلوى سأله :

ـ ما هذا ، ماذا تأكل ؟

ـ (شيكولاته) اشترتها لى أمى لأننى اطلقت العصفور

ـ لهذا لم تقل لى أين القفص (قالها باندهاش)

ـ لم اعد احتاج اليه « لقد اطلقت العصفور .. انه هناك على تلك الشجرة ،فى الحديقة .. أمى قالت إنه يحب أن يسكن على الشجرة ، والشجرة فى بيتنا أمى قالت إن ذلك يعنى أنه سيظل فى بيتنا ، إسمعْ .. إنه يزقزق هناك مع العصافير على شجرة التين » .

تطلع الأب فى شجرة التين .. لم يكن بين العصافير التى فوقها عصفور ملون ، كانت العصافير تزقزق هذا صحيح ، لكنها كانت جميعاً بلون التراب .. استدار بهدوء ، جلس على الأرض ودون ان يشعر الصغير تراخت كفاه عن ريش (القبج) لينسل منها الى أحراش الحديقة الواسعة .....

بغداد ـ فيصل كاظم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

□ □ □

البحث عن ملامح

مصطفى الأسمر

٥ × ٥ = ٢٥ ، دائما لا نقصت يوماً ونزلت حتى العشرين ، ولا زادت يوماً وتخطت الثلاثين .. من بداية خلقها وهى على هذه الصورة ٢٥ .. ٥ + ٥ + ٥ + ٥ + ٥ ستجدها فى النهاية ورغما عن كل شىء تساوى ٢٥ .. وأنت ياسعيد مدرس رياضيات وتعرف هذه الحقيقة جيدا ، وتعرف أيضا أنه لا توجد قوة فى الوجود قادرة أن تغير من نتيجتها ، حتى ولا أكبر مفتش رياضيات فى البلد .. وياسعيد يا ابن أمى ٥ × ٥ ليس فيها مشكلة .. المشكلة حقا مشكلتك أنت وحياتك أنت .. وعمرك الذى ذهب نصفه أو أكثر دون أن تستطيع حتى الآن أن تحلل مكوناتك وتعرف نفسك ..

صحيح ياسعيد ياأخى أنت الآن مدرس ثانوى على وشك أن ترقى إلى مدرس أول .. ولك راتب لا بأس به تقبضه أول كل شهر + أنك عائد من إعارة بعربة ملاكى ومبلغ مدخر لا بأس به ، وتملك أيضا « فيلا » ولك أولاد ناجحون فى الدراسة .. اكبرهم على وشك التخرج .. باختصار شديد كل شىء موجود وميسر ولا ينقصك شىء على الاطلاق .. حتى الدروس الخاصة ، عجلك فيها دائر .. اسمك مشهور ومطلوب ، كنز مفتوح لك تسحب منه فى أى وقت من الشهر دخلا يساوى ضعف المرتب الحكومى .. لهذا ياسعيد يا ابن جاد الرب المفروض أن تكون بدون مشاكل على الاطلاق .. انا معك واعرف ما ستقوله ، واعرف أيضا أنك منذ أيام الطفولة لم تعترضك صعاب تذكر .. كنت فى المدرسة « ديزل سكة حديد » لا يقف من لحظة مغادرته محطة القيام الا بمحطة الوصول .. لم تتعثر فى أى سنة من سنوات عمرك أبدا .. وعندما تخرجت وحصلت على الشهادة العليا استلمت الوظيفة فورا .. وأين ؟ بجوار أهلك يابطل الأبطال ! فى بلدك فلم تذق مرارة الغربة أو متاعب الأكل المعلب وعذاب الوحدة .. حتى مشكلة الزواج لم تصادفها فقد كانت الزوجة تنتظرك . قريبة لك ، موظفة ذات مرتب دائم + حصة فى بيت ٦ أدوار ورث عن المرحوم والدها .. والسكن هنيئا لك ياأخى طول عمر السعيد سعيد من يومه ياسعيد .. كانت لك شقة محجوزة باسمك بمنزل الأسرة .. لم تتركها الا بعد أن شيدت الفيلا ذات الحديقة الخلفية

وعندما فكرت فى الإعارة وكتبت الاستمارات ودونت البيانات نجحت فى الاختبار وعلى الفور وافقوا عليك واسمك بالكامل نزل فى الكشوفات معارا لدولة الكل يحلم أن تكون من حظه .. طول عمرى وأنا أقول عنك أنك سعيد وحظك فوق ، فى السماء .. وعندما تقدمت زوجتك نعيمة هانم بأوراقها قُبلت بدورها فى نفس الدولة

والآن قل لى هل هناك حظ أكثر من هذا ؟ وقد كنت ياسعيد حتى آخر لحظة متأكدا انك تسير فى الطريق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصحيح ولكن بكل أسف اتضح أنك مخطىء .. والخطأ فوقك وتحتك ، فقد اكتشفت أنك لم تعش حياتك بعد .. حدث لك هذا من خمسة أيام بالتحديد . عقلك قال لك « ياسعيد » ! « قلت له » نعم » .. قال لك « مضى عليك عمر بطوله لم تر المولد ولا رجلك دخلته » قلت له « تمام » قال لك « ما رايك لو نزلت الآن وذهبت إلى هناك لتأخذ لك لفتين به تغير هواء ، وتفرح نفسك ؟ » قلت له « ياعمى ، بلا مولد بلا غيره منذ متى ونحن رواد موالد ؟ دعنا هنا بجوار التلفزيون .. اشتعلت الفكرة فى مخك انك كنت خالياً من الشغل ، لا درس خاص ولا عمل لك فى حديقة الفيلا .. باختصار طاوعت عقلك وخرجت وحدك فى صمت من غير أن يشعر بك أحد .

وصلت المولد .. وكانت الليلة مصادفة هى الليلة الكبيرة .. وهناك ياسعيد رأيت العجب .. ناس كثير .. زحام .. نور .. مراجيح .. مقالى حمص . حلاوة كسر القدوم .. قرآن .. غناء .. شيوخ .. افندية .. حلقات ذكر .. طعمية طرشى .. راقصات تتمايل .. بهلوانات سيرك .. مولد .. الحق ياسعيد راسك دار ، الدنيا لفت بك ، كدت تقع من طولك فوق الأرض .. والأرجل تفرم جسدك لولا أنك تماسكت ، ركنت على مقهى من المقاهى .. طلبت واحد سادة بن تقيل ، شربته فى نهم بعدها ارتاحت اعصابك وشعشع مخك .. مسحت المكان بنظراتك .. كان كل ٥ ، ٦ ، ٧ ، مع بعضهم مندمجين

الظاهر والعلم عند علام الغيوب أن واحدا من رواد المقهى استغرب وحدتك ، قلبه رق لك ، أعطى لك حبات ترمس .. كان له شنب كبير مبروم يقف عليه صقر .. أنت بصراحة ياسعيد خجلت منه وخشيت أن تضايقه فأخذت من كفه المبسوطة لك حبتين اثنين بالعدد وانت مسلم امرك لله .. كان شكل بائع الترمس الواقف امام المقهى يغم النفس ويصدها .. العربة كانت مكسرة والطين معشش على العجل كالعنكبوت .. انت رايت المنظر هنا وامعاؤك ياسعيد طلعت كلها إلى فمك .. قزقزت الحبتين .. « عزم » عليك مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة ، وخامسة ثم ضمك لشلته ... كلمك فى السياسة والأولياء ، والحرب والسلم ، أحوال الدنيا ، الأولاد ، المدارس ، الأكل والشرب ، الأقمار التى فى السماء والأقمار الحلوة التى تمشى على الأرض ، شرق وغرب وأنت جالس أمامه جلسة تلميذ بليد صامت فى حصة جبر معقدة ، لا بك ولا عليك ، خايف أن ترفع أصبعك وتتكلم فتنكشف ويتضح أنك « لا مذاكر ولا فاهم .. وهو باسم الله ما شاء الله .. استاذ فاهم كل شىء ، « النكتة » وراء النكتة ، والضحكة فى ذيل الضحكة .. حتى قال « نكتة » اعجبته على ما يبدو فضحك عليها من قلبه ثم مال للامام وللخلف من كثرة الضحك وشدك من ياقة القميص وضربك على كتفك بكفه ، ضربة ياحفيظ يارب خلعت كتفك ، طيرت برجاً ، من ابراج عقلك وقال لك وهو « يكركر » من الضحك : أضحك ياأخى ، افردها وفكها ياشيخ ! والله العظيم لو رآك « بنى ادم » على هذا الحال لظن انك تحمل الدنيا على قرنك .. تصدق بالله أنك لو تركتها فلن تقع .. دعك من الهم وعش « وفرفش » .. « ثم اشار بأصبعه وقال : انظر كان هناك وسط الزحام رجل لا ثمن له فى سوق الرجال ، سنكوح معظم وجهه ملطخ باصباغ حمراء وصفراء وزرقاء ، يرتدى بنطلون أسود ، وقميصا أحمر مال على شاب من رواد المقهى فسحب الكرسى من تحته ، ثم وضع طفلا صغيرا عمره حوالى ٥ سنوات على قاعدة الكرسى ... « وهُب هب » أوقف رجل الكرسى على كفه وهب هب أوقف رجل الكرسى على أنفه .. لحظتها .. قُل ، تكلم بمنتهى الصراحة ياسعيد ، انشددت إليه ، وبينك وبين نفسك حسدته وشعرت بالغيرة منه كأنه غريمك أو كأنه مدرس رياضيات مثلك ، راسه براسك ، ينافسك على درجة ، علاوة وظيفة مدرس أول .. اقتربت براسك من أذن صاحبك ابو شنب وسألته عن شغله .. سألك : شغلتى أنا أم شغله هو ؟

قلت له : شغله هو

قال لك : أنت أعمى ياافندى ، شغله بهلوان ، طول عمره بهلوان .. هكذا خلقه الله بهلوان ، بهلوان يلف الموالد والافراح .. فاهم ياافندى أم تحب أن افهمك من جديد ؟

على طول ياسعيد أغلقت فمك ولم تحاول الكلام فقد كان يبدو عليه فعلا انه بهلوان ، وما كنت مضطرا أن تسأل .. كان مثله مثل ال ٥ × ٥ ..

البهلوان انزل الكرسى من فوق انفه ثم ثبت كوباً من شاى ساخن فوق عصا رفيعة طولها ٥ أمتار رفع العصا ، لأعلى وحركها من إصبع إلى إصبع ومن جزء إلى جزء حتى وصل بها إلى كتفه ومن كتفه إلى اذنه .. تصور ياسعيد ! اذنه ، وكوب الشاى ثابت فوق العصا ولا قطرة منه وقعت .. وانت جالس تتابع حركاته.بعينيك وداخلك يغلى .. والدم فى عروقك نار موقدة .. واذنك أجارك الله فحمة مشتعلة ... كان نفسك تقفز من فوق الكرسى وتقف فى مواجهته ، تشد منه العصا ، تقلده ، وتزيد عنه أنك تثبتها فوق لسانك والاصبع الصغيرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لرجلك الشمال .. لكن تراجعت وقلت فى سرك : تماسك ياسعيد واعقل ودعك من أمور الجنان فأنت أفندى محترم ملء العين ، ولك زوجة موظفة درجة ثالثة ، واولاد فى الكليات ، وبنت على وشك الزواج ،، ثم لا تنس أنك تربى أجيالا وما تفكر فيه الآن ليس من قيمتك .. كنت تحاول أن تصبر نفسك بمثل هذا الكلام .. لكن الحقيقة أنك كنت تغلى ، كان الود ودك تنشق الأرض وتبتلعه من امامك ، أو أن ترجمه السماء بشهاب ، نيزك .. اى شىء يحرقه ويخلصك منه ولا يترك منه أثرا فى الوجود ، تبتلعه الأرض أو ترجمه السماء ، أو يغرق فى بحر لا قرار له .. كان عندك . احساس قوى بأن هذا الرجل قد سرقك ، نشلك ، أخذ منك أهم وأثمن شىء .. أختلس مثلا اسمك . صورتك ، شكلك ملامحك ، حياتك .. ثم تركك ضائعا ، حيران .. عفريتة صورة لا ملامح لها ولا طعم ، وحقيقى ياسعيد يابن امى وأبى لم يعد بمقدورك أوفى طاقتك أن تتحمل أكثر من هذا لم يعد ، بإمكانك أن تجلس هكذا وتشاهد هذا الرجل .. تصور مثلا كيف يكون الحال عندما تجبرك الظروف أن تجلس مع انسان وأنت واثق ١٠٠ ٪ انك ظله ،خياله ، بل لم تستطع أن تكون حتى مجرد تمثال منه يمكن أن يُمسك .. عقلك قال لك « خذ الأمر من أوله واستأذن من صاحبك ابو شنب كبير قبل حدوث كارثة لك » ..

تركت المقهى فى صمت وعيناك مشدودتان إلى الأمام تخشى أن تنظر خلفك فتراه .. وبالرغم من كل هذا كان الرجل وراءك .... تركت المولد وساحته ونوره وضجيجه والرجل كما هو وراءك ... تمددت بجوار الهانم ، الموظفة ، الدرجة الثالثة،وكان ثانى يوم مصادفة أجازة ، كان الرجل يقف بينك وبينها كان مسيطرا عليك .. مستقرا فى مخك .. وأنت يملؤك احساس أتعرف ما هو ؟ أنك لست أنت .. انسحبت من جوار الهانم الموظفة ، دخلت غرفة المكتب . أغلقت بابها عليك .. سحبت كتاب الرياضيات ، ويالليتك ما سحبته ! المصيبة السوداء والكارثة الكبرى أنك لم تفهم منه أى شىء .. لم تقدر أن تحل طلاسمه حتى دلالة العلامات مثل (+ ، × ، ــ ، ÷) كانت امام عقلك متداخلة فما عادت كل علامة كسابق عهدك بها ، ما كنت تعرف لأى رمز ترمز .. فخشيت ان تسأل نفسك ٢ × ٢ فلا تقدر على الإجابة لأنك غير متأكد إن كان المقصود الجمع او الطرح أو الضرب أو القسمة .. أم هو شىء مختلف تماما .. ألقيت بالكتاب ودست عليه وابتدأت تبحث ياسعيد عن عصا .. فلم تجد .. اكتفيت بالمسطرة وقلت فى سرك « سعيد » : نعم « هذه عصا » : أعرف « ماذا ستصنع » .. لم تجب .. حاولت أن تثبتها فوق كفك المرفوع افقيا ، ولكنك فشلت .. قل الحق ياسعيد ولا تخجل ... سهرت الليل بطوله تحاول .. ولكنك فشلت .. فقد كان الرجل معك لا يريد أن يبرحك .. كان يطاردك إلى درجة أنك تمنيت أن تنشق الأرض فتبتلعك .. أو تغضب السماء منك فترجمك ... أو يثور موج البحر فيغرقك .. وعلى مدى خمسة أيام بلياليها أقلق الرجل منامك .. تركت الدروس الخصوصية ، والزوجة ، والحديقة .. وبصراحة ما بعدها صراحة كل شىء تغير فى حياتك —

اسمع ياسعيد سأقول لك كلمة حق حتى إن أغضبتك لقد أحسست أنك لست أنت سعيداً بل الرجل .. كان كل همك أن تثبت عصا طولها خمسة أمتار على كف يدك ، النهار كله ، والليل بطوله حبست نفسك فى الغرفة ومعك العصا ولا شغل لك الا أن تثبت العصا .. فى البداية يئست فقد كنت تثبتها من هنا لتسقط من هنا ، لكن الحقيقة وشهادة حق كنت تشعر أنك فى النهاية ستنجح فتثبتها على كفك ، وأذنك ، ولسانك وأصبع قدمك .. والآن .. انظر ياسعيد هاهى ثابتة فعلا .. انظر وتأمل . اضحك وتشقلب .. واعمل كل ما تتمناه .. فهنيئا لك ياسعيد فمن يساويك فرحا ؟ لكن بودّى أن أسألك .. لماذا أنت هنا الآن ؟ .. وماذا تنتظر بعد هذا ؟ .. العصا ووقفت فوق لسانك ، والرجل وقد اختفى من أمامك وملامحك وقد ظهرت كأوضح ما تكون .. بصراحة لم يعد .. لوجودك هنا من هدف أو معنى .. وأبدا.. لن تعيش اكثر مما عشت .. وحقيقى انك لو مكانك كنت أحمل عصاى الخمسة أمتار فوق كتفى وأخرج وانا ملء ثيابى .. لا يهمنى منذ اللحظة أعظم عظيم فى هذه الدنيا كلها من مشرقها إلى مغربها

دمياط : مصطفى الأسمر

□ □ □

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طقوس آخر الليل

سمير يوسف حكيم

ARCHIVE

(١)

فى جلسة الاجتماع تصدَّر المائدة المستطيلة ، وجهه صارم وجسده ممتلىء يشغل المقعد الوثير ، أشعل الغليون وامتص بعمق ، نفث دخان غليونه ذا الرائحة المميزة فامتزج بهواء الغرفة الواسعة صعدت يده على رباط العنق ليستوثق من إحكام الضغط عند الرقبة ، يفضله داكناً ليتمشى مع لون « البدلة » كالعادة تدكن الألوان فى جلسات العمل الرسمية ، تجشأ قبل أن يتكلم يماثل شىء فى نبرة صوته الشروخ المتوالية على جبهته ، توقف عن الحديث وتابعت شفتاه الامتصاص وبعمق أكثر ، هو وحده الذى يشعر ـ رغم هالة الوقار التى تحوطه ـ بامتلاء صدره بدخان خانق .

واصل بنفس النبرة ... وفى ختام الاجتماع أدلى بعدد من الاقتراحات فأومأوا برؤوسهم موافقين خرج أولاً وخلفه الباقون ، عند الباب الخارجى « وكالمعتاد أيضاً » ناوله الساعى عصاه المطعَّمة قبضتها بالعاج ، دق بها فى يأس خفى الدرجات الرخامية ، انفتح الباب الخلفى لسيارة فارهة فألقى بثقله على نفس المقعد وحجبته ستائرها الوردية عن العالم الخارجى

(٢)

فى غرفة النوم خلع عن جسمه ملابسه الضيقة ، تحرر من رباط العنق ، قلّ إحساسه بالاختناق بينما بقية من هموم الصباح مازالت تطوق رأسه ارتدى سروال البيجاما وعارى الصدر تمدّد على السرير ، أحب ـ ولأول مرة ـ أن يفعل هذا ، الليلة يشعر بشىء فى ثقل حجر يضغط على أنفاسه ، أدار عينيه فى المكان حوله ، على الضوء الأزرق للأباجورة فوق الكوميدينو طالعته صورتان متجاورتان أعلى الجدار أمامه ، يحجب أجزاءً منها شريطان أسودان ، بين الشريطين مسافة ونتوءات محفورة فى وعيه ، صعدت تنهيدة شقت صدره وتَوَلَّد عنها دفء مفاجىء ، أغمض عينيه فزحفت إلى رأسه نصف صور قديمة لا يتبينها بوضوح .. بقايا ضحكات .. زقزقة عصفور .. وأغنية لفجر يبزغ و ...

راح يركض خلف ذاكرته إلى بقايا الصور المطوية فى عباءة سنين طويلة مضت ، أنفاسه كانت تتهدج وهو يعتلى جذع شجرة التوت الوحيدة بالحديقة ، لا يهمه أن تتسخ الفانلة الجديدة الملونة والتى ارتداها صبيحة اليوم قبيل ذهابه إلى المدرسة ، حذاؤه الكاوتشوك يفارق قدميه فقط عند النوم ـ وحيد ....

الصوت آتٍ من بعيد دافئاًوحانياً ورأيته ماثلاً أمامك بنفس القامة الفارعة يلوِّح بما حملته يده ، لمّا استفسرته عمّا فى علبة الورق الكبيرة أجاب بنفس الصوت الحانى : كل سنة وأنت طيب ، هى أجمل ما وجدت فى كل محال لعب الأطفال .

قفزتْ فى القلب فرحة وانحدرت نازلاً ، تلقفت العلبة شغوفاً لفتحها ، انفرجت شفتاك عن ابتسامة ووقفت على أطراف أصابعك تطبع قُبلة على الخد المكسو بالشعر الأبيض ثم انتحيت بجوار الشجرة منشغلاً عن أبيك بالتعرف على اللعبة الجديدة ، أدرتها فتحركت فى سهولة فوق أرض الحديقة المعشّبة يقودها صبى بوجه بلاستيكى باسم وعينين عسليتين ، صنعتُ لك جناحين وطرتُ خلفهما ... خيالك الممتد إلى ما بعد سنوات عمرك التسع حملك حينذاك بعيداً عن أرض الحديقة فاخترقت السحب وسافرت إلى القمر رأيت هناك أشياء ومخلوقات عجيبة أثارت خوفك وإعجابك ، جرتِ الساعات وطال الحلم لكنك اكتفيت بهذا القدر وعدتُ للأرض ، أوقفت الطائرة وأعدتها إلى العلبة ثم إلى دولابك الصاج تحت الشجرة وأغلقت عليها على أن تستكمل الرحلة غداً ، تركت الحديقة ودلفت للداخل ، قصدتُ حقيبة المدرسة فى الغرفة الملاصقة لغرفة الجلوس ، أخرجت كتاب المطالعة وقرأت الدرس الأول .

أ ــ التلميذ يستذكر دروسه ــ اشتد ساعد التلميذ حتى صار فى قامة أبيه .

ب ــ بعد ما فرغ من تعلم آخر دروس الكتاب بدأ العمل .

ت ــ تزوج بعد سنوات من فتاة أحبها ــ توفى والد التلميذ الذى كان ... هى أيضا ... وتتوالى صور أخرى على صفحات باهتة .

(٣)

رغبة شديدة لا يعرف مبعثها دفعته ليغادر السرير ويرتدى فى حركة آلية الفانلة الملونة ثم ينتعل حذاءه الكاوتشوك القديم وفى يده كشاف أضاءه واتجه بنفس الآلية صوب الحديقة ، فى جانب مظلم كان قابعاً دولاب لعبه ، تحسسه فوجد طبقات من الصدأ سميكة أطبقت على حوافه ، حاول جاهداً فتح الباب فلم يستطع ، استجمع كل قواه وحاول ثانية ، لان الباب تحت إصراره وتهاوى منكسراً ، أخرج العلبة ومزق إطارها الورقى فأطل الوجه البلاستيكى تحت ضوء الكشاف متربأ ، مسح على وجهه فعاد إليه لمعانه ، أدار الطائرة فتحركت عينا الصبى العسليتان فى محجريهما ودبت فى الجسد حياة ، دفعها فسارت ببطء فوق أرض خلت من الاخضرار ثم تعثرت فى سيرها ، بدا له حجمها يتضخم تدريجيا حتى وجد لنفسه مكاناً واسعاً بجوار الصبى ، ارتفعت بهما الطائرة وحلقت عالياً ، تحته مبنى الشركة تضاءل حتى استحال لنقطة بلا معنى وحوله البنايات العالية قزمة جدا ، أخذا يسبحان نحو عوالم غريبة وساحرة ، نسى كل شىء أسفله وأحس بوزنه خفيفاً . لكن صوتاً حادا تناهى إليه من مكان سحيق الصوت يناديه بلا توقف وهو يرتجف ، سدّ أذنيه وقاوم جاذبية عنيفة استمرت تسحبه لأسفل ، تلاشى هدير الطائرة وتجسد الصوت حاضراً أمامه وآمراً بالنزول .

.. كان الصوت مألوفاً له ، تملكه الإحساس بأن الصلة وثيقة بينهما ، لم تسعفه ذاركته المشوشة للاهتداء إليه ، تساءل فى يأس عمن يناديه ، حين أوشك أن يحدد صاحب الصوت تراقصت أمام عينيه على الواجهة الزجاجية للطائرة صور معتمة . انتفض كل ما بداخله ، ارتجت الطائرة واختل توازنها ، تهاوت إلى الأرض وتهشمت فازداد انكماش ساقيه إلى صدره العارى .

... مبهور الأنفاس كان لحظة أن انفتحت عيناه ، نهض ، اقترب من الشريحة ، بأصابع مرتعشة التقط الغليون والسؤال منتصب فى رأسه ، فوجىء عبر سطح المرآه الغائم بوجه أزرق شاحب ... ومبلل بالعرق . عاد وجلس على السرير بجوار النافذة المطلة على الحديقة ، أحس ببرودة الفجر وأرسل البصر عبر خصاص النافذة فتخطّى الشجيرات المتناثرة بامتداد الأرض المشقّقة وتهاوى على المكان الخاوى تحت شجرة التوت ، انسحبت عيناه واستقرتا على جذع الشجرة العتيقة .

من خلال الفتحات الضيقة رآها متهدلة تحت غبش ضوء مصباح يتأرجح .

أغمض عينيه للحظات مستسلماً لنفس الألم الذى يعاوده كلما استعادت ذاكرته وجه زوجته الراحلة .

... عشرون سنة مضت غيّرت ملامح كل شىء فيها عدا أنك مازالت تواصل ...

مال بظهره للحائط وأشعل الغليون

فقد اعتاد فى الآونة الأخيرة ــ وبعد توليه المنصب الجديد ــ أن ينام نوماً متقطعاً .

الاسكندرية : سمير يوسف حكيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السباحة

ليلى الشربينى

كانت الخيمة بجوار الشاطىء ... وكانوا وهم بها جلوس يستمتعان بصوت الأمواج الخافت .. ويلعبون الماء التركوازى ..

كانت حركتا المد والجزر ملحوظتين فى هذا الشاطىء البعيد .. وكان عليهما أن يسبحا فى « الغويط » عند الجزر .

ارتدت لباس البحر قبله وجرت صوب البحر .

دخل الخيمة ليغير ثيابه . جف حلقه وشعر بالخوف .. أتراها تاركة إياه بعد الرحيل ؟ هل ضايقها بكلماته الجافة .. الباردة ؟

جلس ليدخن سيجارة قبل أن يبدل ثيابه .. إنه فى الواقع لا يود السباحة الآن .. والبحر هكذا منحسر .. انه لا يجيد تلك الرياضة مثلما تجيدها هى .

نعم انه تربى فى القرية وعام كثيرا فى الترع ، وهو طفل .. لكن .. لكنه لا يدرى الآن ما الذى يخيفه من البحر العريض ..

لم يكمل السيجارة . ألقى بها فى الرمال . أخذ يداعبها بإصبع قدمه محركا اياها حتى تأكد أنها انطفأت ..

هب واقفا ليبدل ثيابه .. فى القرية كان يسبح عاريا .. أما الآن . الآن صار يلتزم بلباس البحر .. أتراه كان محقا حين أبى أن تنزل أخته البحر يوم ذهبا الى رأس البر ؟ كانت ستنزل بثيابها كاملة .. لكن أتراه كان محقا حين جاء الى هنا مع امرأة ؟

امرأة ... هى التى تسوق العربة وهى التى رتبت الرحلة .

ـ لا عليك .. سأرتب كل شىء ..

نعم كل شىء . رتبت كل شىء .. حتى القبلات التى لم يستطع الامتناع عنها وهو معها ..

ـ شعر بغيرة مفاجئة

الكل ينظر اليها وهى بلباس البحر .. أتراهم يحسدونه عليها ؟ أم يرثون لحاله !

خلع ثيابه أخيرا

ارتدى ثوب البحر .

حقيقة إنه لا يود السباحة الآن .. لا يود أن يراها تذهب

بعيدا فى البحر . وهو .. يالجبنه ! لا يستطيع - أو ربما لا يود - الابتعاد عن الشاطىء . لمَ هذه المرارة ؟

لماذا طالبته بالزواج ؟
اما كان يمكنها الاستمرار هكذا .. دون ارتباط ؟
تريد طفلا .. الملعونة !

تخيل نفسه أبا .. يسير بجوارها وهى تدفع بعربة الصغير فى حديقة النادى منظر حلم به لكنه راه ضربا من ضروب الخيال .

ـ إنها لن تعجب أهله .
خرج من الخيمة توجه صوب البحر ..

ـ بل إن أهله لن يعجبوها .. كيف يصور لها منزله .. كيف يقول لها إن أمه لا ترتدى الا الثياب الطويلة ولا تعترف بسواها كيف ؟ وكيف ؟ وكيف ؟ أتراها ؟

نظر الى البحر .. رآها تسبح بعيدا مبعدة
سمع الحارس يصفر .
ود لو تبعها .

ود لو يسبح ليلحق بها .
ود .. لكنه تسمر مكانه .. منتظرا أن يفعل أحدهم . شيئا من أجلها .

القاهرة : ليلى الشربينى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهـــــودج

عبـد الحكيم حـيدر

جفل الجمل ، فتوقف الجمَّال عن الغناء ، واهتز الهودج رمى الجمّال المحفظة بفلوسها — من تحت رقبة الجمل — للشبح الملثم ، فانزاح الشبح ، فشد الجمّال المقود ، فمشى الجمل ، وواصل الجمَّال الغناء .

جفل الجمل ، فتوقف الجّمال عن الغناء ، فكّ الحبال من حول كيسى البلح من خلف الهودج ، فوقع الكيسان على حنكيهما تحت بطن الجمل . رفع الجمل خفه مهتزا ، فاهتز الهودج ، وانزاح الشبح ، فشد المقود ، فمشى الجمل ، وواصل الجمَّال الغناء .

جفل الجمل ، فتوقف الجمَّال عن الغناء ، وسَلَت فردة الخلخال من رجل التى فى الهودج ، وقبل أن يرميها للشبح ، طالبه الشبح بالأخرى ، فرمى له الفردتين ، فَرَنَا فوق بعضهما على الرمل . فَرَنَا الجمل لبريق الخلخال ، وأخرج من شدقيه صوتا . سحب الجمّال المقود ، ولم يواصل الغناء .

جفل الجمل — بعد تل عال — بدون أن يرى الجمال شبحاً ، والتى فى الهودج قالت : آخ ، فالتفت وراءه ، فرأى الشبح وقد كشف عن وجهه ، ويده الطويلة قد تجاوزت حدود الحناء فى الرجل البيضاء الخارجة من الهودج ، والجمل فتح رجليه الخلفيتين وبلل الرمل ، ولما طالت وقفة الجمال ؛ حزق الجمل ، فجادت مؤخرته بالبَعر .

وبعد أن أوصلهما إلى أول العمار ، كانت هى فى الهودج كما كانت وخلخالها كما هو على حاله يميل من عند بزتى قدميها مدارياً شرشرات الحناء ، ومحفظة الجمَّال فى صدرها ، وكيسا البلح كما هما خلف الهودج ، وشريط الكحل فى العين أفسده التعب ، والجمال — من خلف الجمل — يغنى ، وقد اطمأن على الهودج .

القاهرة : عبد الحكيم حيدر

ثلاث قصص قصيرة جداً

طارق المهدوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) المرحومة

صرخت السيدة العجوز عندما أغلق باب المترو على حقيبة يدها ، فألقى أحد الركاب الحقيبة إليها بعد أن كانت قد أحيطت بجمهرة من الناس جذبتهم الصرخة النسائية المذعورة . حملت السيدة العجوز حقيبتها وغادرت محطة « حلوان » وهى تسب السائق الأحمق معلنة أنها سوف تركب سيارة أجرة .

قال أحدهم أثناء مرورها بجواره « الحمد لله نجت بأعجوبة من الباب اللعين الذى كان يمزق يدها » . وبعد مغادرتها المحطة بسلام سأل آخر بطريقة استعراضية « هل رأيتم السيدة العجوز التى انحشرت قبل قليل بين ضلفتى الباب ؟ » موجهاً الحديث إلى رفاقه الذين وصلوا للتو ، فردت امرأة شابة تجلس بعيداً عنهم « لقد حملتها سيارة الإسعاف الى المستشفى فى حالة خطرة . » .

عندما وصلنا الى محطة « المعادى » كان الناس هناك يترحمون بأسى على السيدة العجوز التى قيل إن « أهل حلوان لملموا أشلاء جثتها من فوق شريط المترو بعد أن انزلقت تحت العجلات وهى تقاوم الباب » .

(٢) المقـــال

كنت متعجلاً لكتابة المقال الذى طلبه رئيس التحرير حول الفيلم فأنهيته خلال ركوبى سيارة الأجرة ، إلا أننى نسيته فيها . فى المنزل أعدت كتابة المقال مرة أخرى ، ولما تشاجرت معى زوجتى فى الصباح خرجت غاضباً إلى الجريدة ، وهناك أدركت أننى لم أضع المقال فى حقيبتى إذ كنت مرتبكاً بسبب المشاجرة . حاولت ترتيب أفكارى وأعدت كتابة المقال من جديد ، بمجرد الانتهاء من الكتابة أبلغنى موظف الاستقبال أن لديه مظروفين خاصين بى ، أحدهما من زوجتى والآخر من سائق الأجرة .

وضعت المقالات الثلاثة أمامى فاكتشفت أننى تناولت نفس الفيلم بثلاث وجهات نظر متناقضة ، فى الأولى هاجمت عيوبه بشدة ، بينما دافعت عنها فى الثانية ، أما فى الثالثة فقد أنكرت ان بالفيلم أى عيوب . وكان رئيس التحرير قد دخل الى مكتبى لاستلام المقال الذى تأخر كثيراً عن المعتاد .

(٣) وفى يده حجر

أخذ بعضهم يتحدث بأسى عن العمق التاريخى للمشكلة ، فى حين كان بعضهم يحلل موازين القوى الإقليمية والدولية ، واهتم آخرون برصد الآثار السلبية لغياب الجماهير عن المعركة بينما قارن غيرهم بين الظرف الذاتى والظرف الموضوعى ..... تلاقت أحاديثهم وتجمعت لتصنع سلسلة سميكة التفت حول أعناقهم دون أن ينتبه أحد منهم فقد كانوا مستغرقين فى الحوار ، أجهزت عليهم وهم جلوس على المقاعد الوثيرة المحيطة بالطاولة الخضراء . تفرعت السلسلة كأفاع اتجهت نحونا ، أخذت تحاصرنا ، تداخلت الأفاعى وتشابكت حول أجسادنا وفوق رؤوسنا فضاقت مساحة الهواء ، جلسنا القرفصاء ننتظر النهاية ما عدا طفل صغيراً ظل واقفاً . أمسك الطفل بحجر وقذفه فنفذ الى الجانب الآخر محدثا فجوة كبيرة فى تلك السلسلة الشيطانية التى أدركنا جميعاً أنها مصنوعة من الزجاج ، نهض كل منا وفى يده حجر .

القاهرة : طارق المهدوى

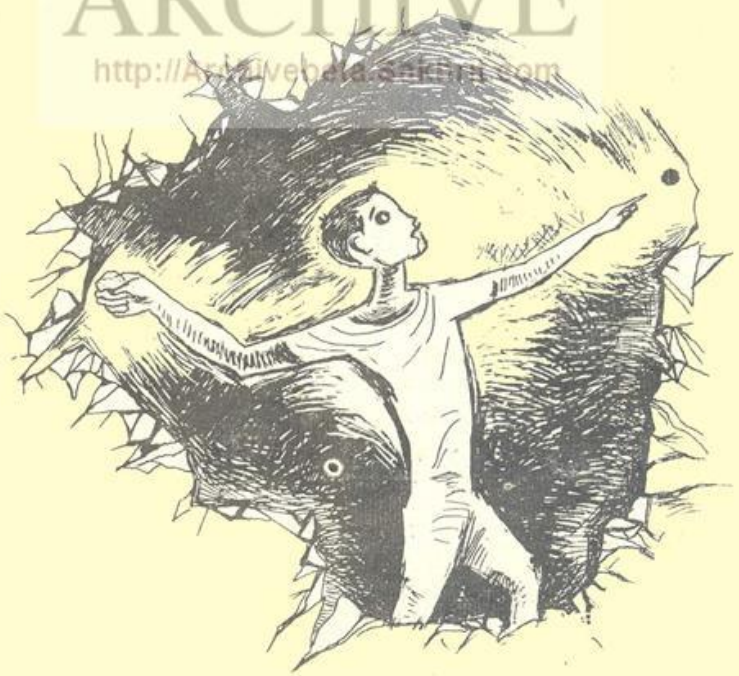

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الترابيس

أحمد محمد حميدة

هذا هو بيت المدعو عبد الودود .. ما زال الزمن معلقاً بأركان فنائه العالى ، تخطيت دهليزه الرخامى .. درجاته الملساء مخدوشة كانت ، بأصابع الأزمنة المتوالية ولهو العيال .. وقفت فى المربع الفسيح يلفنى الخواء المستتر خلف السكون .. ضربت كفاً بكف وناديت ..

الحاج عبد الودود ..

متعجباً للمساحات الشاسعة ، مترامية الأركان .. صفقت ـ

عبد الودود ..

أتطلع إلى بئر سلم حلزونى واسع ..

يردد ندائى وتصفيقى الصمت القابع فوق الدرج المتصاعد والسياج الحديدى .. لو لم أكن أعلم بأن البيت معمور ومأهول بسكانه

ـــ وأننى آت إليه رأسا ـ لخمنت ـــ أنه مهجور ..

أعدت التصفيق .. فرجع الصمت المعاند صوت يدى ، قلت فى نفسى الضائقة .. لعلهم نائمون ، ولا يبالون .. فأنا لم أزف الخبر بعد ـــ وإن كنت أشك فى هذا ـــ فلا يمكن لبيت كبير مكون من ثلاثة طوابق ، وبكل طابق شقتان ، وبكل شقة أسرة ، أن يكونوا نياماً حتى الآن ـــ الخامسة بعد الظهر .. عبد الودود ..

وضربت كفى .. أبعد عن نفسى الضيق الذى بدأ يتراكم .. لو حدد ذلك المرسل منه الطابق والشقة ، لتوجهت إليه مباشرة .. لكن الإسم الوارد بالتلغراف يقول .. منزل عبد الودود .. وهذا هو بيت عبد الودود ـــ رائحته كامنة فيه ..

أطلقت حنقى فى ضربات كفّى ردد صداها الصمت على الجدران .. المرسل منه ـــ أيضا ـــ الشيخ عبد الودود .. وجه قبلى .. سوهاج : عبد الودود فى خطر ..

منعتنى الجملة الممزقة ، متباعدة الحروف من التفكير فى الصعود ، فنحن الفأل الشؤم ، السيّىء .. والفأل الفرح . نحن ، نذير الخير والشر ، على أى باب أدق .. ؟ لمن أزف البشارة والخبر الحزين أنشره .. ؟

ـــ عبد الودود فى خطر ـــ

أطلت امرأة من الدور الأخير .. نظرت إلى أسفل ولم تجب .. رفعت بالتلغراف يدى .. فأشارت بأدب نحو الشقة المقابلة .. وأسرعت بالدخول ، دافعة ترباسها بصوت واضح متعمد .

وأيقنت من انها تعلم بخبر التلغراف .

لكن كيف لى الصعود الآن .. ؟

ظهر شاب وسيم من الشقة المقابلة ، لم يسألنى عما أريد ، وأشار على الفور إلى الطابق السفلى ، بينما امرأته الشابة تشده من ذراعه ليدخل ، ثم هبدت الباب والترباس ..

أنا زائر العصر المفاجيء ، حامل الأحزان البعيدة والتعب ، قد جئت .. غير مرغوب فيّ .. لكن جئت . عملي يحتم عليّ المجيء .. فلأجد في البحث عن ذلك العبد الودود ..

رأيت رجلا بالطابق الثاني .. تذمر وهو ينظر إلى أعلى بعد أن نظر إليّ — مرة بعد مرة يخشى تواجد أحدهم « فوق » .. رآني وحدي ممسكاً بالتلغراف ، سألني بأشارة من يده المشعرة عما أريد ، فلوحت بالورقة وجّه أصبعه السبابة نحو الشقة المقابلة ، ثم هرول بالدخول في حين سمعت ترباس الشقة المقابلة يفتح مع شعوري بمهانة متضاربة .. أرجعت كل ذلك لشدة حزنهم ، فربما وصلهم تلغراف آخر ، أو تحدثوا إليهم بالتليفون من الصعيد ..

انتظرت أن يفتح الباب ..

نفخت ، وصفقت ، وألم حاد ينتاب رقبتي المشدودة بارتفاع وجهي لأعلى .. تمدد من فوق السياج رأس امرأة متبرجة .. نحيت وجهي جانباً .. فكل شيء أسفلها قد بان .. تراجعت إلى الوراء ململمة ثوبها النايلون بخجل ، مشيرة لأحد وراءها — قد جاء — أن يتواري .. ثم أشارت إلى الطابق أسفل وأغلقت الباب بعنف ..

أكيد هم يلهون بي .. يدفعونني لحافة الضيق والثورة .. ثم يسحبونني متعمدين . على الرغم من أن — أغلبهم كما هو واضح — متعلمين — الا أنهم — حتما — مجانين .. فلأتحداهم في عقر دارهم وأزف إليهم البشارة .. أنشر الخبر المؤلم بصوت عال .. أن عبد الودود في خطر .. وعليهم أن يودعوا الرغد لفترة من الوقت ويرحلوا إلى الصعيد ..

تسلل قاطن الدور الأول ، ونظر برأس مشعث ونظارة ذهبية السياج قال بوقار رئيس الإدارة ..

— ماذا تريد .. ؟

أريد تسليم هذه الوريقة ، لو تسمحون .. وأن يوقع عليها أحد الناس في هذا البيت .. استغرب الرجل ، ومط شفته السفلى ومد ذراعه مشيرا بوقار عسكري نحو الشقة المقابلة ، وعيناه تختلسان النظر إلى أعلى وأسفل .. كان يريد السؤال عما أريد وعمّا أحمل في وريقتي المعذبة ، الا أنه أحجم بدعوة أبنائه الشبان بالدخول فالغداء جاهز وهم ينتظرون .. ودخل ورف صوت الترباس .

واشتعلت غيظا ، وخمنت أن بعضهم يراقب بعضا من وراء الأبواب ، وأن كل واحد منهم ينبه الآخر أنه ينوي الخروج أو الدخول بحركات الترابيس .. فلم يتقابل أحدهم بالآخر طوال فترة انتظاري ببئر السلم ..

انتظرت أن يخرج الذي بالشقة المقابلة ، وفي رأسي رغبة ملحة على اللهو بهم فهم بالتأكيد يعرفون فحوى الرسالة ، ويعرفون أيهم له علاقة بعبد الودود .. ولا يريدون أزعاجه بخبره المفزع ، فسوف يتألم كثيراً ، لذلك لن يتسلموا التلغراف ، وسوف أرجع بكمدي .. و ..

انفرج باب الشقة المقابلة على وجل وحذر .. تدلى من فوق السياج وجه امرأة عجوز ، متصابية .. قالت بصوت واهن مشروخ النبرات ..

— المستشار ليس موجوداً . لم يأت بعد .

وأشارت بيد أساور الذهب .. نحو الشقة التي على يساري .. وتسللت بهدوء وأغلقت بابها ، وتنبهت — متعمداً — لصوت الترباس .. استغربت .. والتفت إلى الشقة بيساري ..

كان على بابها العتيق لافتة من نحاس صدىء ، باهتة الحروف .. « مهندس محمود عبد الودود » أمعنت النظر ، وتأسيت لنفسي في غضب .. لكن ما العلاقة بين المستشار والمهندس والطوابق الأخرى ؟ سألت نفسي متعجباً .. وخبطت الباب بحذر ، وابتعدت قليلا .. كتمت غضبي بغيظي .. فتح الباب .. أطل طفل مهذب صغير .. قال لي على الفور بصوت هادىء ، وكأنه حفظ ما قاله من قبل :

— بابا ليس موجوداً إنه بالعمل .. عن إذنك ..

وأغلق الباب بين دهشتي وصمتي ..

قررت أن أرجع بالتلغراف .. وأكتب عليه مغلق .. ليسوا موجودين .. لم يستدل عليه .. ولا يعرف أحد أحدا بهذا الأسم ..

كان الباب الذي على يميني يفتح ليلفظ رجلاً قصير القامة .. ناعسا وصوته المستغرب يقول .

— لم يرد أحد عليك حتى الآن ؟

انشغلت برأسه النعسان ، فاستطرد يقول

— غريب طبع الأنسان ياأخي .. تصور أن كل هؤلاء إخوة .. ؟ أمازال في خطر ؟ ربطني حديثه وكنت شارعا في الانصراف .. قال :

— طول عمره وهو في خطر .. كان هنا منذ فترة قصيرة ... ولّيته ظهري واستقبلت الباب .. وهو يثرثر ..

— كان هنا .. وسافر ليموت هناك .. ينتظرون موته .. لتوزيع التركة .. لكنني سوف .. لقد .. لن أخرج .. سوف .. إنني ..... لم يمت . ها ؟ .... أهو حيّ بعد ؟ لكن ....

الاسكندرية : أحمد محمد حميدة

المكسب و الخسارة

محمد سليمان

لا تزال الإشارة حمراء كأنها عين عفريت تتربص به . يحس بحاجته الى هواء نقى . يضغط زر المكيف ويفتح نافذة السيارة . ستضيع منه الصفقة بسبب هذه الاشارة اللعينة ! مكسبه فيها لا يقل عن ثلاثين الفا .. نعم ثلاثون يخرج آلته الحاسبة يعيد حساباته . بل خمس وثلاثون . أف .. متى يحضر هذه المصيبة ؟ لم يبق على موعد إقفال باب العطاءات سوى ربع الساعة . يجذب بضع مناديل ورقية يجفف بها عرقه . تعلو فجأ أبواق السيارات فى ثورة احتجاج . يشارك بدوره من باب التنفيس . ينظر إلى ساعته . باقٍ عشر دقائق ! غير معقول هذا التهريج ! لاكبارى نافعة ولا مترو انفاق . لم يبق غير الطيران فى الهواء ! يغادر السيارة فى ضيق . يشق طريقه بصعوبة بين السيارات حتى يبلغ تقاطع الطريق . مولد وصاحبه غائب . حشد غريب من السيارات من كل الماركات . كل يريد أن ينفذ بسيارته كمن يريد النفاذ بجلده . لا أثر لعسكرى المرور يعود ينظر إلى ساعته . لم يبق سوى خمس دقائق . لا فائدة حتى لو انفتح الطريق بعصا موسى!عليه العوض ! بعد أن كانت الصفقة فى جيبى تضيع بسبب إشارة ! يافرحتك يامعلم شعبان ، ستفوز بالصفقة وحدك . عرفت سعرك بوسائلى الخاصة لكن ما الفائدة ؟ الثانية عشرة وسبع دقائق . ضاعت الصفقة ! تندفع الدماء إلى رأسه كألسنة اللهب . تكاد الدموع تطفر من عينيه . يمضى إلى رصيف الشارع . تنتابه الحيرة . يحس حلقه جافا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كالعصا . يدور ببصره بحثا عن كشك مرطبات . يلمح البنايات الشاهقة فتأخذه الدهشة . هذه البنايات متى شيدت ؟ . وهذه الحديقة متى أنشئت ! لا .. إنها نفس الحديقة وقد جددوها .. نفس الحديقة التى جلس فيها منذ ما يقرب من عشرين عاما يأكل الطعمية ! يوم أن طرده صاحب المصنع لسبب تافه . الآن يستطيع أن يشترى المصنع وصاحبه . لكن كيف يدفع ثانى صفقة تضيع منه ؟ الأولى كانت خسارتها بسيطة . أما هذه ؟ زفر فى ضيق واتجه صوب الكشك . ما كاد يقترب حتى رآهما . متقاربان فى العمر لا يزيد أيهما عن الخامسة والعشرين . يقفان أمام الثلاجة المجاورة للكشك والبسمة تعلو وجهيهما . احتمى بظل شجرة يتأملهما . شىء ما يشده إليهما . الشمس تفرش الطريق ما عدا مساحة ضئيلة من الظل صنعها الكشك . تحتمى بها الفتاة . تزداد التصاقا بالكشك لتفسح له مكانا .

يقترب ليصبح نصفه فى الظل ونصفه فى الشمس . يرفع الزجاجة الى فمه فتضرب الشمس عينيه . ترنو اليه ضاحكة . تشير له أن يستدير ليعطى ظهره للشمس . يرفض حتى لا يوليها ظهره ، يظل فى مواجهتها ويدفع رأسه داخل الظل . يكاد وجهه يلتصق بوجهها . تبتسم وتتراجع . يجهز على محتويات زجاجته بسرعة ويتأملها . ترشف من الزجاجة ببطء . تتوقف عند نصفها وتعطيها إياه . يرشف بقيتها ببطء شديد كأنما يستقطرها وهى تضحك . هنا تذكر سناء وهى تعطيه نصف كوب عصير البرتقال منذ ما يقرب من العشرين عاما ! كانا منزويين داخل دكان العصير . راحا يقتسمان الكوب معا رشفة رشفة . فى الثالثة مساء كانا يحتلان كرسيهما فى السينما ليشاهدا الفيلم الهندى :

رفض أبوها زواجه منها لفقره . لا تزال أنغام الحب فى الفيلم الهندى تكمن فى وجدانه رغم السنين ، هو الآن عضو فى نادى أرانب الانفتاح وقد أشرف على الخمسين . سرقته السنين ولم يفكر فى الزواج بعدها .

الشاب والفتاة يمضيان متشابكى اليدين . يتأملهما حتى يغيبا عن بصره . تزداد وطأة إحساسه بالعطش . يمضى الى الكشك ويبتاع زجاجة مرطبات . يحسوها ببطء شديد كأنما يستقطر لحظة الهناء الوحيدة التى مرت بحياته !

القاهرة : محمد سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

□ □ □

دورة نهـــار

ســهير التــلّ

لم يفكر ، وهو يودع صحبة المساء إلى منزله ، أنه أصبح كالساعة ، يمكن لأيّ ممن يراقبه ليوم أو اثنين ان يضبط ساعته بناء على حركته ، فهو كموظف حكومي مرموق على مستوى المحافظة تعوّد أن يبدأ صباحه في الساعة السادسة . يتناول قهوة الصباح وقد يدخن لفافة بينما يحلق ذقنه ، ويجتث شعرة بيضاء نمت هنا أو هناك ، بالرغم من اعلانه المتكرر لأهمية الشيب كرمز للوقار والحكمة ، ويخرج ليسير بتؤدة الى دائرته الحكومية القريبة حتى يصلها قبيل الثامنة بدقائق ، وما أن تلتقي عقارب الساعة معلنة الثامنة حتى يغرق في كومة الملفات لا يرفع رأسه عنها الا عندما تعلن عقارب الساعة معلنة الثانية بعد الظهر ، عندها يبتسم لآخر مراجعيه بهدوء ملمحاً الى انتهاء اليوم الرسمي ، ويغادر ليبدأ نهاره دورة أخرى ...

هو لا يفكر كثيراً بمستقبله المهني ، فقد ولى عهد التفكير الى غير رجعة عندما أُعلن عن توظّفه في هذه الدائرة الرسمية ، يومها زغردت والدته لأنّ ابنها سيصير موظفاً حكومياً مرموقاً يسهم في حل مشكلات جميع أبناء البلدة ، أما هو فقد اطمأن الى مرتب آخر الشهر والراتب التقاعدي بعد سن الستين ، وأعلن أنه سيتفرغ لانجاب الأطفال ولعب طاولة الزهر في المقهى القريب الذي اعتاد الانتظار على مقاعده قبيل التعيين .

تنتهي دورة المساء الأولى بعد لعبة الزهر وكؤوس الشاي والثرثرة حول اخر الأخبار في الصحيفة اليومية .. ويمضي بتؤدة كما اعتاد عبر الزقاق الطويل الذي يوصله الى منزله البعيد عن الشارع الرئيسي حيث مقهى البلدة ، تمتلىء أساريره باحساس مبهم بالرضى ، يفكر بالأولاد وأمهم بخبث ، وقد تخيلهم نائمين وامهم تنتظره بذلك الثوب الوردي المفتوح الصدر ، يزدرد لعابه ويهمس :

ـــ ساطلب منها ان ترتدي ذلك الثوب .

تبدأ دورة اليوم الأخيرة ، يتحلق الجميع حول جهاز التلفاز ، يتململ الأولاد بانتظار انتهاء نشرة الأخبار ، يحدّق هو بالصور المتتالية مفكراً بالفرصة المناسبة لابلاغ الزوجة بأمر الثوب الوردي والزوجة لا تكفّ عن الذهاب والاياب بثوبها الرمادي المعتاد مغطية جزءاً من الشاشة بردفيها المترهلين .. لا يكف عن التجشؤ ، لكنه يجد الفرصة لنهرها كي تبتعد عن الشاشة .. وما ان تميل بجسدها قليلاً حتى تتجمد تقاطيع وجهه وكأن عفريتاً تلبّسه .. تهتف الزوجة بغباء :

ـــ هيه .. انظروا .. أليست عُلا ؟

الوجه الملائكي يطلّ عبر الشاشة ويغطيها كاملة فيما يرتفع الصوت متحدثاً بلهجة واثقة رصينة

ـــ يهتف أحد الاولاد :

ـ ما أحلاها ..

يشعر بيبوسة فى حلقه ..

« نعم إنها علا يردد فى نفسه .

ـ أصحيح أنها كانت زميلتك ايام الدراسة ؟

تسأل الزوجة ، بنفس الغباء لا يرد ، يتأمل الوجه ملياً نعم هى « علا وجهها ، صوتها ، لكن ما هذه الجمهرة المحيطة بها ؟ تلح الزوجة فى السؤال .. لم تقل هل صحيح انها كانت زميلتك ؟ اهل الحارة يقولون أنها تشغل مركزاً مهماً .. يتحدثون عنها وكأنها معجزة ... » ينتهى الخبر قبل أن يعرف على وجه الدقة حقيقة الأمر .. يشعر بالحنق ويداهمه سيل من الذكريات ، تنتهى دورة النهار .. ينسلّ الى فراشه يعانق الحائط وينسى أن يطلب الى زوجته التى ارتفع شخيرها أن ترتدى ثوبها الوردى

ما أطول هذا الليل !

يطل وجهها المبتسم من خلال الحائط البارد

عُلا ، ما الذى أتى بك بعد كل هذه السنين ؟

يبتسم الوجه ..

ـ « قلت لك سأغيب عشرات السنين وسأعود لأجدك موظفاً متكرشاً مغموراً فى احدى المدن الصغيرة ، عندها ستعرف من منا على حق »

ـ ابتلعت ما اسميته بالدعابة ، وكان تحدياً ، انت التى اعتدتِ التحدى فصار سلوكاً يومياً ، جزءاً من شخصيتك ، لكنك عززته بالنجاح فصرت محط حسد الحساد وأقوال القوّالين ، ولم تهتمى .. استمرت مسيرتك كما اخترت بالضبط .. كنت نجمة التفوق بالدراسة والنشاط ففرضت إرادتك على الجميع ولأنك الأولى فى كل شىء لم تسلمى من الاهانة ، لكنك كنت فوق الجميع ، تحادثين هذا وترفضين ذاك ، وما اقساك عندمت كنت تنعتين أحدهم بالسخف إذ بالرغم من الرفض المعلن لآرائك وسلوكك ، كان رأيك هو الفيصل وهو الحكم الذى يسير عليه الجميع .

ـ لكنك كنت صديقى المفضل ، كنت احدس بأن فيك شيئاً مختلفاً ، هل تذكر تلك القصائد الجميلة التى كنت تتلوها على مسامعى سراً ، بعيداً عن بقية الطلبة ؟ كانت بمثابة مؤشر على ولادة شاعر ، لو انك تابعت ، وكنت أدرك أننا سنكون مشروعاً حضارياً لو أنك تسلحت ببعض الطموح والرغبة فى كسر قوالب الجمود ..

ـ نعم اذكر ، اذكر كم من الليالى أمضيت وانا أدبج تلك القصائد ، اذكر كل تلك المناسبات التى كنت تدفعيننى فيها دفعاً لإلقاء بعض شعرى ، لكننى كنت أجبن فى اللحظة الأخيرة .. لأتوارى وتتوارى قصائدى فى دجى الليل .. وكنت تحتجين وتثورين وتتهمينني بالجبن ، الى أن كان ذلك اليوم قبيل التخرج يوم اخذت بعض أبيات لى ونشرتها دون علمى فى مجلة الجامعة ، عندها خفت .. لكنى خبأت خوفى وراء سورة غضب مزيف .

اذكر تلك اللمعة التى أوحت بسقوط دمعة وشيكة من عينين هما نبعا عسل وأنت تهمسين بجلال : « لاننى أحبك .. أريدك الأفضل » .. لم أفهم ، عانقت ليلتها مخدتى ، وتخيلتها جسدك عارياً ، وفى الصباح تجاهلتك .. فقد فكرت طويلاً وقررت ان المرأة التى تبدأ هى المرأة الأسهل ، والمرأة السهلة متاع للجميع ..

كم هو طويل هذا الليل

يُغَيِّب وجهها الشخير المرتفع فوق الوسادة الأخرى .. ينظر اليها .. لم تكن سهلة فقد كلفه زواجه منها الكثير من المال لكنها كانت المرأة الأولى وكنت الرجل الأول وكلانا لم يكن يعرف شيئاً سوى انجاب الأطفال وسط عبق رائحة الثوم والبصل ، وغاب الشعر فى غابة الشعر المنكوش والثوب الرمادى المعتاد .. لكننى عرفت لاحقاً ، فيما عرفت ، ان المرأة التى تعبر عما تريد ليست الأسهل ..

تبدأ دورة النهار ، يصحو بتفاؤل على صوت مرعوب يعلن اقتراب الساعة من السابعة ، لا يشعر بطعم القهوة ، واللفافة تترك أثراً مرّاً فى حلقه لكنه يمضى الى عمله مهرولاً ، فقد تأخر هذا الصباح ..

يغرق فى سيل الملفات ، لكنه لا يفعل شيئاً ، يطل وجهها فى كل ملّف وتحلق نبرات صوتها فى طلب كل مراجع ، وفى المساء يخسر فى لعبة الزهر ، ولا يشرب كوب الشاى المعتاد ولا يثرثر حول الأخبار فقد نسى مطالعة الصحف ..

وتمضى دورة الأيام .. لم يعد تلك الساعة المتحركة التى يمكن لأى من معارفه ان يضبط ساعته على توقيعها .. انتفخ جفناه من جراء طول السهر ، وتوترت أعصابه من جراء القلق وكثرة التفكير ... لم يعد يمشى بتؤده ، بل أصبح يهرول من وإلى كل مكان يذهب اليه .. تعب .. تعب كثيراً ..

تبدأ دورة نهار جديد ، وقد انتهى الى ضرورة لقائها .. تلك المرأة الأسطورة التى تمتلىء بغرائب قصصها ثرثرات نسوة البلدة ، ..

اصطنع النشاط لكنه لم يستطع كان حليقاً وأنيقاً على غير عادته فى الأيام الأخيرة ، وكان قلقاً أيضاً .. لم يخفف من حدة توتره إحساسه بروعة المكان ، وتلك اللمسات الأنثوية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجمال الموزعة فى كل مكان .. أعلن اعجابه للسكرتيرة التى استقبلته ببرود الجهل التام عندما ذكر اسمه وغرضه ، وازداد قلقه وهو يراقب طريقتها اللامبالية فى ابلاغ السيدة بأمر وجوده .. وطريقتها فى أمره بالانتظار

اللحظات طويلة ومرة .. ترى كيف ستستقبله ؟ من المؤكد أن نجاحها الباهر ينسيها زميل دراستها الأثير ، لابد أنها ستذكره بمجرد أن ترى وجهه ، فقد كان لتلك القصائد وقعها .. ستسأله بالتأكيد عن الشعر ، لكنه لن يخبرها بأمر نسيانه للشعر وأمر وظيفته فى المحافظات .. سيسألها عن حالها ، وسيعرف ان كانت لا تزال تحبه ، عندها سيثور على الزوجة صاحبة الثوب الرمادى والشعر المبعثر ، سيعلن رفضه لعبق رائحة الثوم والبصل ، وسيغرق فى هذا البحر من الجمال الرائق وسيقيم معها بأحلى الاختيارات ..

يفيق على صوت السكرتيرة تطلب اليه الدخول .. يقطع المسافة الباقية بتؤدة كما تعوّد .. يشدّ ظهره ويتصنع تكشيرة موظف المحافظات المرموقة .. وعندما يقابلها ، تصفعه النظرة الباردة المطلة من عينيها العسليتين .. وصوتها التلقائى الرقة يهتف :

ــ عفواً استاذ .. أرجو أن تعرفنى بنفسك ، فإنى لا أذكرك ؟

الأردن : سهير التلّ

□□□

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معزوفتان للموت

سامى عبد الوهاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ طعم البلح الأخضر

حين قال لنا إنه يستطيع أن يطلع النخلة العالية . ويهز سباطها كى يتساقط لنا البلح فنأكل حتى نشبع ، قلنا إنه لا يستطيع .. حلف إنه يستطيع أن يفعل وحلفنا أنه لا يستطيع .. قال : سترون !

كانت النخلة عالية .. أعلى من مئذنة جامع سيدى عبد الله ، وأعلى من الصهريج وكان هو صغيراً ، صغيراً .. ولكنه قال لنا : سترون ! ..

تقدم إلى جذع النخلة ، رفع رأسه ونظر إلى جريدها الكثيف وسباط البلح الأخضر والأحمر والتفت إلينا قائلا :

ـ أيحب أحدكم أن يأتى معى ؟

لما لم يرد أحد ، شتمنا .. ووضع طرف ثوبه فى فمه ، بانت ساقاه السمراوين .. احتضن جذع النخلة وبدأ يطلع .. لما وصل إلى منتصف النخلة هللنا مشجعين ومعجبين .. ولما وصل الى نهايتها صفقنا له و ..

كانت النخلة عالية .. وبدا هو أكثر ضآلة .. مد يده الصغيرة إلى سباط البلح وأخذ يهزه بعنف .. تساقط البلح على رؤوسنا واكتافنا وعلى الأرض من حولنا .. ضحكنا وانحنينا نلم البلح ونحشو به جيوبنا ونأكل .. كان بلحاً أخضر ، وكنا نشرق به ..

ـ نريد بلحا أحمر .. نريد بلحا أحمر ..

صحنا به فى احتجاج ، ونحن نضحك ونأكل ويضرب بعضنا بعضا .. لم نسمعه يرد .. لكننا شاهدناه يحاول أن يصل إلى البلح الأحمر فى أعلى سباطه .. مد يده .. مدها عن آخرها .. يحاول أن يطعمنا بلحاً أحمر .. لكنه .... سمعنا صرخة حادة .. وصوت ارتطام شديد .. ورأيناه يتكوم هناك .. قرب جذع النخلة العالية .. صغيراً كان .. ونحيفاً ولكنه ....

ـ مات ؟

تساءلنا فى خوف وحزن .. وانطلقنا نجرى .. نجرى .. وتركناه هناك قرب جذع النخلة العالية .. وقد انحسر ثوبه المتسخ عن ساقيه السمراوين ، وحوله تناثر بلح أخضر كثير ، طعمه ليس جميلا .. وكنا نشرق به ..

٢ ـ عزف أخير : محمد شمعة

ـ محمد شمعة

ـ .....

ارتفقت رأس الأستاذ عاصم عن كشف الحضور والغياب ، تجولت عيناه فى أنحاء الفصل وهو يكرر ..

ـ محمد شمعة

ـ .....

على الرغم من وجود اسم أبيه فى الكشف فإننا لم نعرفه أبدا .. ولم نسمع الأستاذ عاصم نفسه يناديه به يوما .. وكان محمد شمعة يتقبل الأمر وكأنه لا يخصه ..

كان حين يسمع اسمه « محمد شمعة » يرد بسرعة وبصوته العريض القريب من أصوات الرجال

ـ أفندم ..

تتجه إليه أنظارنا تلقائيا هناك ، فى نهاية الصف بجوار الحائط يجلس محمد شمعة .. يعبث بطلاء الحائط ، أو يحفر دكته الخشبية بمسمار صغير ، يرسم طائراً أو حيوانا .. لكنه أبدا لا يكتب اسمه .. كنا نضحك كثيرا عندما نراه ممسكا بالقلم بطريقة خاطئة بين أصابعه الغليظة ، لا تمكنه من كتابة الحروف والكلمات بشكل صحيح .. وكلما حاول الأستاذ عاصم أن يصحح له الوضع .. لا يلبث بعد قليل أن يعود ليمسك القلم بطريقته .. ينهال عليه الأستاذ عاصم ضربا .. لكن محمد شمعة لا يهتم ويصر على الامساك بالقلم بطريقته وعلى العبث بطلاء الحائط ، وعلى رسم الطيور والحيوانات على دكته .. لم يكن يبكى أبداً كأن جلده مات مثل قلبه .. محمد شمعة قلبه ميت .. كان يستطيع أن يدخل الجبانة فى « عز الظهر » عندما تنشط العفاريت ، وكان يطلع أعلى النخلة ويجلب لنا البلح الاخضر والأحمر والأصفر .. وكان يتسلق سور جنينة الباشا العالى ويقذف لنا عناقيد العنب وحبات الجوافة الخضراء دون أن يخاف من الخفير حسانين ،

ـ محمد شمعة

ـ .....

لما لم يرد محمد شمعة ، انحنى الاستاذ عاصم على مكتبه وسجل أمام اسمه حرف الغين .. منذ ذلك اليوم لم نعد نرى محمد شمعة .. وبعد أيام نسيناه .. ولم يعد الاستاذ عاصم ينادى اسمه كل صباح ..

واليوم .. وجدت الخالة شمعة أمامى تحجل وراء حمارتها ، تارة تسب الحمارة ، وتارة تسب العيال الذين يشاركونها .. سألتها ..

ـ خاله شمعه .. خاله شمعة .. محمد راح فين ؟

تساقطت دموعها ، وأسرعت وراء حمارتها دون أن تجيب ..

المحلة الكبرى : سامى عبد الوهاب

□□□

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأمـــــل

محمـــود عـــبده

لو كنت ابن .. نط هذه الترعة .. نظرت للترعة وفى عينىّ يبرق هدف بعيد المنال ...

... الترعة واسعة .. حفرها الأستاذ ابراهيم .. واستهلك لحفرها كل حصص التربية الزراعية ..... شىء خفى يجعلنى أتوهم بأننى سوف أنطّها .. أخذت للخلف عدة أمتار .. أطلقت لقدمىّ العنان ، لتضربا الأرض بسرعة وتنطلقا .. فى الهواء لأسقط فى وسط الترعة .. ويحتشد العيال ليتفرجوا على المشهد المثير .. والذى طالما سرهم كل يوم عندما يقع تلميذ منا فى الترعة فى وقت الفسحة ..

فردْت مريلة المدرسة المبتلة على جدار الصوبة الخشبية .. وجلست فى ظلها .. واحساس يملؤنى طمأنينة بأن المريلة ستجف قبل انتهاء الفسحة .. وأن هناك وقتاً كافياً لنتحدث أنا وزميلى (خَلفْ) ونحكى حواديت .. فعلى الرغم من أنه أوقعنى فى مطب .. إلا أننى أرى أنه حسن النية .. فقد أكون بسبب إثارته لى حامل لقب أسطورى .. ويحكى كل أطفال العالم عنى .. وأكون الألفة ....

.....

أصوات التلاميذ ترتفع إلى السماء .. يتماوج التراب فى الهواء كقطعة شاش ، ومبنى المدرسة يشف من خلفه ... وسرعة حركة الأطفال التى ليست عشوائية بقدر ما هى سرعة من لا تسعه الدنيا من الفرحة .. أو سرعة فض الملل الذى انتابهم من الحصص الأربعة الماضية ..... كان أخى فى الجهادية ، يغيب شهورا ، ويرجع .. نسهر طوال الليل يحكى لنا عن الحرب .. ويصف لنا عساكر اليهود .. وفى ليلة ، ترددت على الباب دقات .. لم يسمعها أحد ؛ فقد كنا نغط فى نوم عميق .. وحين توالى الطرق .. أحدث باب الحجرة صريراً .. ويخرج أبى .. يصيح .. من ؟!

قالت أمى التى أيقظها ضوء الصباح : أسرع .. قد عاد من الحرب سمعت أبى يتمتم « امرأة غريبة » !!

● ● ●

..... كنا نلعب على النجيلة الواسعة .. لمحت عربة جيش تقترب من بيتنا . كانوا ثلاثة .. أربعة .. عساكر ومعهم ضابط ، يقفون مع والدى .. قدم الضابط لأبى سلسلة .. أعرفها .. كان مكتوباً عليها اسم أخى ، ورقمه فى الجندية ...

.....

الدمعة فرّت من عينى أبى .. نظر لأمى وقال : اختاره ربنا ..

.....

كان أبى حكى لنا .. أنه لم يبك فى حياته إلا مرتين .. الأولى عندما مات جدى فى حفر القناة .. والثانية عندما أجبره العدو على الهجرة وترك عمله وبيته فى سيناء ..... وكان أكثر ما تخشاه أمى هو تقبل العزاء فى أخى .. وتؤمن بعودته ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فإذا سمعت طرقاً .. كان قلبها يدق وتتجمد نظراتها على الباب ..

..... ألحت على أبى أن يذهب للسجلات العسكرية .. وأن يسافر الى كل زملاء أخى من الجنود الذين كان يكتب أسماءهم فى خطاباته ..... وأكد زميله بأنه رأى الحصن ينفجر ولم ينج أحد من الموجودين بداخله .. وقال : إن أخى كان يدافع ببسالة داخل الحصن ، .....

... لعلهم لم يحتفظوا بالوثائق .. لو أن شاهد عيان واحد رآه ، أو تعرف على جثته .. هكذا قالت أمى .. قلبها متأكد بأنه ما زال حيا .. ولكن أين كان هذه المدة الطويلة ؟! .. كيف يعيش ؟ ... كيف ينام ؟... كيف يأكل .... والدق يتصاعد ؟!.. يهز الباب .. وأبى يسرع اليه قلقا :

— حاضر .. حاضر .. من سيأتى هذه الساعة .. الفجر ؟! . سترك يارب .... وأمى تتطلع بلهفة الى القادم ..... شقت سكون الليل أصوات :

(بالروح .. بالدم .. حنكمل المشوار .. حنحارب) وبسرعة يفتح أبى الباب ..... الطارق جارنا .. يصرخ :

.....تَنَحى عن الحكم .....

أرسلت أمى صوتها مع الهاتفين .. وانطلق أبى مع الجيران الى الشوارع

.....

أفواج من الناس يهتفون .. سيارات تحمل كل من يهم بالركوب ، دون أن يسأله السائق : الى أين ؟! .. تأكدت بأن كل المواصلات لمن يركب بدون نقود .. وضعت يدى فى جيبى وقبضت على القرشين حتى لا يضيعا فى الزحمة .. وضممت كرتى إلى صدرى وقفزت إلى سلم العربة .. وسقطت فى بحر من البشر يتماوج مع حركة العربة المضطربة .. نسيت نفسى .. ساعتين .. لم أحس بأى ملل .. أفضت بنا العربة إلى مكان مزدحم بالقاهرة المزدحمة .. الأرض مفروشة بالناس .. فوق الأشجار .. بين العربات .. على أسطح المنازل .. وفى الشرفات .... لم أحس بالغربة .. الوجوه .. هى نفس وجوه ناس بلدتى ، يعلوها الحزن والتصميم ... والهتاف .. نفس الهتاف ..... وصاحت فى وجهى :

— من جاء بك ياولد ؟؟

— جئت أنا .. لأراه ..

— من غير علمهم فى البلد ؟!

..... شعرت بالخوف عندما سمعت صراخها .. سقطت منى الكرة ولم أفكر فى التقاطها .. سحبتنى أختى من يدى بعد أن قالت لزوجها : سأعيده فى أسرع وقت ..

وسجنت فى مقعد بالأوتوبيس المغلق النوافذ .. الوجوه بداخله كانت واجمة .... انتابتنى رغبة لفتح النافذة .. والقفز منها والجرى إليه ... لكن بتحرك الأوتوبيس أصبحت هذه الرغبة مستحيلة ..

.....أجهشت أمى بالبكاء .. وقالت : ما أصعب الانتظار .. واحتوتنى كاملا .. واستسمحت أبى بأن لا يضربنى .....

فى اليوم التالى .. كنت أثب .. أنظر من بين الأرجل والأكتاف .. أميز صوته من بين أصوات الناس العالية .. أرى وجه أبى على الشاشة وجه مغبش .. كان مصمماً على أن يضربنى .. أجده وقد القى بالعصا .. ويقول : سأسامحه هذه المرة .. داهمنى احساس بان أخى لن يعود .....

لكن نط الترعة أصبح ملحاً .....

.....

ارتفعت الشمس فوق مريلة المدرسة .. تلسعنى اشعتها .. أسمع جرس الفسحة يدق .. أنظر الى المريلة وبداخلى إحساس بانها ستكون قد جفت .

الجيزة : محمود عبده على حسن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللمعـــــان

صـالح القاســم

أنظر إلى هذا السرير القابع وسط الغرفة ، أتخيلـه جثة هامدة تعيش معى كل لحظة فيسرى الخوف فى قلبى ، أحاول الخروج إلى عالم الأحياء ، فأخاطب السرير أحدث نفسى : متى أراك ولو لمرة واحدة على الأقل نظيفا ومرتبا ؟ رتبتك مرة واحدة ، نعم أذكر ذلك جيدا ، لقد اشتريتك قطعا ، عددتها كانت أربع قطع وفرشه ، حملت نفسى يومها وإياك فى سيارة ثم شرعت بتركيب قطعك هذه وصرت على هذه الشاكلة سريرا . وأذكر يومها أننى تجولت بنظرى بأرجاء الغرفـة أبحث عن أفضل مكان وأذكر أننى أحضرت خرقة رششت عليها بعض رذاذ ماء ، واخذت بتلميعك ايها اللعين ، كل شىء كان جديدا حتى الوسادة والحرامات ولم أبخل على أجزاء منك أيضا حين بخت يدى بعض رذاذ عطرى الذى استعمله بعـد الحلاقـة صباح كل يوم . رفعت غطاء الوسادة وقربته من أنفى شعرت أن رائحة فأر عبقت ملء صدرى ألقيت ذلك ببطء ثم رحت أتجول بفكرى ونظرى فى بقية ما فى هذه الغرفة اللعينة،الفارق كبير جدا بين أول يوم عزمت فيه أن أبقى كل شىء مرتبا ونظيفا وبين اللحظة التى أنا فيها الآن ، كل شىء على غير نظام ، هناك فردة حذاء لا أدرى ماذا حصل لأختها أو بأى زاوية طرحت وهذا زوج جوارب تكمش حتى صار كأنه حجر أسود موجود قبل وجود السرير ، وهناك أكثر من فرشاه لم أميـز بينهـا أيهـا للملابس وأيهـا للأحـذية وصحف ومجـلات لو رتبت لكانت أرشيفا مفيدا ، الغبار يكسو حتى العناوين الرئيسية .

حاولت كسر هذا الروتين اليومى ، والخروج عماً فرضه علىَّ الواقع جربت أكثر من عمل إلى جانب الـوظيفة كى أحسن دخلى ، لعلى على الأقل أحضر خادمة بدلا من زوجة ، لا اقصد خادمة تأخذ مرتبا شهريا . فهذا خارج عن نطـاق تفكيرى ليس لأننى ذو مبادىء ولكن لأنى عديم الحيلـة لكن حاولت الاتفاق مع من يستهوين هذا العمل على تنظيف البيت كـل اسبوع مرة فقط ، لم يذهب تفكيرى بعيدا فأنا أعرف أم عماد فراشة فى الدائرة التى أعمل بها ، ليست جميلة ، لكن قوامها رشيق ، وتقوم بعملها وهى توزع الابتسامات على الجميع ، أعرف أيضا أنها مطلقة وام لثلاث بنات وولـد ، وهى التى تسعى على رزقهم بعد أن نجح الزوج بالتهرب من النفقة بحجة المرض ، عرضت هذه الفكرة على زميلى فى العمل ، جن جنونه فى البداية كونى أعزب ، وهى مطلقة وما زال الشباب يكتنف نهديها وأرادفها ، لكن اللعين صمت قليلا ثم قال :

ـــ والله فكرة ، مسكينة هى أيضا وفقيرة .

ـــ ومالذى غير رأيك ؟

ـــ ساساهم أنا معك فى راتبها ، لكن بشرط أن تأتى كل يوم .

نظرت إلى وجهه وعينيه لأرى السخرية فى كلامه ، فوجدت انه يتكلم وهو واثق ومقتنـع كل القنـاعة بفكـرته المجنـونة هذه : ـــ

ـــ أيعقـل ذلك ، أنت متـزوج ، وتحب أن تعمل مثـل هذه

الأفعال ، ولا تقل عنّ اعزب وان حضورها الى البيت سيساعدني،أنا لا أقبل حتى أن المسها ، انها أم أيها الكلب .

— لاتكمل سواء فعلت معها أم لم تفعل فالناس لن تصدق أن امراة يافعة مثل ام عماد تأتي فقط لتنظيف البيت .

تركته يهذي ويؤشر بيديه ويحملق بعينيه كالكلب المسعور كأني غير آبه بما قال ، لكنه في الحقيقة نبهني الى شيء لم يخطر على بالي قط ، ما الحل اذن ؟ أأبقى هكذا ، ارجع من عملي الى البيت مرهقا ، ضجرا فلا اكاد آكل اي شيء كي اسكت قرقعة معدتي ، ثم أجد نفسي مقهورا ، ليس لدي الحماس لعمل أي شيء ، حتى بعض الليالي أدفن نفسي في السرير اللعين دون أدنى نقطة ماء ادلقها على قدمي المتورمتين وأحيانا انام ليس كالعادة اضع راسي خلاف المعتاد ، تذكرت الآن من اين تنبعث رائحة الفار التي شممتها من الوسادة .

* * * *

من حقي كغيري أن أحلم ، فحلمت انني استحضرت خادمة من سيرلانكا ، شكلها لايقل جمالا عن الحجارة السود الموجودة في غرفتي بسبب كسلي ، توقفت فجأة لا أذكر أنني وقفت بطولي وعرضي مشدوها من هول الفكرة ، ليس بسبب أنها تحتاج الى نصف راتبي السنوي تذاكر سفر ذهاب وإياب إلى جنة الشاي ، فهذا أمر كان مفروغا منه ، لكن تذكرت أنه مع العشرة الطويلة ، وكل يوم تمر من أمامي الف مرة ، قد تحدث الألفه ، ألا يحدث ألفة بين القط والفأر ، شاهدت ذلك بسيرك ، أكانوا يضحكون على المشاهدين ؟ لا أعتقد ، ماذا يحدث لي لو حصلت ألفة ؟ وما الذي يمنع ذلك ؟ ضحكت ملء فمي ، بل إنني أصدرت صوتا عاليا من الضحك ، نظرت حولي لعل شيئا من هذه القاذورات اهتز لضحكتي وجدت نفسي مازلت وحيدا ، لكنني لم أعد أشم رائحة الفيران من حولي .

أخذت سيجارة أخرى وصرت أتلاعب بها بين أصابعي منتظرا انتهاء التي بفمي كي أشعل بها التي بين أصابعي ، بين هذا وذلك — كالعادة — دماغي يشتغل كأنني في طاحونه أبحث عن حل .

* * * *

هل الزواج سيكون حلا ، المشكلة من هذه التي ستكون زوجتي صبرية إنها جميلة وتقول إنها تحبني لكن انا لا احبها ولااميل إليها ، احب غيرها ، نعم وأتمنى أن اتزوج بواحدة منهن ، لا اذكر تفاصيل أكثر من الذي سأرويه هنا ، كل الذي اذكره أنني استقلت من عملي ووافقت على أول عقد عمل في إحدى الدول الخليجية ، وأنني عدت بعد أن تخيلت أنني جمعت ما قد يطلب مني من مهر وأشياء أخرى ، أول شخص صادفني بعد غربتي ، وقال لي كلاما يحلو لكل سامع أن يسمعه ، كانت « صبرية » قالت لي إنها انتظرتني ، وإنه تقدم لها شبان أشكال وألوان لكنها رفضتهم وفضلتني عليهم ، أأصدق ذلك وأنا الذي لم يلق كلمة صدق في حياته ، ولم يلق أية مساعدة من أحد ، كان من الصعب جدا عليّ تصديق كلام حلو معسول ، وممن ؟ من بنت تعيش في مجتمع يبهره بريق المدينة وفي أكثر من مرة يكون مجرد سراب ، لكنهم يكررون الركض وراء اللمعان ، وفي كل مرة سراب ، أنا لا أتقول ولا أضع نظريات ، ولو كنت كذلك لما وصل بي الحال إلى ما أنا فيه فانطلاق أشاهد أصحابه كل يوم ، كان سببه حفنة فلوس أو شيء كهذا . وما المانع ان اجعل نفسي شيئا يحدث لمعانا كي أتزوج التي أختار ، ركضت وراء نفسي الشيء ، اللمعان ، ووجدت نفسي مع زوجة تحت سقف واحد ، لكن هذه المرة على سرير جديد — فذاك اللعين لا أذكر لمن بعته أو رميته إن كنت صادقا .

* * * *

عادت الغرفة كأول يوم قدمت إليها بسرير جديد وحرامات جديدة لكن هذه المرة كان للغرفة طعم ولون آخر ، سرير أكبر ، ووسادة طويلة ، لم أكن أتخيل وأنا اعزب أنه بالإمكان النوم مع شخص آخر على نفس الوسادة . لكن هاهو الآن يحدث معي — لعل طول الوسادة جعلني اقنع نفسي أن ذلك بالإمكان حدوثه كما يحدث الآن مع زوجتي .

كنت كل يوم أنظر إلى نفسي وحالي وأنظر إلى زواجي وأسال وهل هناك شيء تغير غير السرير ؟ فعلا كنت مخبولا عندما اعتقدت أنه من الممكن أن تحدث ألفه بيني وبين السرير ، فهذه زوجتي مازالت كما هي تلمع،أما انوثتها فإنها تتجمد يوما بعد يوم — لعل الفارق التعليمي بيني وبينها هو السبب ؟ لكنها جامعية — نعم انها جالت وصالت أربع سنوات في الجامعة — قلت لنفسي : لعل سنة أخرى تضيف شيئا من الألفة — ونتقارب أكثر .. لكن كل يوم يزداد تحفظي على أحاديثها حتى بت في داخلي أحتقر شخصيتها ، كان همها فقط غدا سأشتري فستان مثل هذا الذي في المجلة ، شو رأيك بهذه الزهريه الكريستال اليست جميلة في غرفة النوم ، غرفة النوم لم تعد تتسع لكريستال أكثر .

تمنيت مرة أن تحدثني كصديق ، كأم أو حتى كأخ . عن مشاكلنا ، عن طموحاتنا تمنيت مرة أن تنبش عن قصة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حياتى ، وتسألنى ولو لمرة عن جزء بسيط منها كيف عشته ، أو عن عملى وهل أنا مرتاح فيه أولا ، حتى راتبى لا تسألنى ما هو مقداره ، لا تعرف حتى مصدر رزقى ، لكنها كل مرة تصر وبإلحاح على تلبية حاجاتها ، ولا يهمها أن يكون معى فلوس او لا يكون تمنيت مرة واحدة على الأقل أن تتذكرنى وهى راجعة من بوتيك محملة بأغراضها أن يكون بينها زوج جوارب أو ربطة عنق كهدية منها — وهى لا تدفع شيئا من راتبها ورغم ذلك أريد هدية من راتبى — عندما أكون معها وهى تتسوق كنت أنتظر منها دائما أن تقول لى ما رأيك بهذا الفستان أليس أرخص ، لكن انتظارى يضيع هباء ، عندما أشترى شيئا لى ، تمطرنى بوابل من الأسئلة ، كم ثمنه ، ومن أى محل (وليش) ما اشتريت من محل آخر ممكن يكون أرخص ، لكنها لم تسألنى ولو لمرة واحدة أيضا كم دفعت ثمن فاتورة المطعم عندما نخرج أحيانا سوية فى أمسية أو سهرة .

صارت المسافة بينى وبينها أكبر من قدرة أية واسطة على تقريبها فما عاد لى من زواجى من هذه المرأة اللامعة ، إلا الشكل زوج زوجة ، أما العلاقة المقدسة التى تربط ذلك وما يترتب عليها فهذا لم يكن إلا فى خيالى ، نظرت حولى ككل مرة على السرير ، وبقية أجزاء الغرفة شاهدت كم هى بشعة هذه النظافة وهذه الرتابة ، فما هى إلا جوفاء لا حياة فيها ، وبدل أن أشم رائحة العطر الذى تضعه زوجتى ، صرت أفضل أن أشم رائحة الفئران ، ووجدت حالتى قبل الزواج مع الصحف المهترئة والجوارب المنكمشة من العرق أو الأتربة أفضل بكثير مما أنا فيه الآن .

أوصلتنى هذه الزوجة إلى الشعور بالمتعة عندما طلقتها ، وأى شىء يضاهى متعة الحرية لسجين طال سجنه ليالى قاتمة وحيدا وبعيدا عن العالم يعانى ظلم القاضى بتهمة لم يتخيل حتى أوضح تفاصيلها ، شعرت أننى كنت المجرم والمجنى عليه والقاضى ، لكن لا أستطيع أن أضع اللوم على نفسى فقط ، ولن أكون مثل غيرى ألقى الأسباب على الظروف فلحظة الزواج قد أكون مخبولا ، فلا أستيقظ إلا بعد أن أرى اسمى ممهورا أسفل وثيقة الزواج على أننى وافقت على الارتباط مدى الحياة مع إنسانة لا يعلم إلا الله ماذا ستكون بعد شهر من الزواج أو بعد الطفل قد يأت أو لا يأت إلى هذه الدنيا ، ولكل هذه الاسباب التى أعرفها والتى ما زلت لا أعرفها رفضت فى البداية التفكير بالارتباط بأخرى ، فبدأت أضع نفسى حياة جديدة أردت أن أبدأ من جديد ، أن ارجع مراهقاً كما كنت إلى ما قبل العشرين بل أقل من ذلك كم كنت حرا ، وسعيدا بما أنا فيه غير مسؤول إلا عن شهواتى وأحلامى وآمالى ، حاولت أن أرجع كما كنت اعزب مطلقا كل النساء ومتعففا عن كل الجمال ، تجولت فى كل مكان ، ونمت كيفما شئت ، ولبست وشربت كما حلا لى ، بنفس اللحظة بعشوائية ، لكن بعد كل متعة أشعر أننى أعمل شيئا مختلفا وأن الناس ينظرون إلى باستغراب فأنا الآن فى سن فوق الثلاثين ومركزى وعملى يحتاج إلى التقيد بأسلوب ونمط حياة معين لأحافظ على هيبة اللباس الرسمى أثناء وظيفتى فكرت بغير ذلك ، أسلوب جديد للهروب من عالم المرأة والزواج ، فطرقت أبواب شلة الأصدقاء القدامى أيام العزوبية وحاولت من جديد جمعهم وإقناعهم بإعادة أيام العزوبية والسهرات والرحلات ، لكن جهودى كادت تضيع — فالشلة تفرقت . بعضها سافر ولم يرجع ، ومن بقى تزوج وسجن نفسه فى هذا الشكل الاجتماعى .

قيدته العادات والتقاليد بقيود ، التخلى عنها يعتبر عيبا وفحشا أحيانا . وادعى البعض أنه لم يعد يحب ذلك لأنه شبع من السهر والمتع الشخصية أيام العزوبية ما أكذبهم ؟ حتى بعض الأصدقاء الذين لم يحالفهم الحظ فى إيجاد فتاة مناسبة للزواج كما يقولون ، لكنهم فى الحقيقة وقعوا فيما وقعت فيه أنا لتمسكوا بعزوبيتهم للأبد حاولت إقناعهم أنهم يحملون شهادة رابحة فورقة العزوبية يتلهف على اللعب بها كثير من الأزواج ، إلا أنهم تحججوا لى بأعذار مشاغل الحياة وأن وقتهم مقتول فى العمل ليل نهار ، مساكين يكدون لجمع المهر وتكاليف الزواج لا أحد يستطيع إيقاف هذه الرغبة الجامحة لدى الشباب جمع الفلوس . سنين طويلة ينتظرون جمع الفلوس ثم كل هذا يذهب فى ليلة واحدة ، بل اقل من ذلك بكثير ، ربما ساعة واحدة فقط وسيذهب بعضهم إلى أكثر من ذلك ، ويطبق نظرية المجتمع السائدة ، كل من يتزوج فانه لابد أنه سيحتاج الناس ويحتاج إلى أن يغرق نفسه فى دين كبير مازحت أحد الاصدقاء الذى جلس يشكو لى كثرة ديونه لمعرض الأثاث وصاحب الفندق الذى أقام فيه حفلة الزفاف ، كان المسكين متضايقا جدا ، فقلت له : لا تهتم بهذا ستنجب أولادا ، فليكن الأول منهم لمعرض الأثاث والثانى للفندق ، صمت قليلا وكأنه يتفكر باحتمال إمكانية نظريتى ، طبعاً من شدة سكرته ، ثم اتسع شدقه عن ضحكه شعرت أنها هستيرية .

* * * *

على أية حال كنت كلما أزور مكانا كان لى فيه ذكريات صبيا نية أشعر بنشوة كنت أتمنى لو تستمر داخلى بقية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لحظات عمرى ، لكن كأى إنسان لم تكن لدى القدرة على الاستمرار بالتظاهر : سعيداً بأننى وحيد ، فكلما أعدت ذكريات الشباب ، عادت معه أيضا ذكريات السرير اللعين ، وأخذت رائحة الفئران تقوى بأنفى ، والشعور بالوحدة ، بدأ يزرونى من حين لآخر ، فكنت أهتز قلقا من مخاوف زرعها عمر طويل مضىء ، المدرسة البيت ، وربما أنا نفسى رعيت هذه المخاوف واسقيتها حتى نمت وكبرت .

رغم ذلك ـــ ما زالت صبرية الفتاة الطيبة تحاول أن تلتقى بى وتحاول معى وتقول .

ـــ أنت بحاجة لزوجة مثلى تحبك وتعيك جيدا ، تعرف كيف تفكر وكيف تحب أن تعيش كان من الصعب أن أصدق فتاة تلقى بنفسها بسهولة علىّ فكانت كجثه تبحث عن قبر لها . رفضت أن أكون هذا القبر ولم اساعدها على حفره ، فذهبت بعيدا ابحث عن ما يرضى غرورى ويرضى شهواتى ، وترسبات الخوف المزروع داخلى ، فبدأت ابحث عن صيغة جديدة للحياة ، عن زوجة تشاركنى هذه الوحدة التى أشعر أنها تقتلنى يوما بعد يوم . لكن بحثى فى كل مرة كان بنفس الطريقة أركض وراء اللمعان . الفارق الوحيد الآن أننى سأوقع وثيقة زواج للمرة الثالثة .

عمّان : صالح القاسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النمل العاقل

السيد القماحى

.... اما حكاية هذا النمل فحكاية .. لكن هيا الى البداية .

هاهو النمل فى جماعات كبيرة ، بجوار أحد الحقول ، يمرح سعيدا بحريته ، سعيدا بطعامه الوفير ، بعد تناوله وجبة إفطار شهية ، من حبات سكر سقطت على الأرض ، من فلاح كان يصنع لنفسه كوبا من الشاى ، قبل بدء العمل فى الحقل .

فى ذلك الوقت ، كانت الطبيعة غاية فى الروعة .. الجو صحو ، والسماء زرقاء صافية ، ونسيم الصباح يأتى ناعما من الشمال والوان المزارع تدعو الى السرور .

لم ينس النمل ، وسط هذه المباهج ، أن يداعب أبناءه الصغار ، فيشاركهم فى العابهم ، ويقدم لهم الغذاء الواجب

ظل النمل هكذا ، يلعب ويمرح فى الهواء الطلق ، لم يتنبه إلى خطر محدق ، يتربص به ، فوجئوا بعد حين من الوقت بحيوان (آكل النمل) واقفا فوق رؤوسهم وقد التهم عدداً لا حصر له من النمل ، يتناوله ببساطة شديدة من فوق التراب ، ومن خلال شقوق الأرض بفمه الطويل ، الذى يشبه الانبوب !

صغار النمل ، الذين لم يشاهدوا هذا الحيوان من قبل ، يتاملون بطنه المنتفخ ، دون أن يدركوا أنه بطن ، عندما كانوا يتجهون ببصرهم إلى أعلى ! سألوا أمهم :

— هل تغير شكل السماء ياأماه ؟ .. لماذا نراها الآن بنية اللون ؟

كانت الأم قد أدركت ما حدث ورغم أنها نجحت فى الإفلات بصغارها ، بالهرب بعيدا ، فى أحد الشقوق العميقة فى الأرض ، فإنها صارت تبكى فى صمت ، وأوشكت على الانهيار .

غير أنها تماسكت أمام صغارها ، حتى لا تسبب لهم الرعب . على أن تقول لهم الحقيقة ، فى الوقت المناسب .

راحت الأم النملة تردد بينها وبين نفسها فى غيظ : « حرام ! حرام ! هذا الحيوان المتوحش ، يأكل منا ، كل يوم ، ملايين النمل : إن هذا لا يرضى الله أبدا .

سمع النمل الصغير شكوى أمه .. وفهم .. كما لاحظ ما بها من هم وألم .. مع هذا ، لم يردد مثلها : « حرام .. حرام » .. بل راح يفكر ، ويبحث عن حل بعمل يخلصهم من هجمات هذا العدو المفترس . والذى يفضل التهام النمل خاصة من بين سائر الحشرات التى يتخذها طعاما له .

فى اليوم التالى .. انطلق النمل الصغير إلى أحد الأماكن ، واحضر عشباً ساماً وتناوله ، ثم القى بنفسه فى طريق (آكل النمل) !

نجحت الخطة . فما أن راى (آكل النمل) طعامه المفضل ، ملقى تحت أقدامه حتى سارع بالتهامه

ولم يمض سوى قليل ، حتى انتفخت بطنه . سرعان ما انقلب على ظهره ، ومات فى الحال !

رأت جماعة النمل ما حدث لعدوهم . فأسرعوا يبلغون إخوانهم وأقبل هؤلاء على الفور زاحفين من جميع الأماكن ، وصعدوا فوق جسد (آكل النمل) ، وهم يهللون ويرقصون ، سعداء بما صار اليه آكلهم !

جاءت الأم النملة .. وقفت أمام حشود النمل الصاخبة المهللة .

قالت :

ـ لقد ضحى أبنائى بحياتهم . وهم بعض النمل ، من أجل حياة كل النمل . لم يقل أبنائى : حرام حرام ، كما قلت أنا . لم يترددوا أمام عدو غاشم ، وأدركوا أنه يجب أن يكون هناك عقاب صارم ، وتضحية بالنفس إذا لزم الأمر

هذا ما قام به أبنائى بالفعل .

صاحت حشود النمل مهللة ، من جديد ، مطلقة هتافات التحية للنملة الموقرة باعتبارها أمًا للشهداء .

وتقدم النمل جماعات وراح كل فى سباق ليضع النملة الأم فوق أكتافه ! غير أن الأم رفضت ذلك بشدة ، وطلبت إنزالها على الأرض . قالت :

ـ اخوتى النمل .. لا تضعوا أحدا فوق أكتافكم أبدا . سوى عقولكم ! عقولكم التى أعطيتموها إجازة ، وتخليتم عن حذركم المعروف بعد أن أوحى لكم كل شىء بالبهجة حولكم .

أخيرا .. حذار ألا تأخذوا من تضحية أبنائى درسا لكم يفيدكم !

القاهرة : السيد القماحى

البعـــــوض

بُهـــوش ياســـين

١

كانت النافذة شبه مفتوحة حين مررت أسفل الدار ، والفتحة الضيقة بين دفتى النافذة ، لا تسمح برؤية أى شىء سوى تأكيد حضور أحد الأفراد فى المنزل . كان الموعد حسب ما اتفق عليه فى الاجتماع الأخير قد تم تقديمه ساعة لتمكين الجميع من الحصول على أكبر قدر من المعلومات عما حل بالمدينة . لذلك كان على أن أكون عند باب عمارة «طاق طاق» قبل السادسة بخمس دقائق على الاكثر .

بالرغم من الزحام داحل الحافلة فقد استطعت أن ألمح على الرصيف ، صفوفا من النساء يمسكن باكياس الحمّام وسراويل الاطفال والقمصان الصغيرة .. وهن يشرن بالاصابع والالسنة ، وأحيانا بحركات بالرأس فقط الى صاحب البرميل . وقد لفت ذلك أيضا انتباه من كانوا معى فى الحافلة فالتقطت أذنى كلمات من قبيل أنهم .. سيجتمعون هذه الليلة مرة أخرى « و » هاهو صاحب البرميل ! » و « اذهبوا الى دار طاق .. طاق .. وسترون ! » ...

والواقع أن مثل هذا الكلام لمْ يصدر عن أفواه الناس مباشرة فحسب ، بل ان صحفا عديدة قد ترجمت ذلك إلى كلمات مكتوبة معززة بالصور . وهذا هو السبب الذى جعلنى فى تلك اللحظة التى وصلت فيها الى مقر الاجتماع ، امسك تحت إبطى بمجموعة من الجرائد لا لإطلاع بقية الأعضاء على ما نشر فيها فحسب ، ولكن لتأكيد مدى اضطلاعى بدورى فى الترويج لما نتعرض له فى اجتماعاتنا ، وإبراز الوجه المشرق منها حسب خطة مدروسة ومتفق عليها من طرف الجميع .

٢

ما كاد صاحب البرميل يصل الى المقر حتى كان حشد من الأطفال قد تجمع حوله كالذباب ، إضافة إلى بعض النساء ، وخاصة مجموعة من الأجانب ، كانوا يمطرونه بفلاشات التصوير ويحيطون به ، وكثيرا ما يعرقلون سيره عما قصد أخذ صور له عن قرب . كان يدحرج برميلا كبيرا ، بداخله أحجار وعلب قصايد فارغة ، لإحداث أكبر ضجيج ممكن .

حاولت إخفاء امتعاضى من البرميل . وقد عبرت عن ذلك فى عدة اجتماعات مفسرا موقفى أن ذلك البرميل لا دور له غير مزاحمتى فى اختصاصى وتهديدى بالطرد من « طاق طاق » فلا أكاد أخبر أحد الناس ، فى الدرب أو داخل الحافلة « رقم ثلاثة » على سبيل المثال بأن : « اجتماع دار كذا ... سيعقد وستتم فيه مناقشة كذا وكذا .. حتى تنهمر الإجابات على وجهى : « لقد عرفنا .. ألم تر البرميل يجوب شوارع المدينة ؟ » والحق أن منافسى هذا قد حقق مكاسب أولية منذ أن اشتغل فى ذلك المنصب ، وهى : تقوية عضلاته ، وتحقيق شهرة لا بأس بها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣

كان موضوع النقاش المقرر على جدول الأعمال هو البعوض : ذلك أن المدينة شهدت ومنذ ثلاثة أيام على الأقل هجوم أسراب من البعوض ، فتلبدت السماء حتى صارت رمادية ، وقد تعالت شكاوى الناس فى المدينة ، وكلفنا « محداج » بالتقاط أهم الصيغ التى يستعملها السكان للتعبير عما ألمّ بهم . فأخرجت ورقة وقرأت : « إن البعوض يهاجمنا مباشرة فى أنوفنا » ؛ « وفى الأفواه والآذان » ، وإن البعوض يجعل الحياة أمرا مستحيلاً وإن الجلوس فى المقاهى ، وارتياد الحانات والتفرج على كرة القدم .. باتت اموراً غير متيسرة بسبب البعوض » وسارع صاحب البرميل الى إخراج ورقته هو الاخر وقرأ : لقد شكت إلىّ مجموعة من النساء ، حين كنت فى الأيام القليلة الماضية ادفع البرميل أمامى ، تحلقن حولى ووجوههن صفراء وناشفة . فقلن إنهن ما أن يضعن المساحيق على وجوههن حتى تلتصق أسراب البعوض بها .. » وأضاف ، وقد حظى بتنويه خاص من طرف محداج : « وقد اتصلت بى الشركات الأجنبية المختصة فى مجال المساحيق وأعربت عن تزمرها من الوضع . واخبرنى أصحابها أنهم على استعداد لمدنا بالهبات السخية إذا ما نحن استطعنا تنقية الجو والقضاء على البعوض . لأن هذه الشركات حسب تعبير مدير غليظ : « مشرفة على الإفلاس » . وتدخل محداج نفسه وقد تحلقنا صامتين حول طاولة : « هذه فرصتكم لابد من استثمار هذه الوضعية واعتصارها عن آخرها لصالحنا . أنتم تعرفون أن البعوض للأسف الشديد لا يزورنا كل يوم . عليكم إذن أن تنتهزوا هذه المناسبة فتثبتوا لسكان هذه المدينة أهليتكم وقدرتكم على مساعدتهم حتى فى أدق شؤونهم الخاصة .

٤

تبدو الدار من الخارج مجرد شقة فى الطابق الرابع . وقد راعينا الإبقاء على هذه النظرة لدى الناس العاديين . والواقف أسفل العمارة ، يلاحظ بسهولة قشور الجير المتساقطة على الرصيف وتظهر الأماكن اقتلاعها واضحة على واجهة العمارة فى شكل خطوط عمودية انطلاقا من النوافذ حتى الرصيف . أما داخل الشقة نفسها ، فقد تم تطويعه بشكل يتلائم والمهام المنوطة بمختلف الفرق فإذا كانت فرقة النشاشين ، على سبيل المثال ، تبدو عديمة الأهمية حتى ذلك الوقت ، فإن دورها برز على الساحة بصورة مذهلة هذه المرة . وما كان أى واحد منا — حتى أعضاء تلك الفرقة — يتصور أن النشاشين سيكون لهم مثل هذا الدور . فخلال الاجتماعات السابقة كانوا ينزوون تحت جذع شجرة مرسومة على الجدار بلون بنى قاتم ، تتساوى فى ذلك الأغصان والاوراق والثمار المذعومة . وفوق الشجرة ، قريبا من السقف شمس صفراء كبيرة ، أكبر قليلا من صينية الشاى النحاسية . وكان من المفروض عليهم باستمرار افتراض شمس محرقة فوق رؤوسهم ، وبالتالى ، كانوا ملزمين بالإمساك بمراوح فى أيديهم يحركونها بها ولا يتوقفون عن ذلك الا حين يكون آخرنا قد غادر الشقة . وحين وقف محداج يتحدث كانت عيناه مركزتين على رئيس فرقة النشاشين ، وقد توجه إليهم قائلا : « ستجوبون أرجاء المدينة وتطوفون بالأزقة والدروب والساحات العامة وأسواق الخردة والحانات والفنادق السياحية والعادية والمقاهى والمطاعم والمتاجر وملاعب كرة القدم ... وفى أيديكم مراوحكم هذه واحرصوا على الإعلان باستمرار أن هذه المراوح وحدها القادرة على طرد البعوض . وأن لا شىء فى هذا البلد بما فى ذلك الطائرات العمودية والمدافع المضادة للطائرات باستطاعته القيام بتلك المهمة » ثم تساءل قائلا : وإذا نجحتم فى هذه المهمة هل تعرفون ماذا يعنى ذلك ؟ « وبما انه : من المستحيل الاجابة بالنفى فى اجتماعاتنا ، فقد اسرعنا جميعا بالرد : أجل نحن نعرف ماذا يعنى ذلك ! »

٥

ووصلنا أخيرا إلى المرحلة العملية ، فانطلقت كل فرقة فى معالجة مهامها . فرقة النشاشين تلوح بالمراوح عند جذع الشجرة المرسومة على الجدار . وجعل افرادها يرفعون ياقات قمصانهم وينفخون بافواههم وهم يتحاشون النظر فى اتجاه الشمس الحارة التى تشبه الصينية .

السيد محداج ، خلع ملابسه وارتدى اثوابا نسائية وامرنى بحزم وسطه بشريط وتحت رَدْفَيه بشريط آخر . وجذبت كرسياً ليعتمد عليه ، وصعد فوق طاولة وسط الغرفة وانخرط فى رقصة روتينية يشترط عليه فيها أن يقوم بهز البطن ويؤرجح المؤخرة وفق ايقاع خاص ونظرا لضيق الوقت بسبب التعوض فإنى لا أستطيع عرض حالة محداج بتفصيل ، وحسبى أن أكتفى بالقول إنه خارج دار طاق — طاق ، فان كل مهامه تقتصر على المتاجرة فى الجلود .

فرقة الدلو والحبل . وهى مجموعة من الأفراد يقومون بالإدلاء بأسطل فارغة من النوافذ إلى الرصيف ، يربطونها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بحبال مفتولة من أوراق الدوم الاخضر . تبرمها اصابع فرقة خاصة تدعى فرقة الدوم . ويتعين عليهم جعل الاسطل ترتطم بالرصيف ثم جذبها إلى أعلى لتحدث فرقعة وتقشر طلاء الجدران الخارجية بفعل احتكاك الأسطل بها . وكانت هذه الاسطل غالبا ما تعود محملة بأشياء مختلفة . حصوات وأحجار أو قشور البصل . والأحذية القديمة .. وغيرها . واحيانا يعمد المارة الى وضع رسائل داخل الاسطل .. وينم تحليل ومناقشة ذلك كله في اجتماع خاص وقد لوحظ اخيرا ان الاطفال الذين كانوا يكتفون بوضع أحجار صغيرة وخشب داخل الاسطل . اصبحو يملؤونها بالاقلام والدفاتر ، وقطع الطباشير .. واحيانا محافظ بأكملها ..

وقد رُوعي منذ البداية ان تكون ، دار طاق طاق هذه عند قدم تل يستجيب على مستوى التضاريس لمهمة صاحب البرميل بحيث انه يتعين عليه دفع برميل ملىء بالاحجار وعلب القصرير الفارغة صعدا حتى قمة التل ثم ذحرجته بقوة ليرتطم عند نهاية المنحدر بظهر البناية . ثم يكرر العملية إلى ان ينفض الاجتماع حيث يتوجب عليه دفع البرميل نحو داره والعودة به في موعدٍ لاحق . وكنت قد سألته عن الفرق بينه وبين السقاء ، الذي يجوب الأزقة بعربته الصغيرة المحملة ببراميل صغيرة من الماء العذب ، وهو يخلف وراءه خطوطا متقطعة من اثر تساقط القطرات والتي تلتقطها قبرات تزور المدينة من حين لاخر . سألته عن الفرق فشكاني الى محداج الذي اعتبر ذلك استفزازا .

كان على شخصيا أن أصعد إلى سطح البناية وأنزع حبال الغسيل التي تكون النساء قد علقنها سهوا بين اجتماع وآخر . ثم أوزع الأبواق على اركان السطح ، وأثبت في كل منها مكرفونا خاصا . ونتفق عادة في الاجتماع قبل ان أصعد إلى السطح على ما يجب كتابته في أوراق صغيرة تكون ملصقة على المكرفونات فيتوجب على قراءتها بالتناوب ، والتنقل بين الأبواق حسب ترتيب معد سلفاً . وكانت الأوراق هذه المرة تتوزع كالتالي : ورقة خاصة بأذان الصلاة وأخرى لأغاني شعبية ، ورقة تحمل مجموعة من الفوائد ، والحكم بلغة أجنبية ... والى جانب أوراق اخرى ، خصصت واحدة لتعليق حي على مباراة في كرة القدم كان من المفروض أن تجرى في ملعب خلف البناية بحيث أشرف عليه من السطح بشكل ممتاز . ولكن بسبب البعوض تبين لي في اللحظة الأخيرة ان المباراة قد أُلغيتْ فوقعت في عجز على مستوى المواد الموزعة على الأبواق . لذلك لم يكن بد من جعل الفارق الزمني بين اذان الظهر والعصر والمغرب سوى بضع قائق فحسب . لذلك رأيت الناس يتوجهون للصلاة بعد الظهر ثم يخرجون وهم يبحثون عن أحذيتهم خارج أماكن الصلاة .. وكنت قد طفت على الأبواق الاخرى وأوصلت زعيقها الى مختلف الجهات ثم رجعت لأرفع الاذان من جديد .. فترك الناس أحْذيتهم وعادوا للصلاة ثم انتقلت الى بوق آخر .. وعدت لارفع الاذان .. الخ ..

٦

توقف صاحب البرميل عن الدحرجة وهو « يكح » ، توقف محداج عن الرقص وهو يكح .. عجزت عن قراءة الورقة الاخيرة وأنا أكح . سقطت الاسطل على الرصيف والمراوح عند جذع الشجرة المرسومة على الجدار .. والجميع يكح . كنا لحظتها على أهبة الاستعداد لاصدار توصية للتنديد بالبعوض .. وكنا نكح . لكن البعوض كان قد دخل الى حناجرنا وخياشيمنا وآذاننا واعيننا فلم نعد نكح ! كح ، كح ، كح ...

الدار البيضاء ــ بُهوش ياسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توفيق المحـــلاوى

محمد همام فكرى

.. كانت ربطة العنق رغم حالتها الرثة والوانها الفجة تمنحه قدرا من التميز والشهرة لا يتمتع بهما غيره فى المصلحة بأكملها .. بل وفى الطريق المؤدى اليها اضافة الى شعره الكثيف المصفف بعناية واضحة .. ومشيته الرشيقة .. وابتسامته المرسومة يهديها لكل من يقابله يعرفه أو لايعرفه .. لأنه كان يعتقد أن كل من يراه لابد أنه يعرفه أو سمع عنه ..

اما حقيبته المنتفخة بالكتب القديمة والجرائد القديمة أيضا فهى أهم معالمه اذ يستطيع المرء أن يراها قبل أن يدركه ..

طراز غريب من البشر ينتمى اليه « توفيق المحلاوى » .. بل هو عميد هذه الفئة من الناس التى ينتمى اليها أو تنتمى اليه ..

... اصرار عجيب أن يكون شخصا مختلفا .. نسيج وحده .. فرغم ملابسه المتواضعة كان يغالى فى التأنق وكأنه أحد نجوم هوليود .. لذلك كانت حركاته محسوبة .. لفتاته .. حديثه .. كل شىء محسوب .. وكأنه يتحرك أمام عدسات كاميرات السينما .. فمنذ أكثر من عشرين عاما أو يزيد وهو يتقمص شخصية الرجل المهم .. الرجل المهم فى حد ذاته ...

هكذا كان يقول مبررا تواضع مكانته الوظيفية كعامل أرشيف فى المصلحة بعد أن تقلب فى عدد من الوظائف ترك بعضها راغبا وابعد عن بعضها الى أن استقر به المقام تحت طوابق المصلحة الأربعة فى الطابق الأرضى بين أرفف الملفات وصناديق الوثائق والسجلات .. وهو فى كل وظيفة كان يشغلها يدعى أنه أهم من قام بها فى تاريخ المصلحة .. لأنه كان يزعم أن له مقدرة على التنظيم :

ـــ التنظيم أساس الحضارة .. وأنا اتعامل مع الأشياء من منطق الأهمية .. اهميتى أنا أولا .. واهمية ما يجب أن يسند الىّ ..

ورغم توقفه عن الدراسة فى وقت مبكر بعد حصوله على شهادة اتمام المرحلة الابتدائية .. فإنه حريص على أن يظهر ثقافة عريضة وعميقة يتباهى بها على جميع من يتحدث معهم ..

يختار الفاظه ينمّقها .. يمطها ويظهر جرسها وكأنه يغنى .. وبدون مناسبة تراه يتحدث عن الحضارة الرومانية وفرسان العصور الوسطى وأسباب قيام الثورة الفرنسية .. حتى لو كان الحديث عن أزمة السكر أو حالة الجو .. لكنه كان يريد أن يؤكد لنا ولنفسه تفوقه الثقافى علينا .. بل وكثيرا ما كان يقولها صريحة !

ـــ الثقافة محيط والتعليم بحيرة .. أنتم مثلا جهلة .. ساعدكم الحظ فأكملتم التعليم .. وحصلتم على الشهادة فحسب .. وهى فى نظرى اجازة للعمل ، صك اجتماعى للعمل والمصيبة أن معظمكم بل كلكم بما فيكم المدير نسى ما تعلمه

وتوقف عن القراءة .. فأصبحتم عبئاً على الثقافة والمجتمع فى آن واحد ..

وعندما يبدى أحدنا اعتراضا كان يقول فى ثقة وأناة :

ـ من منكم قرأ التراث ؟ المدير نفسه يخلط بين العصر الجاهلى والأموى لأنه لا يقرأ الاّ التقارير ويوقع على البريد توقيعا فجا ويمارس السلطة على خلق الله بحق وبغير حق .. أما انا فأنا توفيق المحلاّوى ..

وهذا يكفينى على باب المصلحة ، فى الهواء الطلق ، أو فى الطابق الأرضى أنا .. انا ... المهم الايدلـوجيّة .. المنهـج .. التاريخ .. وانتم لا تقرأون التاريخ .. ولا المدير ...

.. وكنا نعجب لحرصه على أن يقحم المدير فى زمرة الجهلة والمتخلفين وكأنه يريـد أن يصفى حسابـا تراكم بينهمـا .. فكثيرا ما كان يقول :

ـ توفيق المحلاوى أكبر من مدير .. انا أحمل التاريخ على راسى .. وهو يدوس عليه .. انا اقرأ ابن خلدون .. وهو يقرأ التقـارير .. والفـرق كبير .. لان التـاريخ هـو الاحـداث .. والاحداث صنعتها الشخصيات .. وأنا رجل له تاريخ . أما تقارير المدير فهى واقع مشوه ستكـون نهايتهـا هنا .. بـين الملفات وأكوام التراب ..

كان يقول ذلك فى كل مرة نتحدث اليه فيها .. بل كنا نتابع ذلك خاصة عندما ننتظر كوب الشاى الذى يدعونا إليـه .. فندفع الثمن اذعانا لما يقول ..

ـ توفيق المحلاوى أكبر من مدير .. يكفى أنه يحسدنى على ثقافتى .. ولا أحسده على شىء ..

وكنا نضحك ونحن نتابع حركة يده وهى تعلو بين الحين والآخر الى ربطة العنق .. يجذبها تارة الى اليمين واخرى الى اليسار .. يعقبها بدفعة خفيفة لنظارته السميكة التى كانت تتدلى حتى فتحتى أنفه ثم يمسح براحة يده عـلى شعره .. ولاننا كنا ندرك حاجته للعظمة كنا نزيد فى احترامه ونغالى فى احساسه بها ونحن نتحدث اليه لا يخلو حديثنا من مخاطبته

ـــ سيادتك .. حضرتك .. سعادتك .. جنابك

وكان يستجيب فى نشوة .. ويتجلى ويسهب فى الحديث عن ايام صدر الشباب ومغامراته وكيف كانت الفتيات تتهافتن عليه ..

ـــ ايام ذهبت ولم يبق منها الاّ الذكرى والاسف !

يقولها وهو يمط شفتيه .. ثم يجذب ياقة الجاكيت الأسود مرتبا ملابسه سارحا ببصره الى أعلى .

أما أقسى ما كان يؤلمه أن نعلق على ما يقوله بالانجليزية لانه كان يجهلها فيرتبك ويتابعنا فى دهشة وحيرة .. ثم يقول فى عصبية :

ـــ جهلة لا تحسنون الحديث بلغتكم فتنصرفون لغيرها ! . اقطع ذراعى .. لو كنتم تحسنون الانجليزية أيضا ..

فننفجر فى الضحك حتى ينشغل عنا فى اعداد الشاى !

ولا ندرى ما الذى كان يجعلنا مرتبطين به رغم وقاحته ورغم الفارق الوظيفى بيننا وبينه .. كان فينا المهندس والمحاسب والمحامى .. شباب حديثى العهد بالوظيفة .. سنة .. سنتان .. الاّ أنه استطاع بتميزه أن يستقطبنا ويشغل حيزا فى حياتنا .. فكنا لا نستطيع أن ننتظم فى العمل قبل أن نثير همومه وشجونه ونشرب الشاى ونسمع كلاما معادا ونعلق على مفرداته ولوازمه .. فى أحاديثنا نقول كثيرا : على رأى توفيق المحلاوى . وكأنه علامة ـ مسجلة ـ لقد بهرنا كنموذج بشرى غاية فى التناقض مدّعى ثقافة ومدّعى اناقة ومدّعى مبدأ .. وفاشل .. دخل الحلقة الخامسة ولم يتزوج .. كان يطلب المستحيل .. الجمال والمال والحب .. فلم يحصل على أحدها .. وبقى وحيدا فى غرفة صغيرة فى حارة ضيقة بجوار المصلحة .. يجتر ذكريات الصبا وبعض قشور المعرفة .. وكثيرا من الكلام .. كنا نعرف حكايته من الآخرين .. لكنه كان يعتقد اننا لا نعرف عنه إلاّ ما يقوله لنا .

أما أقسى ما كان يؤلمه حقا فهو أن يلتقى والمدير ونحن فى مكان واحد . لأن المدير كان دائما يتهمه بالجهل والتخلف والإهمال .. ويكيل له مما لا يحب ولا يرضى .. فينكمش فى ملابسه المتناقضة وينظر إلينا مبديا عدم الاهتمام كأنه غير المقصود .. فننصرف بسرعة بعد أن نهديه نظرة مجاملة سريعة يخطفها منا فى صمت .. بعدها يأتى إلينا ليحكى كيف عنف المدير على ما بدر منه فى حق عبد الله الأعرج زميله فى الأرشيف ..

فنقول له : ـــ

ـــ تقصد أن المدير كان يشتم عبد الله الأعرج ؟

ـــ وهل يقدر مخلوق أن يتهمنى بالجهل ؟ المدير يعرف جيدا من هو توفيق المحلاوى .. يعرف أن رقبته تحت حذائى .. انا الذى صنعه .. انا الذى ساعده يوم جاء الى المصلحة موظفا حديث العهد بالحياة لا يعرف الألف من كوز الذرة .. مثلكم تماما ! تعهدته بالرعاية .. علمته .. أخذت بيده .. شرب الشاى هنا واستمّع الىّ طويلا .. لكنه نسى ... الناس هنا تنسى .. حتى من يسدى اليهم النصح .. لأنهم لا يحاولون أن يتذكروا .. زمن الإحباطات !

.. وكنا نبدى له اهتمام المصدق وكلانا يعرف أنه كاذب ..

أما الطامة الكبرى فهى يوم طلب المدير منه ملف الضرائب .. فأحضر له ملف القضايا .. يومها سقط توفيق المحلاوى من طوله .. عندما انهال عليه المدير على مرأى ومسمع من الموظفين والزائرين بالشتائم حتى كاد أن يبصق فى وجهه .. بعدها خرج توفيق المحلاوى من المصلحة يجر ساقيه .. وحقيبته .. وجسده .. وعندما حاولنا أن نخفف عنه .. قال لنا : ـــ

ـــ الفرق بينى وبينه .. أنه يستطيع أن يقول أى شىء .. فى أى وقت .. لكننى لا أستطيع الاّ أن أسمع ..

الدوحة : محمد همام فكرى

حديقة الأرواح

محمد عز الدين التازى

انتهت حالة الوجع . بدأت بعض الصور الوردية تأتى إليّ ، حاملةً معها إلحاحاً كبيراً على ان أصبح انا نفسى واحدة من تلك الصور التى تحضر وتغيب ، تتعاقب متتالية ومُدَدُ بقائها تتراوح ، لكن اشتهاءها للبقاء لا ينتهى .

ها هى ذى صورتى الوحيدة تأتى إليّ . صورة بيضاء بالأبيض والأبيض ، ولعلها صورة البدء .

* * *

فى هذا الصمت الموحش ، سقطت كأس من حافة المطبخ وتهشمت . لابد أنها قد تهشمت ، فقد كان صوت ارتطامها بالأرض واضحاً ، دون اى رنين يوحى بأنها قد سَلِمَتْ من الانكسار . انكتمت الشظايا . ثم جاء وَقْعُ خطى ، ومواء قط هائج فى أدراج العمارة ، واختلط المواء الحاد الجارح بسعال متقطع ، وبأصوات أخرى مجهولة المصدر .

تَتَبَّعَ الرجل الجالس أمام التلفزيون تَلاَحُقَ أصوات المواء وامتدادها المطوط . لم يتصور أن القطط يمكن أن تموء بكل هذه الحدة . لا يمكن ! هن النساء الذبيحات .

فكر الرجل الجاس أمام الشاشة فى نساء يتم ذبحهن . الأجساد عارية تَلُفُّهَا غلالة من بخار الحمام . حَمَّام بلدى يقع فى أحد الدروب السفلى لمدينة عتيقة . الشعور الطويلة مسدلة ومُبَلَّلَة . شَرْشَرَةُ الماء . ضوء خفيف يَتَسَلَّلُ من ثقوب فى السقف المُقَبَّب مغطاة بالزجاج . مدينةٌ جاءت فى هذه اللحظة ،

ثم جاء الحمام البلدى ، وجاء مشهد الذبح . لم يظهر أىُّ أحد . ربما كان الذَّبَّاحُ عبداً أسودَ يُخْفِى لونَه الظلام ، ومع ذلك فهو يستطيع أن يرى أعناق النساء البيضاء ويَنْحَرَها واحداً بعد الآخر دون أن يَفُلَّ من ساعده . الصراخ المُرْعِب .

جاءت المدينة بدروبها السفلى ، ولم تنسحب أصوات المواء ، ثم بدأ اتجاه العاصفة نحو أسلاك الكهرباء والرايات واللافتات ، وسُمع دَبِيبُ بعض الرجال . عرف الرجل الجالس قبالة الشاشة أن الرجال مشبوهون من وَقْع الأحذية الخفيف على الأرض ، ومن الخطى المتباعدة ، المُتَسَلِّلَةِ من موقع خطوة إلى موقع أخرى . جاء رجال آخرون يمسك كل واحد منهم رَايَةً وكأنه يمسك زهرة . لم تكن الأيدى محمولة إلى الأعلى ، مُلَوِّحَةً بالرايات بشكل حماسى . والرايات لم تكن خَفَّاقَة . كانوا يحملونها بين أيديهم بحنين خاص وكأنهم يحملون قلوبهم بين أيديهم . ينظرون إليها فَتَرِقُّ مشاعرهم وتبدأ الأغانى الهادئة كأنها التراتيل . راياتٌ صغيرة حمراء تتوسطها نجوم خضراء ، لم تستطع العاصفة أن تُخْنِقَها ، مع أن القلوب هى التى كانت تَخْفِق .

تداخلت صور الرجال المشبوهين بصور الرجال الذين يحملون الرايات على هذه الشاكلة ، وتذكر الرجل الجالس أمام شاشة التلفزيون أنه لم يَشْتَرِ رايةً فى حياته ، ولم يرسم راية ، وبالرغم من أنه لم يَبِعْ رايةً فقد أحس برعب الخيانة

وفكر فى إصدار عقوبة تجاه نفسه . وحين ظهرت أقنعة الرجال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المشبوهين ، لم تكن سوى تلك الأقنعة التى يلهو بها الأطفال ، فانفجر ضاحكاً وتعجب كيف أرعبه مشهد مضحك إلى هذا الحد .

* * *

تذكرتُ أن الظلام هو ظلام الغرفة وأن المشهد الخارجى قد أُسدلت عليه الستارة وأن الرجل الذى يشاركنى الغرفة قد نام بعد أن ختم حكاياته المتداخلة بنهاية غير مأساوية بالرغم من أنه ينتظر الموت فى كل لحظة وأن زوجته حينما تأتى للزيارة تطل من باب الغرفة نحو مكانه ، ثم تتراجع قليلاً نحو الممر ، وتعود للدخول . تقف ذاهلة على حافة سريره ثم تشهق ، تتظاهر بالسقوط موحية بأن رأسها يصيبه الدّوار . تتجه نحوى وتقول لم أكن أتوقع أن يكون ما يزال على قيد الحياة . تعرف أنه قد سمع . تتجاهلنا معاً وتطل من النافذة . تتظاهر بالسهوم وكأنها تَعُدُّ الجمال المتناثرة فى الخلاء . يستدير جهتها ويبتسم . تبدأ حكاياته وأسئلته عن السائقين الذين يسوقون سيارات الأجرة التى يملكها . تجيب باقتضاب وتَبَرُّم . يطلب منها أن تُحضر له فى الزيارة القادمة جهاز التلفزيون الصغير حتى يَتَتَبَّعَ بقية حلقات المسلسل كما يفعل جيراننا فى الغرفة المجاورة ، وأن تُحضر بعض الأكلات الخاصة ، بغير مِلْحٍ طبعاً . يظل يتكلم عن الممرضة البشوش ، وأنه قد رشى العبوس والممرضة كى تبتسم ، فأخذت الرشوة ولم تبتسم . يتحدث عن تخميناته عما يمكن أن يكون الطبيب قد قاله من وراء ظهره ، ويقول إنه لا يصدق الأطباء كما لا يصدق الحسابات التى يقدمها سائقو سيارات الأجرة .

المشهد الذى غيبته الستارة وطواه الظلام هو مشهد الجمال . كان أحدها بَاركاً خلف تل صغير لم يظهر فى البداية سوى ثلاثة ، ثم جاءت أخرى . حين رأيتُ الفسحة الرملية ، فى ذلك الصباح الأول ، لم أعتقد أن الشاطىء يمتد إلى ذلك المكان ، حتى جاء المساء ومَدَّ البحر فرأيت الموجات الصغيرة تندى بهدوء وفسحة الرمال يغطيها الماء . تكاثر عدد الجمال ولم يظهر أى راع .

كانت تأتى وحدها فى الصباح وتنسحب من المكان فى المساء . حين سألت الممرضة العبوس عن سكان تلك الفيلات البادية على بعد ، المنتشرة فوق الهضبة ، كنت فقط أرغب فى أن أراها تتكلم لكنها لم تجب . إلا أن الرجل الجالس قبالة شاشة التلفزيون قد وجه نفس السؤال إلى أحد سائقى سيارات الأجرة ، حين جاء للزيارة ودفع الحساب ، فأوضح أن منطقة المصايف هذه لا تكون آهلة إلا فى الصيف ، ووافق صاحبه مؤكداً أننا لا نلاحظ أية أضواء فى الليل ، ثم أخذ يسأل عن سعر البقع الأرضية فى ذلك المكان .

جاءت الممرضة العبوس وأسدلت الستارة لم تطفى الضوء لكنها بعد أن تطفئه ، تأتى مرات متعددة وتضىء الغرفة ثم تطل على وجهينا واحداً بعد الآخر . حتى إن كان أحدنا قد غطى وجهه بالإزار أو البطانية فهى تعريه وتطل . تنظر إلى الوجه فى الضوء ولا تقول شيئاً ، ثم تطفىء الضوء وتنسحب تفعل هذا عدة مرات فى الليلة ، وكل ما يَتَبَقَّى أمام العين هو مِشْيَتُهَا المُسْتَرْجِلَة ، وبعض من الزبد الظاهر على جانب الفم ، مع انزواء دائم بين الحاجبين .

لا شىء قبل هذا أو بعده سوى الظلام وهذا الرجل المُعَلَّق من أهدابه ونياط القلب . وفى هذا الظلام يمكن أن تَتَرَاءى كل الكائنات وكل الصور ، وأن يتم تأجيل أى قرار مادام الطبيب لم يقرر أى شىء .

* * *

صورة بيضاء ،

بالأبيض والأبيض ،

حين جاءتنى عرفت أنها الصورة الوحيدة الممكنة ، فى دهاليز هذا العالم .

* * *

ربما كان صوت انفجار . حين طقطقت ذؤابة الشمعة ، خشخشت أوراق الكتاب ، ثم تحرك حفيف الشجر ونشيش أمطار وكأن غابة تَحْتَلُّ فضاء هذه الغرفة تَهُزُّهَا العواصف والرعود . انفجار قنبلة فى مكان قصى . انهيار قنطرة على نهر . لَثْمَةٌ أراد العاشق أن يسرقها من ثغر المعشوقة ثم تراجع بعد أن أرعبه صوت الانهيار المفاجىء . قطرة عرق تنحبس على جبين . إطلالة رؤوسٍ أفاعٍ من بين الأحجار . رفيفُ أجنحة طائر ، ضجيج آلة وصفير يخترق الفضاء ، لهاث رجل مُسِنٍ يَصْعَدُ الأدراج . اصطفاق الأبواب . كل الأبواب تصطفق فى هذه اللحظة . موائد مصفوفة وأصوات الملاعق والشوكات وهى تصطدم بالصحون . الكلاب بَحَّهَا النُّبَاحُ فأخذت تَهِرُّ وترفع رؤوسها متحدية قبة منصوبة من فراغ . الشريط ينقطع ويتوقف صوت المغنية ويتوقف معه دفق العواطف الجياشة . مناغاة . ضحكات سكرانة . هَدِيلُ حمام . طفطقة سرير نَاءٍ بثقل الجسد . خطبٌ حماسية وهتاف . عِصِيٌّ وهراوات . ارتجافُ أوراق الكتاب . خَفْقُ نهد . زلازل تَدُكُّ المدن . صمت . صمتٌ كالصمت ، كاختطاف الأشياء والأصوات لَحْظَةً توجد . الصمت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم أكن قد توصلت إلى أى قرار . فى هذه اللحظة بالذات أخذت أشعر بتَبَاطُىء بعض الصور ، وانحدارها فى جُبّ أو قرار . تضيع الصور وتتبدَّد ، تَتَلاَشَى ولا يبقى سوى هذا المشهد الخارجى . لَنْ أقرر أىَّ شىء فى لحظة كهذه . سأظل هكذا ، ذا عينين سَلْبِيَّتَيْنِ تأتى إليهما الرؤية بدل أن تختار ما تريدان أن ترياه . هالةٌ مؤقتة سوف أستوعب فيها معنى الهزيمة . مع أن المشكلة ليست فيما تراه العينان ، فهما بكل تأكيد تريان أشياء وعالَمَ الذاكرة ، موتَ الموت ، تأجيلَ المُؤَجَّل ، تغيبَ المواجع فى آبار عميقة يخبئها الجسد ، الصخبَ والخمرَ وكل اللوثات العقْلية التى تجعل العالم ممكناً وقابلاً للمطاوعة .

لا أستطيع هنا أن أرى شيئاً سوى ظلام الغرفة . مع أن الأصوات ، هكذا ، بصورة مفاجئة ، لابد أن تأتى إلىّ ، حتى وإن أجهدوا أنفسهم فى الحفاظ على السكينة . لكن التَّصَاوِيَر أبهجتنى . لم يكن فى الفضاء أى اخضرار . عالمٌ قيامىّ . أشجارٌ ذاتُ عيون رائية ، وطاويط تنتشر أجنحتها وفى السماء شمس وقمر . صفاء فى الجو وأضواءٌ كاشفة ملونة . ثم ظهرت على التصاوير أَنْصَافُ الأشياء . هذا نِصْفُ وجه أمى . نصف وجهها الذى تظهر عليه الشامة ، والشامة فى الأصل ، هى شامة جدى ، والدها ، لكنها انتقلت إلى خَدّى الأيسر . ظهر فى إحدى التصاوير نصف ورقة نقدية ، ونصف طريق هو خط الذهاب ، ونِصْفُ ابتسامة ، ونِصْفُ وطن ، ونِصْفُ فرحة ، وظلت الأنصاف وحدها هى التى تظهر على التصاوير . كانت التَّصَاوِيرُ هِى الأخرى بادِيةً على الشاشة ، كما أَبْدُو أنا ويبدو تَدَافُعُ الموجةِ نحو حَدّ الرمل ، ويبدو القنوط على وجه زوجة الرجل المعلق من نياط القلب . ظهر على الشاشة وهو ينظر إلى الشاشة ويشاهد أَنْصَافَ الأشياء التى تظهر فى الشاشة ، ويراقب معى ومعكم حركة سير السيارات دون أن يحدث أى حادث ، مع أن تتبع سير السيارة الحمراء يظل ممكناً وكأن المسافة بين طنجةَ والرباط قد صارت فوق راحة اليد . كلنا نراقب تلك السيارة وهى تمضى فى الطريق ، تصعد المرتفعات وتَنْعَطِفُ مع كل منعطف . لايبدو لنا أى سائق أو راكب . المهم هو راحة اليد ، واتساعها لأن تحضن كل هذا الطريق الفاصل بين طنجة والرباط ، ومراقبة حركة سير سيارة حمراء . مجرد سيارة من سيارات السيد الذى يجلس أمام شاشة التلفزيون . لكن اللعبة مسلية .

الوطاويط تنشر أجنحتها . نِصْفُ نَهَار ونصف ليل . صخور رمادية وأَنْهَارُ ماؤها عكر . أشجار الْبلوط . السيارة الحمراء راحت . اختفت رغم أن الطريق بَادٍ ، من ميناء طنجة إلى مقهى « باليما » ، آخر محطة فى الوصول ، حيث سيلتقى الرجل الجالس أمام شاشة التلفزيون مع أحد البرلمانيين لتسوية بعض الأمور ، ثم سيلتقى على التوالى بأحد العملاء ، وبامرأة ، وبنفسه لقاءه الأخير قبل أن تأخذ السيارة الحمراء طريق العودة . أشجار سوداء . الطريق مكتظ بالشاحنات ولا وجود لأية سيارة حمراء ، لأى رجل جالس أمام شاشة التلفزيون ، لأية تصاوير ، لأية أنصاف . أردت أن أستغنى عن كل ما تأتى به التصاوير وأكتفى بالظلام فلم أستطع أن أَمْحُوَ ما على الشاشة ، ولذلك أَجَّلْتُ أى قرار آخر .

* * *

ابتدأت حالةُ الخيالات . كان يجلس أمام شاشة التلفزيون ويحكى لى عما يراه فى شاشة خيالاته . هذياناته أذهلتنى . وحينما ضاعت منى السيارة الحمراء فى الطريق بين طنجة والرباط قال لى لقد أغفلت ، جعلناها سيارة حمراء حتى تظل مُتَنَبِّهاً ، ولا تضيع السيارة فى الطريق ، أليس هذا السفر لقضاء الحَاجات ؟ سنبدأ من البداية . مرة أخرى سوف تقلع السيارة الحمراء من باب الميناء . كن يقظاً . إياك أن تخسر اللعبة فى هذه المرة . الطريق كلها واضحة أمامك ، فوق راحة اليد . إياك أن تشرد أو تعطش أو تُصاب بالإغماء ، أو ينتهى رأسك من التعب ، أو تتسلى بمشاهدة مباراة فى كرة القدم ، أو تفتح دفتر حساباتك الشهرية أو تتذكر بأنك لم تحب حبك الأخير ، إن من المضحك أن يتحدث الإنسان عن حبه الأول ، أو تفكر فى الممرضة العبوس ، أو فى الرجل المتخيل الجالس أمام التلفزيون فى شقة فى عمارة وتنسانى أنا الجالس أمام التلفزيون هنا أمامك ، أو تتذكر الخوابى الفارغة التى اشتريت ، بم ستملأها ، بالسمن والعسل أم بالخمر وبالخمر . إياك أن تُصاب بالسكتة أو تنتحر ، أو تموت موتاً عادياً قبل أن تصل السيارة الحمراء إلى مقهى « باليما » ، وإن أضعتها فى الطريق فقد خسرت اللعبة ، وخسرت راحة يدك ، وكل الأشياء الأخرى التى نُصَوِّرُها لك فتحسبها من صنع خيالك .

حتماً سوف تخسر ، ولذلك نقترح عليك مشهد النساء الذبيحات مرة أخرى ، فلتنظر إلى الشاشة وستراه أمامك .

المغرب : محمد عز الدين التازى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللا شـــــيء

أيمـــن الخـــراط

كان المربع الورقى أمامى مزهواً بنقائه وبأنه لم يلوث بعد . وحين أخرجت القلم من الجيب الخلفى كانت الجالسة بجوارى على الآلة الكاتبة قد بدأت تملأ مستديلاتها البيضاء بالتقرير الأخير عن المشروعات التى قامت بها الهيئة الموقرة وعن المبالغ التى صرفت والتى لم تصرف وحين الفيت القلم فى يدى قد بدأ يتحرك فى أعلى المربع .. انداح على رأسى ما اصطدمت به عينى من أخبار وعناوين فى جرائد الصباح ، ولأننى عاهدت نفسى من زمن الا أعطى للسياسة اهتماماً أكثر من اللازم فقد أوليت اهتمامى بالجديد مثلاً كيف تصنع فطيرة البطاطس .. ؟ الشعر المنكوش موضة لهذا الموسم ! أما البرج فقد أخبرنى أن المزاج معتدل والأخبار تسر وأن ارتباطاً جديداً فى الطريق .

اللون الأبيض يختفى تدريجياً تحت الحبر الأسود الذى شكلت به الأطراف والمنتصف ولا أدرى الارتباط الحقيقى بين الأسماء التى علقتها أعلى أو وضعتها فى الوسط .. تتسرب إلى أذنى ضحكة خفيفة من فم الجالسة بجوارى رغم انشغال أصابعها البيضاء الجميلة بالضغط على الدوائر السوداء .. الأسماء أمامى تزداد والذاكرة تعصر ما تبقى منها فى معرفة السيل المندفع على الورقة .. مارى وإيفون وعبير .. أمانى وسعدية وحلاوتهم .. وتجتهد أن تربط بين النجمة والشمس والخنجر والزهرة والكوبرى وشجرة الصفصاف والقلب النازف فى منتصف الصفحة وحساب الأرقام الشهرى المعلق فى ذيل المربع ولكنها تفشل .

ضحكات الجالسة بجوارى تزداد وتمتد يدها الجميلة كى تعدل من خصلات شعرها السوداء التى استلقت على وجهها أثناء انكفائها على الحروف ، ثم ما تلبث أن تخرج إحدى ساقيها من تحت المكتب وتضعها على مرمى بصرى المتعب فيعيدنى اللون الأبيض فى الساق إلى شىء كنت أريده .. ربما كان شريطاً جديداً لفيروز ، أو أنشودة أرض الضياع ، أو نظرة ملتهبة من عيون بائعة الزهور فى محل عصفور الجنة .. أو أكلة كباب لا تتكرر إلا مرة كل ثلاثة شهور أو رحلة إلى الشاطىء الهادىء والصخرة التى أريقت فوقها دمائى يوماً ما ، أو الجلوس تحت أقدام أبى الهول وتأمل الأنف المنهار ، أو كل هذا .. لا أعرف ولكن حين أغشى عينى ضوء الشمس خارج المبنى واحتضنت أقدامى الأسفلت الساخن ، كان يتفجر بداخلى شىء ، حين حاولت أن أعرف كنهه فى الطريق ، ابتلعنى الزحام ..

زفتى : أيمن الخراط .

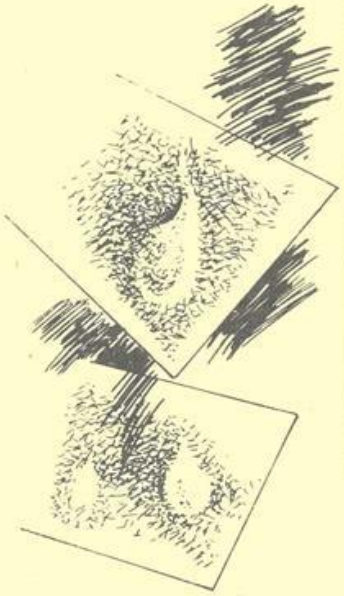

العالم من خلف النافذة

● هشـــام قاســـم

سرت قشعريرة بجسدى ، وارتجفت أوصالى لبرهة ، يبدو أن لسعات برودة الخريف بدأت تهل ، ضممت ذراعى وأغلقت زجاج العربة ، استمالنى العالم الذى يتلون بزرقة داكنة عند اختفاء الشمس خلف السحب .. فبدأت مراقبته بطول كورنيش النيل .

المرأة التى تقف بجوار ابنها لا يصلنى صوتها ، يبدو أنها أسرت إليه بشىء مفرح .. فالابتسامة واضحة على وجهه ، الابن يدور حولها وهى تستدير بجسدها تحاول متابعته . لعلها أرادت أن تزيد من سروره ، فداعبته بتلك الطريقة .. الابن يزيد من عدد لفاته وهى تزيد من سرعة دورانها . أعجبتنى تلك العلاقة الفلكية ، فتشوقت للكشف عن سرها . أدرت زجاج العربة حتى فتحته عن آخره ، الأم تقذف ابنها بأقذع الشتائم ، والابن يتمادى فى شقاوته الشيطانية ولا يبالى بغضبها .. بل يعمل على زيادته .

أعدت غلق زجاج العربة على الفور ، استرخيت فى مقعدى .. العالم شفاف بداخله ، على مقربة منى فتاة وفتى يجلسان على أريكة رخامية بجوار سور الكورنيش ، بالتأكيد تحبه ويحبها ، فلا يجلس تلك الجلسة ، فى مثل ذلك الطقس إلا مجنون أو محب !

أصابع اليد تلتحم بأصابع اليد الأخرى ، والعيون تسبح فى بحور العشق . الأيدى تفترق لتلتقى من جديد ، ثم تفترق .. كأنه فى كل لقاء لحظة ميلاد جديدة . الابتسامة على وجه الفتاة كأنها لؤلؤة خرجت من القلب ونامت على الخد . يمر من خلفها مركب شراعى .. وددت لو أن تلك اللوحة ظلت ثابتة هكذا لفترة من الزمن ! . حبيبان فى المقدمة وحب آخر فى الخلفية بين مراكبى وشراع . أفتح زجاج العربة لعلى ألتقط بعض الكلمات الحقيقية من أفواه المحبين . أجد الفتاة تصيح بصوت رنة الأنوثة واضحة فيه عالية بينما راحت تسحب يديها من بين يديه .

ـ ألن تكف عن شقاوتك تلك ؟

ـ ما ذنبى إذا كان جمالك يزيد من شقاوتى ، وحبك يزيد من لهيبى ؟

أصابتنى الكلمات الفارغة بغيظ ونقمة .. فأسرعت فى غلق النافذة .. عدت إلى عالم الصور الصامت .

بدأت قطرات المطر تتساقط على زجاج العربة ، وتغيرت أشكال الأشياء من حولى .. برغم المطر كانت هناك أسرة صغيرة تلتف حول ربها كأنما تستمد منه الدفء . يتحدث إليهم وينصتون ويلامسون المطر ويضحكون . أوراق الشجر تهتز فرحة !

جماعة الأصدقاء ترتكن إلى إحدى العربات . ما زالوا ينتظروننى لألحق بهم .. انتبهت إلى تعبيرات وجوههم ، وتلويح أيديهم ، واهتزازات أجسادهم أثناء الحديث .

ماذا يدور من حولى ؟؟

لا .. من الأفضل أن يظل العالم من حولى بدون كلمات ... ولو لبضع دقائق .

القاهرة : هشام قاسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبجـــديـــة

إبراهيم أبو حجة

خلفهم الجسر الترابى المتفحم يلتوى ، محتضناً البيوت التى انبعثت من نوافذها أضواء ، من رؤية الحروف الأجنبية على الجدار الذى يفصلهم عن قضبان السكة الحديدية .

كانت هى قد انتهت من اللهـج بالأبجدية حتين جلست القرفصاء ، وهو أيضاً إلى جوارها قد جلس منشغلاً بتعقب نهـايـات الخـلاء المظلم حـولهمـا .. هنـا محطـة الجـاز المهجورة ، .. وهناك البـير ، .. ووراء الجدار كـانت رؤوس شجر لا تحجب الأعمدة التى تتقافز العصافير فوق أسلاكها الغليظة ليلاً ..

وهناك .. هناك .. ، بالضبط فوق شونة القمح ، كان ظلام ونجوم ، وصمت لا تبدده أصوات الصراصير الليلية .. « آه منها تلك الصراصير .. إنها لا تكف إلا إذا مر قطار البضاعة الأسود مزلزلاً الأرض من تحت البيوت الواطئة » .

بحثت هى عن القمر بين الغيوم التى لم تكن كثيرة هذه الليلة ، وحثها هو على الانتهاء إذ أنه يخشى زلزلة الأرض من تحته ، وقال إن العصافير بالشونة لابد يفزعها مرور القطار ، فتكف عن القفز بين الأجولة ، والتقاط القمح من التراب .. وقالت هى إن القطار لا يمر إلا ليلاً ، .. وإن العصافير لابد تنام الآن بين الأجولة فأقسم أنه رأى العصافير وقد تجمدت فوق الأجولة لما فاجأها صفير القطار صباحاً .. أقسم لها أنه رأى ذلك السلك الشائك الذى يسيّج الشونة .. فقالت لابد أنه قطار الركاب . ولما لم يـذعن لها قـالت وهى تنظر فى عينيـه بحدة ـ إن العصافير تتحول فى الليل إلى صراصير ..

ـ أنت لا تعرفين !

وتحاشى الاشتباك معها كعادتهما، حتى لا تتركه وتذهب إلى بيتها ويظل هو بالباب يطرقه .. وهى لا تخرج إليه أبداً ..

ـ انظر .. هذا بيتنا .. وهذا بيتكم .. وهناك البير .. ، ثم ضحكت وحكت له عن يوم سقوطه فى البير وهما يلعبان فوق رصيفـه المتآكـل .. استدعت أبـاه الذى انتشلـه من المياه الراكدة وصفعه . فبكى .. وضحكت هى .. ، هو أيضاً ضحك لما حكت له وضحكت .. والخلاء حمل ضحكهما إلى أبيه الذى كان على مقعده ما يزال يغالب النوم وبيده خيرزانة من البوص وأمامه كتاب تعليم الأبجدية ، وهى كتمت الضحك فلا يصل إلى أمها النائمة .

ـ انظرى ..

كـان وراء رؤوس شجـر الخـروع ضـوء أزرق يشتـد ويخفت .. يشتد .. ويخفت . بطريقة تنذر بمقـدم القطار . لملمت ثوبها ، فارتفع عن الأرض برهة اختلس هو فيها النظر إلى طرف الثوب بينما تفتش بين الغيوم التى انحسرت عن قمر طالما أحبته حتى لو لم يكن مستديراً .

— انظرى

اقترب منها اكثر حتى لامس ذراعه وهمس فلم تسمعه « ستفزع العصافير ، وتكف الصراصير » .

كان الضوء قد خفت ، وعاد فاشتد ، وخفت حتى تلاشى .. ولم يمر القطار ، ولا شق السكون صفيره الحاد .. فحضها على الانتهاء . وكانت هى مستغرقة تحدق فى الحروف الأجنبية فوق السور .

— انظر ..

رأى الحروف التى يحفظ شكلها الأصم الأعجم ساكنة .. قالت إنها تراها يجر بعضها بعضاً ، كأنها القطار .

كانت يدها فى يده وارتعدت حين قال لها إنها العفاريت تتجول فى الساحة ليلاً ، وأحس رجفة اثلجت أعضاءه فتعلق كفه بكفها وجذبها واقفاً فسوت ثيابها وقفزت وهو وراءها يحاول أن يقبض طرف الثوب بينما هى تضحك وتتقافز .. تضحك وتتقافز .

كانا فى قلب الخلاء تماماً حين أمسك بها وحلق فى ساحة عينيها حتى لم يعد يسمع للصراصير صفيراً ولا لأوراق شجر الخروج حفيفاً .. وهى لما حلقت فى سماء عينيه رات القمر يلتمع فزفرت ، واحست عصفوراً يرف تحت ثوبها ، فارتجفت ، وهو أيضاً ارتجف حين فاجأتهما صيحة الأب الذى كان يتكىء بصدره الغليظ على إطار النافذة ..

جرت هى ، وهو وراءها يلهج بالأبجدية حتى لا يسمعه ابوه الذى اختفى من النافذة .

بور سعيد : إبراهيم أبو حية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سِـــر النيـــل

محمـد شـاكر الملـط

سعل سعلة طويلة جافة وأخرج من جيب (الصديرى) سيجارة أشعلها ووقف على رأس الحقل وضم (بارودته) إلى صدره ونادى :

ـــ سعداوى .. ياسعداوى !

من بين أعواد الذرة الكثيفة جاوبه صوت : قليل من الصبر ياسيد الرجالة

ـــ الصبر خرب الدكان .. ياله ياجدع أنت وهوه اعمل لك همة شوية قبل الفجر ما يطلع علينا ومن الحقل خرج له رجل فى الخامسة والثلاثين من عمره قوى البنية

ـــ الجتة كل ما بندفنها فى بطن الأرض .. نلجاها طلعت تانى ياسيد الرجالة

ـــ يعنى إيه ياسعداوى ؟ هنروح فى داهية ؟ بتاع اللبن هيعدى عليها كمان ساعة .. وبنت عبد الونيس برضك التانية هتروح لها والموضوع هينكشف .

أخذت قطرات من رذاذ المطر تسقط على الرجال والحقول وسرعان ما اشتدت وعوت الريح عواء صارخا وبدأت كلاب قرية (نجع القايد) تنبح .. وبهت الرجال .. إلاأن كبيرهم الواقف على رأس الحقل (بارودته) فى يده .. يراقب الطريق قال :

رجعوا الجتة فى الشوال يارجالة .. وأنا لى خطة

* * * *

من بين أعواد الذرة تسلل رجلان فى المقدمة يحملان البنادق ومن خلفهم ثلاثة رجال يحملون حوالا كبيرا تسيل منه قطرات الدم فى الحقل ومن خلفهم رجل يحمل (بلطة) كبيرة وآخر يحمل (سنجة)

قال كبيرهم : تعالوا ورايا للنيل

قال سعداوى : ـــ ولكن ياسيد الرجالة الجتة هتطفوا على الميه بعد تلات أيام وهنروح فى داهية

رد سيد الرجالة : ـــ أنا عامل حسابى ! قال الذى يحمل البلطة : ـــ وبعد كده هنعمل إيه ياعم حجاج ؟

رد الذى يحمل (السنجة) وهو يهرول :

ـــ زى ما يقول سيد الرجالة ياعويس هنعمل

* * * *

لاح لهم النيل أخيرا

أشار الكبير إلى صخرة بجوار النهر وقال آمرا فى حزم :

اربطوا الجتة فى الصخرة كويس يارجالة فى ثوان تم ربط الجثة وحملها الرجال والقوها فى النهر .

لم تيفوهوا خلالها بحرف .. وغيبها (النيل) فى جوفه إلا أن الكبير قال :

غورى فى ستين داهية .. خربتى بيوتنا .. الله يخرب بيت أبوكى يابعيدة

* * * *

نهر النيل يتدفق ماؤه فى صفاء وجلال وشمس اليوم تشرق ببهاء . وتنفست الكائنات

وسعى الخلق لأرزاقهم وسيد الرجالة ومن معه يركبون قطار الصعيد المتجه إلى بلدة (فرشوط) يتبادلون النظرات فى صمت وتوجس .. يمد (حجاج) يده إلى جيب (الصديرى) داخل جلبابه الأزرق الباهت .. يخرج علبة سجائره .. يناولها للرجال .. يأخذ (سعداوى) .. يرفض (سيد الرجالة) .. يضع (عويس) (السيجارة) فى ركن فمه يدخنون فى شراهة وينظرون من نافذة القطار فيما وراء الأفق البعيد

* * * *

يقف القطار على رصيف محطة (فرشوط) يقفز الرجال واحد و راء الآخر

فى نهاية البلدة بيت له سقف واطىء وباب متسع معلق على واجهته رأس ذئب محنط وبجواره تمساح نيلى صغير محشو بالقش وكأن كلاً منهما يتربص بالآخر ..

يدخلون واحدا فى إثر الآخر .. ودون أن يصدر عنهم صوت .

* * * *

ـــ أهلا .. ياأهلا بالرجالة .. نفذت المهمة (ياسيد الرجالة)

كان الصوت لامرأة يأتى عبر نافذة فى حجرة مظلمة مجاورة ودون أن يرى المتحدث

ـــ نعم ياخالة (نصرة) هكذا رد عبد الودود

ـــ يعنى (السيد ابو سليم) هايستريح فى قبره ياولدى ؟

رد (حجاج) ضاحكا :

ربنا يريحه ياخالة

نظر (عبد الودود) إلى (حجاج) شذرا ثم قال : ـــ

ياخالة احنا عملنا الواجب .. وجايز يعود الحق لأصحابه

وقفت الخالة وفى يدها النقود وهى تدفع إلى كل رجل مبلغا من المال

قال (سيد الرجالة) وهو يزيح يدها وعيناه تحملقان بعيدا : ـــ

ناخد لما الخمس فدن يرجعوا للورثة اليتامى اللى سرقتهم (الملعونة) من السيد ابو سليم ياخالة

* * * *

وبعد ثلاثة أيام لفظ النيل من جوفه (جثة) عرفها الناس من تقاطيع الوجه والمعالم :

القاهرة : محمد شاكر الملط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

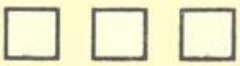

البحث عن السيد

(مسرحية)

ممدوح راشد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شخصيات المسرحية

المحقق
الرقيب ١
الزوجة
الماذون
والد الزوجة
ماسح الأحذية
بائع الجرائد
رواد المقهى «شيوخ /رجال /شباب »
الرقيب ٢
الطابع على الآله الكاتبة « شخصيات صامتة »

ملاحظات :

١ ــ الوضع المعتاد للمحقق هو وضع المفكر للمثال رودان ـ به يبدأ المشهد .. وبه ينتهى ايضا .. ما عدا نهاية المشهد الأخير حيث يتخذ وضع الكاتب المصرى ..

٢ ــ الطابع على الآلة فى المشهد الأول حليق انيق ، امامه عدة اوراق .. مع تتابع المشاهد يتدهور حاله .. وترتفع الأوراق امامه حتى تغطيه وآلته فى منتصف المشهد الأخير ..

٣ ــ الموسيقى المصاحبة للعرض هى صوت الآلة الكاتبة الكهربائية ماعدا الجزء الأخير من المشهد الاخير فتكون الموسيقى اشارات مدرس التقليدية ..

المشهد الأول

المسرح مضاء الستار مغلق .. تسمع طرقات الآلة ينفرج الستار فى بطء .. مع تمام انفراجه تتوقف الآلة .. المحقق جالس فى وضعه المعتاد الطابع يسحب الورقة من على الأسطوانة .. يضعها فوق الأوراق الأخرى على يساره .. بالحجرة مكتب فاخر امامه كرسيا على يمين المكتب منضدة صغيرة مستطيلة عليها آلة كاتبة كهربائية يجلس وراءها الطابع مواجها الجمهور .. على الجدران بعض لوحات عن العدل والحكمة .. فى اليسار باب وفى اليمين نافذة مغلقة .. سرير منطو بجوار الحائط .. يعتدل المحقق .. يتناول الأوراق المكتوبة من الطابع .. يتاملها فى إعجاب لا يخفيه ،

المحقق : رائع : ختام جيد .. أقفلت القضية بإتقان .. أنا رجل الصعب .. أى قضية يعهد بها إلىَّ أقوم باللازم .. أعطونى مشكلة أعطيكم حلاً .. سجلى حافل بمئات القضايا الناجحة .. تقاريرى فيها من الشكر والثناء ما اعتدته .. لم يعد يسرنى .. صرت قمة فى عملى .. أستاذ فى فن التحقيق .. لا توجد القضية التى تعجزنى ... لى أسلوبى فى انتزاع المعلومات .. صرت مدرسة متميزة

« يدخل الرقيب ١ »

الرقيب ١ : سيدى .. بالخارج امرأة

المحقق : هل نقيم لها استقبالا رسميا ؟

الرقيب : لا اقصد يا سيدى

المحقق : ربما جاءت لأمر ما

الرقيب ١ : لا تبدو ذات نفوذ

المحقق : إذن ؟

الرقيب ١ : تريد أن تقابلك

المحقق : وماذا فى ذلك ؟

الرقيب ١ : هل سنقابله ؟

المحقق : ماذا يمنع ؟ أدخلها يخرج الرقيب ١ مضطر ان اكون ذكيا وغبيا فى آن واحد تدخل **الزوجة .. يتفحصها المحقق اثناء سيرها « اجلسى .. تجلس على الكرسى غير مستريحة شان جميع المواطنين عند تعاملهم مع السلطة « خيراً ؟**

الزوجة : زوجى يا سيدى

المحقق : ضربك ؟

الزوجة : لا يا سيدى

المحقق : شتمك ؟

الزوجة : لا يا سيدى

المحقق : **يشير إلى الطابع .. يضع ورقة فى الاسطوانة .. يحرك ذراعها نصف حركة .. يجلس مستعداً .. « إذن ماذا جرى ؟**

الزوجة : ذهب إلى عمله صباح أمس

المحقق : أمر طبيعى طالما له عمل

الزوجة : ذهب إلى عمله صباح أمس

المحقق : أمر طبيعى طالما له عمل

الزوجة : لكنه لم يعد حتى الآن

المحقق : لم تنقض سوى ليلة

الزوجة : لم يفعله من قبل

المحقق : ربما تأخر لإنجاز بعض الأعمال

الزوجة : لا يمكن أن يحدث

المحقق : لكنه حدث

الزوجة : مواعيده مضبوطة كالساعة

المحقق الساعات يصيبها الخلل أحيانا

الزوجة : ليس من هذا الطراز

المحقق : هل له إصدقاء

الزوجة : لا أعلم

المحقق : ربما تأخر فى جلسة حظ

الزوجة : مستحيل

المحقق : أليس رجلاً ؟

الزوجة : بلى ياسيدى

المحقق : إذن ما الغريب ؟

الزوجة : أعرف زوجى جيداً

المحقق : كل امرأة تتوهم ذلك

الزوجة : أتلمح إلى شىء ياسيدى ؟

المحقق : مطلقاً ـــ اله أعداء ؟

الزوجة : لا

المحقق : أعليه ثأر ؟

الزوجة : لا

المحقق : مشاكل مالية ؟

الزوجة : لا

المحقق : أكان يشتغل بالسياسة !

الزوجة : لا أعتقد فقد كان قليل الكلام

المحقق : أكان ملتحياً ؟

الزوجة : لا

المحقق : لا تقلقى .. حتما سيعود .. ما اسمه ؟

الزوجة : السيد

المحقق : السيد ماذا

الزوجة : السيد .. لاأدرى

المحقق : ألا تعرفين اسم زوجك ؟

الزوجة : اسمه السيد

المحقق : وباقى الاسم

الزوجة : لا أدرى

المحقق : هل هذا معقول ؟

الزوجة : ما الغريب فيه ؟

المحقق : إنه زوجك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزوجة : يكفيني أن أعرف اسمه

المحقق : واسم والده ؟ .. لقبه ؟

الزوجة : لقد تزوجته هو

المحقق : وأبوه ؟ .. عائلته ؟

الزوجة : ماذا يهمني من اسم أبيه ؟

المحقق : ألم يكن يزورك ؟

الزوجة : من ؟

المحقق : والده

الزوجة : قال إنه توفى منذ سنوات

المحقق : وأمه ؟

الزوجة : قال إنها توفيت وهو صغير

المحقق : أى أحد من أقاربه

الزوجة : ليس له أقارب

المحقق : متأكدة ؟

* * *

الزوجة : قال لى ذلك

المحقق : أهذا معقول

الزوجة : صدقنى ياسيدى

المحقق : أحاول لكن لا أستطيع

الزوجة : إنى أقول الحق

المحقق : إذا كان هذا هو الحق فاتركيه واسمعينى اكاذيبك

الزوجة : صدقنى ياسيدى

المحقق : هل لديك أوراق تخصه ؟

الزوجة : تبحث فى حقيبتها بطاقته الشخصية

المحقق : شخصية ؟ الستما زوجين ؟

الزوجة : لم يغيرها

المحقق : كان يجب أن تطلبى منه

الزوجة : لم أعرف بوجودها إلا مساء أمس

المحقق : معقول ؟

الزوجة : اضطررت ان ابحث فى أوراقه « تناول البطاقة للمحقق »

المحقق : «ينظر فى البطاقة» ما هذا

الزوجة : بطاقته

المحقق : أهذه بطاقته ؟

الزوجة : صدقنى ياسيدى

المحقق : أين الصورة

الزوجة : أية صورة ؟

المحقق : صورته

الزوجة : لقد وجدتها هكذا

المحقق : ليس فيها سوى اسمه الأول

الزوجة : ألم أقل لك ؟

المحقق : هل لديك صورة له ؟

الزوجة : لا

المحقق : أليست له صور على الأطلاق ؟

الزوجة : لا ياسيدى

المحقق : أين صورة زفافكما ؟

الزوجة : لم يحدث ؟

المحقق : ألم يكن هناك زفاف ؟

الزوجة : بلى

المحقق : إذن أين الصورة المعتادة ؟

الزوجة : لم نتصور

المحقق : هل أصدقك فى هذه أيضا ؟

الزوجة : يجب أن تصدقنى

المحقق : لا يوجد زفاف بدون صورة

الزوجة : لقد رفض

المحقق : رفض ؟

الزوجة : نعم ياسيدى

المحقق : بدون سبب ؟

الزوجة : قال إن الاضواء ترهق عينيه

المحقق : هل كان ممثلاً

الزوجة : لا أدرى

المحقق : ماذا كان يعمل ؟

الزوجة : لا أدرى

المحقق : المهنة فى البطاقة رجل أعمال

الزوجة : ربما .. فقد كان يخرج كل صباح

المحقق : كل صباح ؟

الزوجة : أيضا كل مساء

المحقق : هكذا ؟

الزوجة : يحمل حقيبة جلدية فاخرة

المحقق : فاخرة ؟

الزوجة : ويضع على عينيه نظارة شمسية

المحقق : كفى .. كفى .. إين بيانات البطاقة ؟

الزوجة : هل تسألنى ياسيدى ؟

المحقق : أين تاريخ الميلاد ؟ الديانة ؟ .. محل الاقامة ؟ .. حتى مكان الميلاد غير مدون ..

الزوجة : هذا ما لفت نظرى

المحقق : وبرغم ذلك كاملة الأختام والتوقيعات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزوجة : شىء طبيعى ما دامت صادرة عن طريقكم

المحقق : ما علينا . . هل وجدت أوراقاً أخرى له ؟

الزوجة : « تبحث فى حقيبتها » لم أجد سوى وثيقة الزواج

المحقق : أين هى ؟

الزوجة : « تخرجها من الحقيبة » تفضل

المحقق : « يتناولها . . ينظر فيها ثم يكتب بعض كلمات فى ورقة أمامه . . » يمكنك الانصراف . .

الزوجة : ولكن

المحقق : اطمئنى . . سوف أرسل لك إذا جد جديد

الزوجة : « تنهض » شكرا ياسيدى

المحقق : العفو نحن فى خدمتك

« تخرج الزوجة من الباب . . المحقق يدق الجرس . . يدخل الرقيب ١ »

الرقيب ١ : أفندم

المحقق : « يناوله الورقة » يتم إحضار صاحب هذا الاسم فوراً . .

« إظلام »

المشهد الثانى

الرقيب ١ : « داخلاً من الباب » وصل ياأفندم

المحقق : « يعتدل » أدخله « يخرج الرقيب ١ . . يدخل المأذون مرتدياً زيه المعتاد »

المأذون : السلام عليكم ورحمة الله

المحقق : اجلس

المأذون : « يجلس » خيراً ياسيدى زواج أم طلاق ؟

المحقق : لا هذا ولا ذاك

المأذون : سامحك الله ياسيدى . . لقد انتزعونى من زيجة سمينة وأثاروا ضجّة قد تؤثر على سمعتى المهنية

المحقق : « يناوله وثيقة الزواج » ما هذه يامولانا ؟

المأذون : « بدون أن ينظر فيها » وثيقة زواج يابنى

المحقق : شكراً يامولانا بارك الله فى أمثالك

المأذون : « محاولا النهوض » هل تريد شيئا آخر ؟

المحقق : « صائحا » أجلس « بحدة » ما المدون بها ؟

المأذون : لم تصرخ ياسيدى ؟ . . اسما الزوجين طبعا . .

المحقق : متأكد ؟

المأذون : « معاتبا » ما زال أمامى عدة زيجات وطلاقان

المحقق : انظر جيداً « المأذون يصمت تماما » لم لا تنطق ؟ .. هل فقدت لسانك ؟ « صائحا » لم لم تكتب اسم الزوج كاملا ؟

« يهوى بيده على المكتب » أجب على اسئلتى ..

المأذون : اعذرنى ياسيدى . . أذكر هذه الزيجة جيدا

المحقق : إذن حدثنى عنها

المأذون : لقد همس فى أذنى أن فى اسم ابيه وأسرته ما يثير الضحك

المحقق : الضحك ؟

المأذون : طلب منى أن أغض النظر

المحقق : وفعلت ؟

المأذون : بدا طلبه غريبا . . لكن . .

المحقق : لكن . . ؟

المأذون : أقنعنى ؟

المحقق : كيف ؟

المأذون : كانت حجته قوية

المحقق : هل أعطاك مستنداً رسمياً ؟

المأذون : لا . . بل بعض الأوراق المالية

المحقق : واقتنعت ؟

المأذون : كانت كثيرة فلم أجد فى الأمر ما يريب

المحقق : وباقى البيانات ؟ تاريخ الميلاد ؟ الديانة ؟ محل الاقامة ؟

المأذون : مادمت لم أستكمل الاسم فلا بأس من اهمال باقى البيانات

المحقق : هل اطلعت على بطاقته الشخصية ؟

المأذون : عادة لا أفعل ذلك مع كبار القوم وذوى النفوذ . . وكان يبدو كواحد منهم

المحقق : إنك رائع . . تؤدى عملك على أكمل وجه

المأذون : سامحنى ياسيدى

المحقق : نفسى تراودنى أن أفعل شيئا . . اذهب قبل أن أرضيها . .

« ينهض المأذون وينصرف فى سرعة »

« إظلام »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المشهد الثالث

المحقق : « **جالسا فى وضعه المعتاد .. يدق الجرس .. يدخل الرقيب ١** » هل لدينا ملف للسيد ؟

الرقيب ١ : لدينا ملف لكل مواطن ياسيدى

المحقق : أحضره « **يخرج الرقيب ١ .. المحقق مازال فى وضعه المعتاد .. يدخل الرقيب ١ وبيده أوراق .. يعتدل المحقق .. يتناول الأوراق .. ينظر فيها ثم يناولها للرقيب ١** » اقرأها .. ليسَ لدى رغبة فى عمل اى شىء ..

الرقيب ١ : أمرك ياسيدى « **يشعل المحقق سيجارة .. يسترخى فى كرسيه** » **المذكور ظهر فجأة فى الحى**

المحقق : فجأة .. ألا يعرف من أين جاء .. أكمل

الرقيب ١ : تزوج ابنة احد البسطاء المحالين على المعاش لبلوغه السن

المحقق : ما أسوأ تلك اللحظة

الرقيب ١ : مواعيد الخروج والعودة منتظمة صباحاً أو مساء

المحقق : جميل .. ولكن إلى أين يذهب ؟

الرقيب ١ : حياته الزوجية هادئة

المحقق : لا توجد حياة زوجية هادئة

الرقيب ١ : لم يسمع صوت شجارهما قط

المحقق : ذلك من عجائب الدنيا

الرقيب ١ : كل الجيران يؤكدون ذلك

المحقق : دعنا من الجيران

الرقيب ١ : المذكور مسالم

المحقق : شىء طبيعى مادام متزوجاً

الرقيب ١ : ليس فى تصرفاته ما يؤاخذ عليه

المحقق : لا يوجد الانسان الكامل

الرقيب ١ : لا ميول دينية أو سياسية

المحقق : مطلقاً ؟

الرقيب ١ : باستثناء جلسات السمر فى المقهى

المحقق : وهل هذا دين أم سياسة ؟

الرقيب ١ : أقصد الاحاديث المعتادة التى يتداولها العامة الآن

المحقق : ليس لديهم ما يفعلونه سوى ذلك

الرقيب ١ : لم يلاحظ مخبرونا المنتشرون فى كل مكان عليه ما يريب

المحقق : إذن فهم لا يعملون

الرقيب ١ : قد تكون بينه وبين ماسح الاحذية أحاديث متبادلة

المحقق : أيصادق ماسح الاحذية

الرقيب ١ : إنه يجلس عنده كل صباح

المحقق : ربما يكون قد تحدث معه . .

الرقيب ١ : بالنسبة لعمله يمكن سؤال جهة أخرى

المحقق : كيف ؟

الرقيب ١ : لكل جهة اختصاصها كما تعلم ياسيدى

المحقق : كفى . . كفى استدع والد الزوجة وماسح الاحذية والمقهى

الرقيب ١ : المقهى ؟ . . المبنى ؟

المحقق : لا ياغبى . . الرواد

الرقيب ١ : كلهم ؟

المحقق : كلهم « **يخرج الرقيب ١ .. يرفع سماعة التليفون بيده اليمنى .. ويدق على التليفون باليسرى** » آلو ياتحويلة .. ارسل إشارة عاجلة ..

« **إظلام** »

المشهد الرابع

المحقق : « **دون ان ينظر إلى الرقيب الذى يدخل من الباب** » **هل احضرتهم ؟**

الرقيب ١ : نعم ياسيدى

المحقق : أدخل والد الزوجة « **يخرج الرقيب ١ .. يعتدل المحقق .. يدخل والد الزوجة** » **اجلس ..**

والد الزوجة : العفو ياسيدى

المحقق : اجلس

والد الزوجة : لا يصح

المحقق : فلتظل واقفا مادامت هذه رغبتك

والد الزوجة : خيرا ياسيدى

المحقق : ماذا تعرف عن السيد ؟

والد الزوجة : السيد بك .. إنه خير الرجال خلقاً وكرماً ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظهر بالحى منذ سنة .. تعرفت به فى ظروف خاصة

المحقق : ماهى ؟

والد الزوجة : ظروف خاصة ياسيدى

المحقق : جلسة مزاج ؟

والد الزوجة : لا ياسيدى

المحقق : حلقة ذكر ؟

والد الزوجة : لا ياسيدى

المحقق : تجارة عملة ؟

والد الزوجة : لا ياسيدى الأمر أخطر من ذلك فقد جاءنى مندوب من الضرائب ليحجز على محلى

المحقق : محلك ؟ .. التقارير تقول إنك عاطل

والد الزوجة : أنا الآن على المعاش .. لكن منذ عشرة أعوام كان لى محل

المحقق : محل ؟ .. مطعم ؟

والد الزوجة : لا ياسيدى .. مجرد دكان صغير لبيع السجائر والحلوى وقد أغلقته نظراً لكبر السن وكساد الحال

المحقق : وبعد ؟

والد الزوجة : لقد تكرم السيد بك بالتفاهم مع مندوب الضرائب حتى لايثير ضجة وفى اليوم التالى ذهب إلى الضرائب وسدد ما على

المحقق : مروءة

والد الزوجة : إنه رجل فاضل ياسيدى

المحقق : وبعد ؟

والد الزوجة : بعد أسبوع من الواقعة تقدم طالباً يد ابنتى

المحقق : ووافقت ؟

والد الزوجة : بعد ما فعله لا استطيع أن أرفض

المحقق : ألم تسأل عنه ؟

والد الزوجة : أسأل عنه ؟ .. كيف أسأل عن رجل سدد ديونى ؟ .. ليس هذا فقط .. بل أتى بشقة كاملة التأثيث وبجيوبه مال يكفيه ويكفينا .. لقد وافقت على الفور ووضعت يدى فى يده وقرأنا الفاتحة

المحقق : أكان يحفظها ؟

والد الزوجة : صحيح أنى لم أره يصلى لكنه كان يحفظ القرآن كله

المحقق : ألا تعرف شيئا عن أبيه وأسرته ؟

والد الزوجة : لا ياسيدى

المحقق : مسقط رأسه ؟

والد الزوجة : لا ياسيدى

المحقق : هل هذا معقول ؟

والد الزوجة : لا اعرف ياسيدى .. لا يهمنى أن أعرف .. فماذا يفيدنى أن أعرف

المحقق : إنه زوج ابنتك

والد الزوجة : وكان رجلاً باراً بى وبها .. لم يجعلها تحتاج او تشكو يوما .. وكان يعطينى سراً كل شهر مبلغاً من المال كمساعدة

المحقق : دون علم زوجتك ؟

والد الزوجة : إنه يفهم فى الاصول .. لم يشأ أن يحرجنى أمامها .. فهل تتوقع منى بعد ذلك أن أسأل عن أبيه أو أهله

المحقق : على الأقل تسأل عن عمله

والد الزوجة : ولم أسأل ؟ مادام معه مال فهو يعمل .. وعملا مربحا

المحقق : ما نوع عمله ؟

والد الزوجة : لا يهمنى ياسيدى

المحقق : ألم تساورك اى شكوك ؟

والد الزوجة : شكوك ؟ .. وفى السيد بك ؟ مستحيل ياسيدى .. إنه ملاك .. حمل عنى عبء ابنتى .. وملأ يدىَّ بالمال ..

المحقق : شكرا .. يمكنك الانصراف « **يغادر والد الزوجة الحجرة** ..

المحقق يدق الجرس .. يدخل الرقيب ١ ، أدخل ماسح الأحذية

الرقيب ١ : حالا ياسيدى « **يغادر الغرفة .. يدخل ماسح الأحذية مندفعا وينحنى على يد المحقق** »

ماسح الأحذية : فى عرضك ياسيدى .. أنا لم أفعل شيئا .. ليس لى علاقة بأحد .. أقبل يدك ياسيدى لاتفعلوا بى شيئا .. أنا رجل مسكين .. لا أسمع .. لاارى .. لا أتكلم .. لا تفعلوا بى شيئا من أجل امى المريضة وزوجتى وأولادى

المحقق : « **مقاطعا** » كلنا لدينا أمهات مريضات وزوجات وأولاد وإذا لم تكُف سأضطر إلى حبسك ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ماسح الأحذية : سمعا وطاعة ياسيدى .. سأسكت ولن أتكلم

المحقق : إلا إذا طلبت منك

ماسح الأحذية : انا خادمك ياسيدى

المحقق : ماذا تعرف عن السيد ؟

ماسح الأحذية : اى سيد ؟ .. كل زبائنى سادة

المحقق : ألا تعرف السيد ؟

ماسح الأحذية : من هو هذا السيد ؟ .. لا أعرف احداً بهذا الاسم

المحقق : الرجل الذى يمر بك كل صباح ويمسح حذاءه

ماسح الأحذية : آه .. تقصد صاحب الأحذية الفاخرة .. أهو سيد ؟

المحقق : بل اسمه السيد .. ماذا تعرف عنه ؟

ماسح الأحذية : خيرا ياسيدى .. ماذا فعل ؟

المحقق : الاسئلة مهنتى .. هل نسيت ؟

ماسح الأحذية : آسف ياسيدى .. لا أقصد .. لكنه رجل محترم لا يعقل ان يفعل شيئا لذلك نسيت نفسى

المحقق : لا تنسها ثانية والا نسيتها الى الأبد .. والآن قل لى ماذا تعرف عن السيد ؟

ماسح الأحذية : كل صباح اجلس فى محلى أرقب أحذية الغادين والرائحين

المحقق : هل ستحدثنى عن نفسك

ماسح الأحذية : عفوا ياسيدى .. إنها مجرد عادة .. ألمح السيد فى أول الشارع يلفت نظرى بخطواته البطيئة وحذائه الفاخر .. أظل أرقبه إلى أن يصل .. يحيينى بصوت لا أتبين عباراته .. لكن أرد تحيته .. ثم يجلس على الكرسى فى صمت حتى يغادره

المحقق : ألم يتحدث معك ؟

ماسح الأحذية : لم يحدث ياسيدى

المحقق : وأنت ؟ .. ألم تتحدث معه ؟

ماسح الأحذية : أبداً ياسيدى

المحقق : غريب أن يجتمع مصريان فى مكان ولا يتكلمان !

ماسح الأحذية : كنت أود الحديث لكنه لم يشجعنى

المحقق : اذن فلن تفيدنا بشىء ؟

ماسح الأحذية : ربما لم نتعارف ياسيدى لكن نشأت بينى وبين أحذيته ألفة

المحقق : أحذيته ؟

ماسح الأحذية : لديه اثنان فاخران واحد أسود والآخر بنى .. وآخران خفيفان لفصل الصيف وجميعها بحالة جيدة

المحقق : بحالة جيدة ؟

ماسح الأحذية : يبدو انه لا يرهقها بكثرة الاستعمال

المحقق : لا تهمنى أحذيته .. قل لى ما رايك فيه ؟

ماسح الأحذية : إنه إنسان طيب .. من يعتنى بحذائه لابد أن يكون كذلك

المحقق : ماسح أحذية وفيلسوف ؟

ماسح الأحذية : لقد كان سخيا ياسيدى يعطينى نصف جنيه كل مرة

المحقق : هل يمكنك أن تصفه ؟ .. كيف يبدو ؟

ماسح الأحذية : إنه يبدو .. ك .. ك .. لا أدرى ياسيدى فأنا لم أنظر إلى وجهه أبداً ..

المحقق : معقول ؟

ماسح الأحذية : صدقنى ياسيدى .. لا يوجد ما يدعو لذلك فلا يهمنى من الناس سوى احذيتهم

المحقق : « صائحا » اخرج « يخرج ماسح الأحذية مهرولاً .. المحقق فى وضعه المعتاد .. تسمع ضجة بالخارج »

— يجب أن أدخل

— لا دخول إلا بأمر

— يجب أن أقابل البك عندى معلومات هامة

— انتظر إلى أن ينتهى التحقيق

« تسمع غمغمة .. ثم صوت ضربات وأنات مكتومة .. المحقق يعتدل .. يدق الجرس .. يدخل الرقيب ١ »

المحقق : ما هذه الضجة ؟

الرقيب ١ : لقد أخطرت الأشخاص الذين طلبتهم سعادتك .. لكن هناك رجل أصرَّ على الحضور

المحقق : ربما لديه معلومات هامة .. أدخله أوّلا

الرقيب ١ : أمرك ياسيدى « يخرج الرقيب ١ ويدخل الرجل »

المحقق : من أنت ؟

بائع الصحف : بائع صحف ياسيدى

المحقق : ماذا تريد ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بائع الصحف : لدى معلومات عن القاتل الذى تبحثون عنه

المحقق : أى قاتل ؟

بائع الصحف : ذلك الذى أحضرتم أكثر من نصف الحى بشأنه

المحقق : تقصد السيد ؟

بائع الصحف : لا أعرف اسمه لكن كل ما أستطيع قوله هو أنى أكرهه

المحقق : « **باهتمام** » تكرهه .. لماذا ؟

بائع الصحف : يمر بى كل صباح .. يقف أمام الكشك للحظات .. يغمغم بشىء لا أفهمه .. عرفت فيما بعد من ماسح الأحذية أنها تحية الصباح .. يلقى نظرة على ما أعرض من صحف ومجلات .. يقرأ العناوين ثم يهز رأسه تلك الهزة اللعينة التى حفظتها وينصرف ..

المحقق : وماذا فى ذلك ؟

بائع الصحف : إنه رجل بخيل لم أر نقوده أبداً .. لم يشد منى جريدة أو مجلة .. عزائى أنى لم أره يحمل شيئاً يقرأ ..

المحقق : لا أفهم

بائع الصحف : لا يمكن أن يكون انساناً عادياً مادام لا يقرأ

المحقق : ربما لا يعرف القراءة ؟

بائع الصحف : كان يرتدى نظارة شمسية ويحمل حقيبة فاخرة

المحقق : وماذا فى ذلك ؟

بائع الصحف : من يرتدى نظارة شمسية ويحمل حقيبة فاخرة لابد أن يكون مثقفا

المحقق : ممكن أن يكون مثقفا ولا يقرأ

بائع الصحف : لا ياسيدى كل المثقفين يقرأون أو يدعون انهم يفعلون

المحقق : ربما يقرأ صحفاً أجنبية ؟

بائع الصحف : عندى منها لكنه لم يطلب .. انتظر ياسيدى .. أذكر ذات يوم انه سألنى عن اسم صحيفة أجنبية

المحقق : ما هو الاسم ؟ .. انطق ..

بائع الصحف : لا أذكره الآن ياسيدى .. كان ذلك من عدة شهور .. لا يحضرنى الاسم الآن وإن ذهبت وقتها إلى مكتب التوزيع لاسأل

المحقق : وبعد ؟

بائع الصحف : قالوا لى لا يوجد بهذا الاسم صحيفة أو مجلة أو حتى منشور سرى

المحقق : عجباً !

بائع الصحف : الذى افهمه ياسيدى أن كل انسان جاداً كان أو عابثا جريدته المفضلة اما هذا السيد فقد احترت فيه كان محايداً ففقدته كعميل .. ايضا فقدت ثقتى فى قدراتى كبائع .. لعل هذا سبب كرهى له

المحقق : إذن فأنت تكرهه .. القضية يمكن أن تأخذ بعداً آخر

بائع الصحف : لا ياسيدى .. الامر لم يتعد الكره فقط .. أقسم لك ياسيدى

المحقق : اذهب

بائع الصحف : أقسم لك ياسيدى

المحقق : « **يصرخ** » خذوه « **يدق الجرس** .. **يدخل الرقيب ١** » خذ هذا الغبى من هنا قبل أن أقتله « **الرقيب ١ يدفعه دفعاً إلى الخارج** .. **المحقق فى وضعه المعتاد للحظات ثم يعتدل** .. **يدق الجرس** .. **يدخل الرقيب ١** » ادخل رواد المقهى

الرقيب ١ : كلهم ؟

المحقق : طبعا ياغبى

الرقيب ١ : أمرك ياسيدى « **يخرج ثم يدخل حوالى عشرين شخصا فى آخرهم الرقيب ١**

المحقق : ما هذا ؟ أكل هؤلاء أكل هؤلاء كانوا موجودين فى المقهى ؟

الرقيب ١ : نعم ياسيدى

المحقق : ألم تتخير سوى وقت الذروة ؟

الرقيب ١ : بل هكذا حال المقهى يومياً وفى اى ساعة صباحاً أو مساء

المحقق : أهو مقهى سياحى ؟

الرقيب ١ : بل مقهى عادى

المحقق : وبه هذه الأعداد ؟

الرقيب ١ : انهم لا يفعلون سوى ذلك هذه الايام

المحقق : إنهم كثيرون .. أخرجهم

الرقيب ١ : اخرجوا « **يخرجون جميعا** »

المحقق : قسمهم إلى فئات وأحضر لى من كل فئة اثنين حتى لا تغرق السفينة ..

الرقيب ١ : أى سفينة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحقق : لا يهم نفذ ما قلت « **يخرج الرقيب ١** .. **تسمع ضجة عالية** .. « **يغطى المحقق أذنيه بيديه .. يدخل الرقيب ١** »

الرقيب ١ : تمام يافندم

المحقق : « **يعتدل** » أدخلهم « **يخرج الرقيب ١** .. **يدخل ستة أفراد** » باختصار شديد .. ماذا تعرفون عن السيد ؟

— : عرفناه منذ سنة

— : لم يلفت انتباهى

— : رجل ولا كل الرجال

— : المقهى به كثيرون

— : كل مساء كنا ننتظره

— : اجلس فى حالى لا علاقة لى بأحد

— : لم يحدث أن أخلف مساء

— : ولم يحدث أن أخلفنا نحن

المحقق : هل كان يحضر كل يوم ؟

— : كل يوم ياسيدى

المحقق : وأنتم ايضا ؟

— : ماذا لدينا نفعله سوى ذلك ؟

المحقق : هل كان يمارس لعبة ما ؟

— : لم نره يمسك ورقة لعب فى يده

— : أو يلقى بزهر

— : وإن كان يبدو من متابعته وتعليقاته أنه يعرف كل الألعاب ،

— : بل يجيدها

المحقق : لدى معلومات أنكم تشربون المخدرات فى المقهى

— : مخدرات ؟ أعوذ بالله !

— : الأمر لم يتعد الشيشة ياسيدى

— : مستحيل طبعا

— : من أين نأتى بثمنها ؟

— : أنت تعرف الحالة أكثر منا

المحقق : فلنؤجل هذا الأمر الآن . . أكان يشاركم شرب الشيشة ؟

— : لم نره قط يشرب شيشة

— : أو حتى سيجارة

— : برغم أنه يبدو مهما

— : ومعظم ذوى الأهمية يدخنون

— : بل ولا كوب شاى

— : أو حتى فنجان قهوة كالمثقفين

— : رغم أنه يتكلم مثلهم

— : كان يطلب كوبا من القرفة كل نصف ساعة

المحقق : قرفة ؟

— : فى البداية استغربنا الامر لكن التكرار أفقدنا الدهشة

المحقق : ماذا كان يفعل ؟

— : يجلس فى هدوء

— : يظل جالساً فى هدوئه

— : إلى أن تأتيه القرفة

— : عندما عرفه الجرسون كان يأتيه بها دون أن يطلب

— : يشربها فى صمت

— : إلى أن نسأله

— : وعندما يحدث

— : يتحدث كما لو كان له بالكلام قديم شوق

— : من حديثه ظننا طبيباً

— : بل محامياً

— : مهندساً

— : بل محاسباً

— : كان يعرف كل شىء

— : لم يحدث أن سألناه وقال غداً أجيبكم

— : لا أخفى عليك ياسيدى لقد أساء بعضنا الظن به

— : حسبناه عضواً فى المجلس

— : أو عيناً للشرطة

— : فهم كثيرون كما تعرف ياسيدى

— : وفى كل مكان منتشرون

— : لكنْ ظرفه

— : وسخاؤه

— : جعلنا نقبله كما هو

— : توطدت بيننا الصداقة منذ عام

المحقق : اذن أخبرونى عن عمله

— : لقد كان . .

— : ان . .

— : كان ماذا ؟

— : لا ندرى

— : لكن حقيبته الجلدية الفاخرة توحى بأنه طبيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— : بل محام

المحقق : ألا تدرون ما عمله ؟

— : لا ياسيدى

المحقق : أليس غريبا أن تعرفوه سنة كاملة ولا تعرفون عمله ؟

— : هو أيضا لم يسألنا عن أعمالنا

— : فلم نسأله عنه ؟

— : يكفى أننا نعرف بعضنا جيداً

المحقق : على الأقل اخبرونى باسمه ؟

— : اسمه السيد

المحقق : فقط ؟

— : السيد . . السيد

المحقق : السيد ماذا ؟

— : لا ندرى

المحقق : والاسم ايضا ؟

— : صدقنا ياسيدى

المحقق : أهذه هى الصداقة ؟

— : لقد صادقناه فقط

— : لم نجرِ معه تحقيقاً

— : لا يهمنا سوى هو

— : نراه من بعد السادسة مساء

— : إلى ما قبل التاسعة من نفس المساء

— : نلعب

— : ونتحدث

— : ثم نفترق على لقاء

— : كما قلت لكَ ياسيدى لا يهمنا سواه

— : لا يعنينا اسم أبيه

— : أو جده

— : نحن نتعامل معه

— : التعامل معه متعة

— : ننسى الزمان والمكان

— : ننسى أنفسنا

— : آه لو كنت معنا ياسيدى

— : وسمعت تعليقاته

المحقق : أية تعليقات ؟

— : عفوا ياسيدى نحن فى المقهى لا نفعل شيئا سوى الكلام

— : هذا شأننا فى كل مجلس

— : نحكى عن كل شىء

— : بصدق

— : أحيانا بدون

— : كل منا يضيف من عنده ما يؤكد روايته

المحقق : أية رواية ؟

— : نحن نتحدث فى موضوعات الساعة

المحقق : الساعة ؟ . . أى ساعة

— : السياسة

— : الأسعار

— : الأحزاب

— : شركات التوظيف

— : الاقتصاد

— : طبعا تفهم ما نعنى ياسيدى

— : فهذا هو كل ما نملك إنها متعة الحياة الباقية

المحقق : هل كان السيد يشترك معكم ؟

— : عادة . .

— : كان لاذع العبارة

— : بارع البيان

— : قوى الحجة

— : ودائما يخبرنا بأشياء تثبت صحتها فيما بعد

المحقق : كفى . . كفى « **يدق الجرس .. يدخل الرقيب ١** » أخرجهم بل احبسهم على ذمة التحقيق

— : الرحمة ياسيدى

— : ماذا فعلنا ؟

المحقق : لقد فعلتم شيئا وسأعرفه « **للرقيب ١** » خذهم « **يخرجون جميعا** ، **لابد أن أقبض على أحد ما ... وإلا سأجنّ ..** « **إظلام** »

المشهد الخامس

« **يدخل الرقيب حاملا سلة كبيرة بها قصاصات ورقية** »

الرقيب ١ : رد الاشارة ياسيدى

المحقق : « **يعتدل** » رائع .. الآن سأحل هذا اللغز

الرقيب ١ : يجب ياسيدى فقد طال الأمر

المحقق : مؤكد توجد جهة ما تعرف شيئا عن السيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« **للـرقيب** » اجلس « **الـرقيب ١ يجلس القرفصاء والسلة أمامـه .. للطابـع على الآلة الكاتبة** » ضع ورقة جديـدة « يرفـع الطابع الورقة من الاسطوانة ويسحب ورقة من الـرزمـة التى بجـواره .. يضعهـا فى الاسطـوانـة .. يحـرك الـذراع » فى تمـام الساعة .. من اليوم .. من سنة .. ورد لنـا ردود الجهات على اشـارتنا رقم بتـاريخ .. بخصوص طلب معلومات عن السيد ..

الرقيب ١ : سأملى الجهة وأنت عَلى الرد

الرقيب ١ : حاضر ياأفندم

« المشهد حتى نهايته نداء من المحقق ورد من الرقيب ١ مناولاً الورقة له فينظر فيها ثم يرميها فى الهواء .. تزيد سرعة إيقاع المشهـد وتتلـون الاصـوات الخـاصـة بالمحقق والرقيب ١ والآلة الكاتبة لتصبح اشبه بوصلة طرب »

المحقق : مديريات الأمن بالمحافظات

الرقيب ١ : لا

المحقق : شعب البحث الجنائى

الرقيب١ : لا

المحقق : مصلحة الامن العام

الرقيب ١ : لا

المحقق : شعبة النشاط المضاد

الرقيب ١ : لا

المحقق : أقسام الشرطة

الرقيب ١ : لا

المحقق : رؤساء المجالس المحلية

الرقيب ١ : لا

المحقق : المحافظون

المحقق : أعضاء المجالس القومية المتخصصة

الرقيب ١ : لا

المحقق : المستشفيات العامة

الرقيب ١ : لا

المحقق : المستشفيات الخاصة

الرقيب ١ : لا

المحقق : المستشفيات الفندقية

الرقيب ١ : لا

المحقق : العيادات

الرقيب ١ : لا

المحقق : الصيدليات

الرقيب ١ : لا

المحقق : المساجد

الرقيب ١ : لا .. والله أعلم

المحقق : الكنائس

الرقيب ١ : شرحه

المحقق : المعابد

الرقيب ١ : كسابقه

المحقق : البوتيكات

الرقيب ١ : لا

المحقق : المسارح

الرقيب ١ : لا

المحقق : دور السينما

الرقيب ١ : لا

المحقق : الملاهى الليلية

الرقيب ١ : لا

المحقق : الشقق المفروشة

الرقيب ١ : لا

المحقق : سيدات المجتمع

الرقيب ١ : لا

المحقق : رجال الأعمال

الرقيب ١ : لا

المحقق : الأندية الرياضة

الرقيب ١ : لا

المحقق : « يقفـز من على مكتبـه نحو الـرقيب ١ .. يطرحه أرضا .. ينتزع باقى الأوراق والسلة منه ويقذف بها لأعلى » أنت مقبوض عليك .. سلم نفسك لنوبتجى الحجز ..

الرقيب ١ : « يزحف على يديه وركبتيـه « تمام يـاافندم **« يتجه نحو البـاب المحقق يتجه نحـو كرسيه ويجلس**

« إظلام »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المشهد السادس ..

« يدخل الرقيب ٢ الجديد .. »

الرقيب ٢ : إنها بالخارج ياسيدى ..

المحقق : من ؟

الرقيب ٢ : المرأة ..

المحقق : أيهن ؟

الرقيب ٢ : التى تأتى كل يوم ..

المحقق : كلهن يأتين كل يوم

الرقيب ٢ : زوجة السيد

المحقق : « معتدلا » ادخلها « يخرج الرقيب ٢ .. تدخل الزوجة .. يلاحظ انها بدأت تعتنى بنفسها »

الزوجة : ما الأخبار ياسيدى ؟

المحقق : أى أخبار ؟

الزوجة : أخبار زوجى

المحقق : أجلسى .. ما زلنا نواصل البحث « تجلس باسترخاء على الكرسى »

الزوجة : مر أسبوعان

المحقق : لا مبرر للقلق

الزوجة : كيف ياسيدى ؟

المحقق : فى هذا الزمان الاختفاء لأقل من شهر لايعتبر اختفاء

الزوجة : إنك تهون من الأمر

المحقق : إنى أواسيك

الزوجة : بكلمات ؟

المحقق : ليس لدى غيرها « ينظر إليها بإعجاب » على الاقل فى الوقت الحاضر

الزوجة : إنى أحضر كل يوم

المحقق : لا داعى للتعب

الزوجة : كيف ياسيدى ؟

المحقق : ارتاحى .. « ببطء » ولو أننا سنفتقدك

الزوجة : كيف أرتاح ؟ .. إنه زوجى « صمت » ثم ماذا سيقول الناس ؟

المحقق : حضورك لن يفيد

الزوجة : دعونى أبحث معكم

المحقق : هناك ما هو أفضل

الزوجة : أنا تحت أمرك

المحقق : مؤكد

الزوجة : ماذا قلت ياسيدى ؟

المحقق : لا شىء .. حديثنا عن السيد ..

الزوجة : ماذا تريد أن تعرف ؟

المحقق : شكله ؟ .. ملامحه ؟

الزوجة : كان طويل القامة .. ممتلىء الجسم فى غير سمنة ..

المحقق : هه ..

الزوجة : ــ هه « ماذا »

المحقق : أليس هناك شىء آخر ؟

الزوجة : أليس فى هذا الكفاية ؟

المحقق : ما لون شعر رأسه ؟ .. إن كان له شعر

الزوجة : لا أدرى ..

المحقق : ما لون عينيه ؟

الزوجة : لا أدرى

المحقق : هل بوجهه أية علامات ؟

الزوجة : لا أدرى

المحقق : هل بجسمه علامات مميزة ؟

الزوجة : لا أدرى .. آه تذكرت ياسيدى توجد وحمة بأعلى الفخذ الأيمن ..

المحقق : هكذا !

الزوجة : لا تخجلنى ياسيدى

المحقق : ألا يوجد شىء آخر ؟

الزوجة : لا ياسيدى

المحقق : ألا تستطيعين أن تصفى زوجك بعد سنة من الزواج ؟

الزوجة : كانت نقوده لا تجعلنى أرفع رأسى نحوه ..

المحقق : نعم الزوجة .. أكملى ..

الزوجة : كان هادىء الطباع .. خفيض الصوت .. لم ينفعل قط برغم أخطائى ..

المحقق : لا توجد امرأة لا تخطىء

الزوجة : منذ تزوجنا لم أر منه ما يسىء

المحقق : كلنا نبدو حكماء بعد الزواج

الزوجة : كل صباح يترك لى نقوداً .. لم ينس قط ..

المحقق : ذكى ..

الزوجة : وعندما يعود ظهراً يتناول ما يجده .. أحيانا .. لايجد .. لكنه لم يشكُ ..

المحقق : عاقل ..

الزوجة : ثم يستريح قليلا وعندما تدق السادسة يغادر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المنزل ليعود بعد التاسعة بقليل .

المحقق : أكان يخرج مرتديا النظارة وحاملا الحقيبة ؟

الزوجة : الحقيبة فقط يا سيدى

المحقق : أكمل . .

الزوجة : نتعشى سويا ..

المحقق : دائما ؟

الزوجة : إنها وجبة مقدسة لكلينا .. وبعدها نقضى الليل

المحقق : كيف ؟

الزوجة : أسئلتك تحرجنى ياسيدى

المحقق : هذا تحقيق

الزوجة : وما دخل التحقيق فيما يحدث ليلا ؟

المحقق : إنك تعرقلين سير العدالة

الزوجة : « بدلال » لو لم تصر ! ..

المحقق : إنى أحاول أن أعرف أى شىء عن السيد .. ومن المصلحة أن تجيبى ..

الزوجة : أمرى لله ياسيدى

المحقق : كيف كان ليلكما ؟

الزوجة : رائعاً ..

المحقق : هل لديكما أولاد ؟

الزوجة : لا

المحقق : إذن

الزوجة : ليس الأمر كما تظن ياسيدى

المحقق : لم أظن شيئا بعد

الزوجة : إنه رجل .. بل أكثر من رجل

المحقق : إذن ما السبب ؟

الزوجة : كنت أظنه هو .. لكن ما يحدث يكذب ظنى

المحقق : أمتأكدة مما كان يحدث ؟

الزوجة : سيدى أنا لست صغيرة أو قليلة التجارب

المحقق : ألاحظ ذلك

الزوجة : إذن ؟

المحقق : مجرد سؤال للتأكد

الزوجة : استطيع التمييز جيدا فى مثل هذه الأمور

المحقق : ما علينا . . أكمل . .

الزوجة : أعيانى التفكير فاكتفيت بالمتعة ولم يعد هذا الأمر يقلقنى ..

المحقق : استسلام ورضى بالقضاء ؟

الزوجة : بعد نظر ياسيدى

المحقق : بعد نظر ؟

الزوجة : لو حدث له شىء سأكون وريثته الوحيدة

المحقق : رائع

الزوجة : أنا لا أحاول أن أخفى عنك شيئا

المحقق : أحيى صراحتك

الزوجة : لقد انتهى زمن المراوغة

المحقق : حدثينى عن عمله

الزوجة : عمله ؟

المحقق : أين يعمل ؟

الزوجة : إنه لا يعمل .. إنه رجل أعمال

المحقق : ما طبيعة هذه الأعمال ؟

الزوجة : وهل هناك رجل أعمال يعلن عن أعماله ؟

المحقق : عدنا إلى اللف والدوران

الزوجة : صدقنى ياسيدى

المحقق : يبدو أنك تخفين شيئا

الزوجة : إنى لا أدرى حقا

المحقق : لا تنسىْ أن هذا تحقيق

الزوجة : أقسم لك ياسيدى

المحقق : ألا تعرفين طبيعة عمل زوجك ؟

الزوجة : كيف أسأله ؟ هل أجرؤ ؟ .. ربما كنت أفعل لو كانت أحواله المادية على غير ما يرام

المحقق : شكرا على تعاونك ياسيدتى .. يمكنك أن تذهبى وسأتصل بك إذا جد جديد

« تنهض .. يصافحها .. يستبقى يدها فى يده للحظات .. تخرج الزوجة فى بطء .. المحقق يتابعها بنظراته حتى تختفى .. يجلس جلسته .. المعتادة للحظات .. يخاطب الطابع على الآلة دون أن ينظر اليه

« كفى .. » مازال صوت الآلة مستمراً »

قلت كفى . انصرف .. « يتوقف صوت الآلة يسمع صوت تحريك الذراع وسحب الورقة .. تبرز يد الطابع لتضع الورقة على كومة الأوراق التى غطته تماما هو وآلته .. يسمع صوت زحزحة الكرسى .. الطابع يتجه نحو الباب زاحفا على يديه وركبتيه .. مهلهل الثياب .. طويل الذقن .. بعد أن يخرج ينهض المحقق متجها ناحية منضدة الطابع .. يتناول ورقة ويقرؤها » محضر التحقيق فى واقعة اختفاء المواطن السيد .. « يلقى بالورقة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لأعلى .. يبدأ فى بعثرة الأوراق ببطء شديد وهو يتحدث .. تخفت الاضاءة تدريجيا حتى تظلم تماما مع نهاية المشهد »

كلمات .. كلمات .. دوائر لا تنتهى من الكلمات .. أسوأ ما فيها أنها مجرد كلمات .. أحرف متجاورة .. لكنها بلا معنى .. لا شىء حقيقى .. لا شىء مؤكد .. الأقوال .. الأفعال .. البيانات .. المعلومات .. التحريات .. الملفات .. لا يوجد سوى حقيقة واحدة وهى أن هذا اللعين اختفى .. من أين جاء ؟ .. لا أدرى .. زوجته أيضا لا تدرى .. وأصدقاؤه لا يدرون .. لا أحد يدرى .. إلى أين ذهب ؟ .. لا أدرى .. ولا أحد يدرى .. الأمر محير .. يبدو مستعصياً على الحل .. طنين برأسى لا يتوقف .. صداع مستمر .. يكاد رأسى ينفجر .. لم أمر بهذه الحالة من قبل .. أهى أعراض الفشل ؟ ربما .. لكن هل معنى ذلك أن أعلن فشلى ؟ .. إنه خاطر أحمق لا يجب أن يستمر .. وإن حدث لايجب أن أعلنه .. أنا لا أفشل قط لم يحدث ولن يحدث .. سأنهى هذا الملف بأى وضع .. إن لم أفعل سيطلب رؤسائى ذلك .. يجب أن افعل لأحافظ على سمعتى المهنية .. ابحث لأضعها فى كشف النشاط لهذا الشهر .. لكن ماذا عن السيد ؟ .. اللعنة على السيد .. اللعنة على كل السادة .. لا يوجد شىء اسمه السيد .. هذا السيد لا يجب أن يكون سوى ملف لا أكثر .. وسأنهيه كما يجب .. سأقول إنه أصيب فى حادث وفقد الذاكرة .. لكن كل التقارير الواردة ليس فيها ما يدل على ذلك .. ربما قتل .. ليس لدينا أى جثث مجهولة .. أو حتى جزء من جثة . **يستند على المكتب بمرفقيه وظهره للجمهور .. يسند رأسه بكلتا يديه ثم يستدير وهو يقفز »**

وجدتها — وجدتها ! سأجعله جاسوساً .. تخمين أقرب إلى الواقع .. لديه مال لا يعرف مصدره .. ولا يعرف له عمل محدد .. أيضا لا توجد تقارير بالنفى أو الإيجاب .. سأجعله جاسوساً أحسَّ بقرب افتضاح أمره فهرب خارج البلاد .. رائعة تلك النغمة .. يجب العزف عليها جيداً .. لا يهم كيف خرج .. فهذه أمور تحدث كثيراً .. سأقول إنه هرب بأسرار خطيرة .. أى أسرار ؟ .. كل أمورنا معلنة .. عموماً لن يسأل أحد عن هذه الأسرار .. عادة توارثناها .. وإن حدث فلن نجيب .. فالأسرار يجب ألا تعلن .. وإلا فلم سميت كذلك ؟ .. سأقول إنه التجأ إلى الأعداء .. أى أعداء ؟ .. لا يهم .. كل نظام له أعداء .. لا يوجد نظام بلا أعداء .. ليصبح الأمر مثيراً سأقول إننا تمكنا من القبض على شركائه متلبسين .. واعترفوا جميعا .. رواد المقهى يصلحون لهذا الدور .. سأقول إنه ضلل بعض أفراد جهازنا .. جعلهم يعملون لحسابه .. الرقيب الغبى .. يصلح لهذا الدور .. خيرا فعلت بحبسه .. الآن اكتمل التصور العام لما كان يجب أن يحدث .. بالطبع سيستدعى الأمر اجراء بعض التعديلات فى الأقوال بالحذف أو الاضافة .. لا يهم فالورق كثير .. « **ينتهى من القاء آخر ورقة .. يسير نحو منتصف مقدمة المسرح .. يواجه الجمهور .. يجلس على الأرض جلسة الكاتب المصرى الشهير ويسود المسرح ظلام** » . **تستمر إشارات مورس لمدة نصف دقيقة ثم تتوقف .. لا يهم أن تضاء الأنوار فيمكن — بالتعود — الخروج والحركة خلال الظلام** »

القاهرة : ممدوح راشد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حامد ندا

.. طير البرارى

من المأساة الاجتماعية إلى الملهاة الميتافيزيقية

◆ عز الدين نجيب

● ● توقف ديك البرارى عن الصياح ، وسكت عن الكلام غير المباح — توقفت الفرشاة الجرئية عن فضّ أسرار ما خلف سور العقل وأستار الخدور ، عن تحطيم طواطم الأخلاق وقماقم الغريزة ، عن كشف مخابىء ذكريات الطفولة ورموز الخرافة الشعبية .

توقف القلب الطفلى النزق ، ذو الصبوات المارقة على السلوك البرجوازى المعلّف بورق السيلوفان ، إذ كان يعى لعبة الحياة العبثية (المأساة — الملهاة) التى يلعب دور البطولة فيها ممثل اسمه القدر ، فكان رسامنا هو شاعرها الساخر ، وكان أيضا ضحيتها ، إذ أن موته كان ذروة المأساة العبثية ، فمن بين ثلاثة وخمسين مليونا من المصريين كان هو الوحيد الذى دفع حياته ثمنا لحادث عرضى تافه يحدث كل يوم بلا ضحايا .. هو انقطاع التيار الكهربائى !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● **جيل الجماعات الفنية :**

كان حامد ندا خيط العقد فى جماعة « **الفن المصرى المعاصر** » فى الأربعينات ومفكرها المتفتح على الثقافات الأوربية الوافدة على مصر آنذاك ، والمنقب فى موروث الثقافة الشعبية بحثا عن الأصالة والخصوصية فكان أول لبنة فى بناء حركة سريالية ذات ملامح مصرية ، متزاملا مع رفيق الحى والصبا والشباب عبد الهادى الجزار ، ومعهما كوكبة من الموهوبين فى ذلك العمر الجميل .. عمر العشرين أو ما فوقها بقليل ، لكنهم صنعوا واحدة من أهم موجات التطور فى فننا التشكيلى المعاصر .. مثل : سمير رافع ، ماهر رائف ، ابراهيم مسعودة ، شهده ، وكان أغلبهم رفاقه بمدرسة فاروق الأول الثانوية ، وبشعبة الرسم فيها تحت أشراف أستاذهم وراعيهم حسين يوسف أمين ، الذى لم يتخل عنهم حتى بعد أن تخرجوا فى كلية الفنون الجميلة وأصبحوا فنانين مرموقين ..

كانت الجماعة بذلك هى الموجة الثانية فى ثورة الشباب على الأسلوب الأكاديمى والفن المحافظ ، بل حتى على جيل الرواد ، مكملة للموجة الأولى التى قادتها جماعة « **الفن والحرية** » قبل حلول عام ١٩٤٠ التى تزعمها يونان والتلمسانى وفؤاد كامل ، وكان قدرها

أن تصحح مسار « **الفن والحرية** » بفتح الطريق للموضوع الشعبى المحفوف بضفاف الأسطورة والميتافيزيقا والسحر ، لتخلق بذلك ملامح مصرية صميمة للحركة السريالية المتمردة بقيادة « **الفن والحرية** » التى كانت تنجرف فى اتجاه الفن الغربى شكلا ومضمونا . ولتعطى للفن — ربما عن غير قصد — بعدا اجتماعيا ، فكلمة الفن أصبحت ملازمة لكلمة المجتمع ، وأصبح انتماء الفنان إلى جذوره الثقافية وتراث شعبه التزاما سياسيا .

ولعل جماعة « **الفن المصرى المعاصر** » كانت وسط منظومة جيل الجماعات الفنية فى الأربعينات هى المؤهلة لخلق وتوطيد دعائم مدرسة مصرية صميمة ، تتفادى سيطرة المؤثرات الغربية المكتسحة لهويتنا ، لكن قوة الدفع فيها لم يكتب لها النمو والاستمرار لأسباب تاريخية معقدة ، منها غياب أبرز فرسانها ، وما أصاب المجتمع من تحولات جذرية .

وندا هو آخر حبات عقد الجماعة ، بعد أن مات الجزار عام ١٩٦٦ ، وهاجر رافع ومسعودة وشهدة وتاهوا فى دنيا الله الواسعة بلا حسّ ولا خبر ، وانكفأ رائف على عمله الأكاديمى كأستاذ بكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية مغتربا فى بلده ، متبرئا من الفن القائم على التشخيص ، لائذا بفردوس الخيار الدينى وبحروف الكتابة المجردة ... أما ندا فقد نفى الاغتراب بمزيد من الإنتاج ، وقاوم قبح الحاضر بخيالات الماضى وعرائس الأحلام ، وتجاوز الصمم بالتصنت إلى دبيب الحياة الخفى ، والتعبير بالرسم عن هدير الصمت ، وظل مشرعا فرشاته فى مرسمه بوكالة الغورى ،

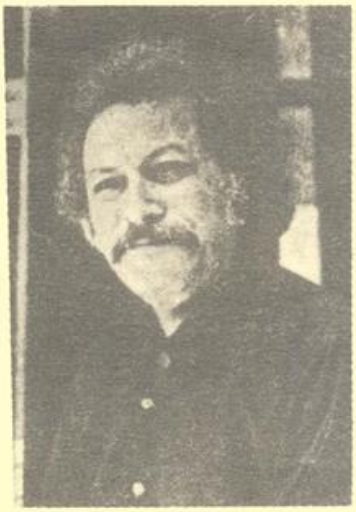

حتى آخر يوم فى يقظته ، قبل أن يغتاله الموت الذى تسلل فى ظلام القاهرة مثل القط الأسود الذى اعتاد أن يرسمه متخفيا كاللص ، غادرا تطلّ من عينيه الخيانة ، فى ذلك المساء من شهر ابريل ، حين تعثرت قدمه فى مكان ما بالمبنى ليقضى فجاءة شهر بغرفة الانعاش بالمستشفى مصابا بالشلل النصفى والباولينا ، قبل أن تفيض روحه فجر يوم ٢٧ مايو ١٩٩٠ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● **عالم الطفولة** :

ولد حامد ندا عام ١٩٢٤ بحى الخليفة بالقلعة لوالد متدين ميسور الحال ، يقوم بالاشراف على عدة مساجد ، وعاش طفولته بالحى الشعبى العتيق فى شبه متحف انثروبولوجى مفتوح ، محاطا بمظاهر متناقضة من التدين إلى الخلاعة ، ومن التفتح إلى التخمة ، ومن الجوع إلى التخمة ، ومن أمجاد التاريخ إلى حضيض التخلف واستمع إلى حواديت العجائز المليئة بالخوارق والسحر والجان والديوك المذبوحة والقطط ذات الأرواح السبعة . ووسط أنماط العمارة المملوكية والسرايات التركية والأسبلة العثمانية ومساجد الأولياء والمقاهى المعتمة داخل البواكى الأثرية ، شاهد أفواج القادمين من أقاصى الريف ، من العاطلين الجياع ، ملتاثين فى هستيريا حلقات الذكر ، أو مغيبين فى غيبوبة اليأس أو الجوع أو الانتظار الأبدى لخلاص ما .. واختزن مع هذه الصور ، صورا أخرى للموالد المزدحمة بما تحتويه من ألاعيب السيرك الشعبى والمهرجين والأراجوز وصندوق الدنيا والفوتوغراف العتيق يذيع أغانى العشرينات والثلاثينات المليئة بالتأوهات جنبا إلى جنب قصائد المديح النبوى ، ووسط الزحام تندسّ النسوة والفتيات بملاءاتهن المحبوكة على قوام متفجر ، فواحات بعبق الأنوثة ، موقظات بداخله بواكير إحساسه المراهق بالجنس ، وذلك الذى لم تنطفىء جذوته فوق ريشته طوال مراحله الفنية ولم يفتر بداخله حس الاكتشاف المنبهر تجاهه .

● **مرحلة الأربعينات** :

هذا العالم كان الينبوع الأول والدائم لفنه ، فكانت لوحاته المبكرة منذ ١٩٤٦ انعكاسا لرؤاه قبل أن يكتشف عالم السريالية وعندما سمع عنها وشاهد أعمال روادها وقرأ لفرويد ويونج وأدلر عن العقل الباطن ومخزون اللاوعى والتحليل النفسى ، كان يشعر أنه يكمل ما قرأه فى كتاب طفولته وصباه وما عبر عنه بالفعل فى رسومه ، التى اتسمت منذ البداية بنوع من القدرية الباهظة والسكونية الجامدة ، وبدرجة كبيرة من الخشونة والغلظة فى نسب الأجسام وأحجام الأيدى والأرجل ، وأجرام الأشخاص حتى بدت كالأصنام المنحوتة ، وهى جالسة على مقاعد من أغصان محشوة بالقش ،

فى أوضاع تعكس البؤس والغيبوبة والاستسلام ، محاطة برموز خرافية تشبه الوشم ، لحشرات وطيور وحدوات وكفوف وأسماك وقطط ومصابيح كيروسين وأزيار ماء ... امّا النسوة فكن عاريات أغلب الأحيان ، أجسامهن كتل وحشية مهوشة الشعر كأشجار برية ذات نداء جنسى فاغم .

كانت السمة العامة لهذه الرسوم هى البدائية الساذجة التى تناسب مضامينها ورموزها الخرافية ، وهى سذاجة فطرية طازجة لا أثر فيها للتصنع أو الحرفية ، ويلعب عنصر الخط غالبا الدور الأساسى فى تشكيل هذا العالم ، مع تأكيد للمنظور الثلاثى الأبعاد للوحة وعلى الاستدارة الأسطوانية للأشكال عن طريق الظلال ، لكنه تفادى إغراء التفاصيل الجزئية التى يقود اليها هذا الاتجاه ، وجعل همه الأكبر رسوخ التكوين وترابط عناصره وابراز الحس التعبيرى .

نذكر من أعمال هذه المرحلة لوحات « ظل القبقات » ، « الطيور » « داخل المقهى » ، « ونام » « الحمام الشعبى » ، « المولد » .

ونلاحظ فى تلك الأعمال وغيرها تشابها كبيرا فى موضوعاتها وأسلوبها مع أعمال الجزار فى نفس المرحلة . واذا كان الجزار أكثر امتلاكا للحرفية وللقواعد الأكاديمية آنذاك ، فإن ندا كان أكثر جرأة على تحطيم تلك القواعد ، وعلى ارتياد منطقة المعتقدات الشعبية بما فيها من أبعاد خرافية ، لكنهما فى النهاية يشتركان — بتكامل وتنافس معا — فى تأسيس لغة جمالية وتعبيرية جديدة ،.وسرعان ما استقل كل منهما بأسلوبه المتميز قبل نهاية الأربعينات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مرحلة الخمسينات :

اكتشف ندا — مع أوائل الخمسينات — القيم الجمالية للتصوير المصرى القديم ، بنزوعها الى التصفيف والتسطيح والحركة الإيقاعية المنتظمة بواسطة الأوضاع الجانبية للوجه وحركات الأذرع والسيقان ، وبما تحدثه من علاقات توافقية وتبادلية ، أو طردية وعكسية بين عناصر التكوين ، وقد شغف حبا بهذا النسق الجمالى ، الذى وجد فيه انسجاما مع نسق الرسوم الشعبية على الجدران ، الذى استهواه من قبل وتأثر به فى رسومه ، كما وجد فيه إمكاناً للتعايش مع الأنماط الطوطمية — الطقوسية من فنون الكهوف والفنون الزنجية البدائية وما يحيطها من ملامس سطوح الجدران الخشنة بألوانها المتآكلة بفعل الزمن وعوامل التعرية .

كانت تلك المنظومة الجمالية التراثية هى الخلفية لتحوله البنائى فى مرحلة الخمسينات ، فتحرر شخوصه من جمودهم وسكونيتهم واستسلامهم القدرى ، كما تحرروا من أجرامهم الثقال وأطرافهم الغلاظ ، دبت فيهم الحركة ، وصاروا أقرب إلى الرشاقة والانسيابية ، وتلاشى الحس المأساوى من سيماهم وحركتهم ليحل محله حس غنائى إيقاعى راقص .

استفاد فى تحقيق ذلك كله ، بجماليات الفنان الفرعونى والشعبى

والبدائى ، فألغى المنظور الهندسى (البعد الثالث) وأصبح التسطيح ليس فى اختفاء العمق فحسب بل أيضا فى اختفاء التجسيم الاسطوانى للأشكال ، وأصبح الوضع الجانبى للأشخاص هو المفضل دائما لديه ، مع الاهتمام بحركات الأذرع والأيدى والسيقان العارية ذات اللون البنى الدافىء الذى يحاكى لون الأجسام الفرعونية ، التى يعمد الى تشويه نسبها بمفهوم أقرب إلى الفن البدائى والشعبى . ومع اعتنائه بالألوان القويّة (من الأخضر الفيروزى الى الأزرق البروسى والأحمر الطوبى على أرضية رمادية متآكلة ذات ملمس خشن) فإنه أضفى على هذه الألوان نوعاً من الشفافية والهمس ، بينما راح يوشّى حواف الملابس والخلفية وبعض العناصر بوحدات زخرفية على نمط المتواليات الشعبية فى الموسيقى ، يقوم المثلث فيها بالدور الرئيسى لصنج « زجزاج » لا يكف عن الحركة والوميض على سطح اللوحة .

أما عن مضامين لوحاته فى تلك الفترة فكانت تدور غالبا فى اطار علاقة حب رقيقة أو تعبيرا عن الخصب أو السلام أو العمل ..

وظهر الديك لأول مرة فى أعماله آنذاك ، ليس رمزا للتضحية الدموية كما كان فى رسوم الأربعينات ، بل رمزا للشقاوة والذكورة والاخصاب ، إنه المعادل الموضوعى للرجل ، نراه ملازما للمرأة أو محلقا فوقها .

كما ظهر زير الماء ، رمزا للارتواء أو للأسرار الدفينة .

من هذه اللوحات « حديث المحبين » ١٩٥٥ ، « أنشودة الصباح » ١٩٥٦ ، « الفجر » ١٩٥٨ .

وثم ما يدعونا الى الاعتقاد بأن الحس الأسطورى — القدرى لم يفارقه وثمّ حتى فى تلك المرحلة ، وان اكتسى بطابع شعرى رقيق على عكس المرحلة السابقة وهو يتضح بشكل خاص فى لوحة « الفجر » التى تبدو فيها الفتاة المستلقية أقرب إلى مومياء ملكية فى تابوتها ، الذى ينقره ديك أبيض رمزا للبعث ولوحة أخرى عام ١٩٦٠ هى « الليل والنهار » قسم فيها المستطيل الرأسى للوحة إلى شريط طولى أسود يخترقه مصباح كيروسين ، فوق مستطيل رمادى أكبر يخترقه قط أرقط يتسلل مثيرا للمخاوف ، على خلفية من رموز شعبية تشبه الرقى والتعاويذ .

● مرحلة الستينات :

امتلك ندا خلال هذا العقد أهم خصائصه التشكيلية والتعبيرية ، ونجح فى نسيجه المركب مخصبات الفنون التراثية مع عالمه الأسطورى والشعرى ، فى الوقت الذى اتسع عالمه لواقع المجتمع الناصرى بشعاراته عن العدالة الاجتماعية .

هذا ما نلمسه بشكل قوى فى لوحة « العمل فى الحقل » ١٩٦٢ التى تعكس استلهاما واضحا للفن المصرى القديم ، من خلال صفوف الفتيات المنحنيات بملابسهن الزرقاء يبدرن الحب ، وحركة أذرعهن وسيقانهن تصنع متوالية إيقاعية راقصة بلونها الطوبى ، فى صفوف رأسية متتابعة فوق مجموعة مكونة من الرجل والحمار والفتاة والطفل أسفل اللوحة ، بينما نتقابل العنزتان بلونهما الأبيض فى أعلى اللوحة مع الحمار الأبيض فى أسفل من اليمين ، وتتقابل الفتاة على اليسار مع مجموعة الفتيات بأعلى من اليمين .. هكذا تتحقق حركة تبادلية شديدة الحيوية والرشاقة والتعقيد والبساطة فى آن واحد ، على إيقاع العمل النبيل فى الحقل .

وهذا ايضا ما نجده بدرجات متفاوتة فى لوحات « آدم وحواء » و « أفريقيا » ١٩٦٣ التى تعكس قيمة حركة التحرر الوطنى فى الستينات .. وقد ظهر عنصر السمكة فى تلك المرحلة رمزا للخصب والخير . ويلفت الانتباه ولعه الشديد بالملابس الخشنة ، وميله إلى تحليل الأجسام البشرية تحليلا فنيا يستوحى فيه أسلوب الأقنعة الأفريقية والنحت الزنجى بما فيه من مبالغات وتشويه .

ومع نهاية الستينات تصفو لوحاته من خشونتها الضارية وتشف الوانها تحت فيض من النور يتسرب اليها من مصدر مجهول ، فتبدو لنا وكأنها تحت غلالة حرارية شفافة ، وتكتسب أجسام النسوة رشاقة ورقة ، على عكس أجسام الرجال التى أصبحت قزمية طوطمية طائرة لا مستقر لها ، بينما يمتلىء السطح جميعه بعناصر زخرفية مستمدة من التراث الشعبى أو الفرعونى ، ويضج بموسيقى جياشة بالحيوية مثال ذلك لوحات « توأمتان » و « حسن ونعيمة » عام ١٩٦٩ .

وإذا تذكرنا أننا كنا آنذاك فى أعقاب حرب ١٩٦٧ والبلاد تجاهد لا ستراداد شرفها الوطنى فى حرب الاستنزاف وتحاول أن تتماسك وتتشبث بمقوماتها الحضارية التى تجعل من الهزيمة حدثا عارضا استطعنا أن نفهم تأكيد ندا على شموخ المرأة وسيطرتها على الفراغ تعبيرا عن الصمود والخصب وتجاوز المحن ، بينما يحاول الرجل القزم تجاوز عجزه بالصعود للالتحام بها ، ولنا أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نعرف — قبل أى شىء آخر — أن شخصية ندا كانت شخصية مسالمة تكره الحرب والعنف وتدعو إلى السلام والحب ، وهذا ما نرى آثاره على مجمل مسيرته الفنية .

● **مرحلة السبعينات والثمانينات :**

ينبغى الاعتراف بأنه يصعب تقسيم أعمال أى فنان الى مراحل زمنية مستقلة ، فإن رحلة الفنان بناء عضوى متماسك ومتداخل بعضه فى بعض وهذا ينطبق على ندا أكثر من أى فنان آخر ، لأن أعماله على امتداد أربعة وأربعين عاما تنويعات على لحن أساس واحد ، وكثيرا ما نراه فى مراحل متأخرة يعود إلى عناصر ورؤى سبق أن عالجها فى مراحله الأولى ، ولعله كان يجدر بنا أن نذكر هذا فى بداية تتبعنا لخطواته الأولى ومراحله المتعاقبة ، لكن القارىء سوف يدرك بسياق التطور أن ما نقدمه الآن ليس الا مرشدا تقريبيا عاما لبعض العلامات الأساسية على طريق حامد ندا .

وإذا عرفنا أنه منذ أوائل السبعينات بدأ يفقد قوة السمع فى أذنه الوحيدة التى كان يسمع بها ، تنبهنا الى سر الصفاء النورانى الشفيف الذى أخذ يتزايد فى لوحاته خلال تلك الفترة ذلك أنه كان ينزع السماعة عن أذنه فينعزل كلية عن العالم الخارجى ويصبح أكثر قربا وحميمية من عالمه الخيالى ومن صوته الداخلى وهو ما دفعه الى الانغماس أكثر فأكثر فى عالم الفانتازيا وإلى استدعاء عرائس الأحلام .

فى السبعينات يتصاعد الايقاع الراقص فى لوحاته على أنغام شرقية موقّعة ، والجمل الموسيقية تصنعها أجسام الفتيات الفارهات المتلويات فى مرونة الكاوتشوك واستدارته وكأنها تخلو من العظام مساحات اللوحات تزداد اتساعا وتميل إلى شكل المربع ، والمعالجات اللونية والملمسية تصبح أقرب إلى الجداريات .

تدخل إلى اللوحات عناصر جديدة : الحصان « الكتابات العربية .. الألوان الدافئة الناصعة .. قطع الأثاث القديمة من أرائك وكراسى .. قطع الملابس الداخلية .. ساعات الحائط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العملاقة .. الهرم الأكبر .. الفونوغراف القديم ذو البوق .. الثور .. الآلات الموسيقية النحاسية والدفوف والطبل .. ملامح من الأرابيسك والعمارة الشعبية ..

يزداد ايغالا فى عالم اللا معقول ، فى العلاقات اللامنطقية بين عناصر متنافرة .. يزداد اقترابا من عالم السيرك والأكروبات .. يرتفع حس الملهاة فى رؤيته للأشياء .. خطر لى أن هناك علاقة سببيَّة بين ازدياد نسبة الصمم فى أذنه وازدياد نسبة الرفض للعالم الخارجى والتهكم عليه وتقديمه فى شكل الملهاة .. ومن السهل أن يقوم أى واحد منا باختيار لنفسه فى ذلك وقد يصل الى نفس النتيجة .. فلو فتحت جهاز التليفزيون على تمثيلية جادة وأغلقت مفتاح الصوت ، وتأملت كيف يفتح الممثلون أفواههم ويغلقونها مشتبكين فى مواقف ميلودرامية دون أن تعرف ما يقولون ، وكيف تتغير المشاهد والديكورات فى سرعة دون أن تفهم سببا منطقيا لذلك ، فسوف تجد نفسك تضحك حتى ولو كان الموقف يدعو إلى الحزن ... هذا فى تخيلى ما كان يشعر به حامد ندا فى السنوات العشر الأخيرة على الأقل .. فلم يكن فقد القدرة فحسب على السمع بوضوح ، بل كان زاهدا فى سماع ما حوله ، الذى كان بالنسبة له نوعاً من التلوث السمعى ، مفضلا الاستمتاع بالدهشة الدائمة لكل ما يراه ، مطلقا لخياله العنان فى تخيل ما تنطق به الشفاه ، ولا ننس أنه كان يحمل بداخله دائما الطفل الشقى المشاكس ؟

مع هذا الخط يتصاعد خط المرأة — كامرأة وليس كرمز كما كان فى الماضى ، يتلمس مواطن الفتنة فيها ويبالغ فى استطالتها ورشاقتها ، ويكسبها أقصى ما تستقطب به الرجل من إثارة وخصب لكن بشكل سريالى يموج بالعناصر المتنافرة ، كالقط والديك والزير ، تلك العناصر التى استعادها من عالم الماضى ، ويزداد الخيال جموحا به وهو يضع المرأة مستلقية فوق حصان يشق الفضاء كحصان الريح فى ألف ليلة وليلة .

● أما فى أعماله فترة الثمانينات حتى أوائل التسعينات ، فإن حس التهكم والمفارقة يزداد مع ميل أكثر الى التطريب الشرقى الراقص على إيقاعات الدفوف والطبول وأنغام الآلات النحاسية ذات التلافيف والأبواق التى يعزف عليها العازفون القُرْع وهم متقابلون فى جلسة تذكرنا بطريق الكباش ، ولا نكاد نشعر بحضور للرجل إلا نادرا الى جوار المرأة الفواحة بزخم جنسى ، وهو ينظر نحوها باشتهاء ، ولعل اللوحة التى تجمعهما على مستوى واحد — بل وتضعه فى المقدمة — ذات طابع مأساوى ساخر . وهى بعنوان « القاهرة » رسمها عام ١٩٨٣ إذ نرى الرجل إلى جوار جسدها المنطرح أرضا تحت أقدام ثور عظيم الجرم ، يقف بدوره تحت سفح الهرم منتصرا وبجوارهم ما يشبه التابوت أو القارب الأجوف تطل منه عين تراقب فى حياد . ولا تخفى الدلالة الرمزية لما آل إليه حال القاهرة .

هكذا تتكثف الرؤية الفنية والتعبيرية عند ندا حتى نجد أنفسنا أمام ملهاة مأساوية فى عالم ميتافيزيقى ملىء بالعجائب .. للنساء فيها حضور الجنيات ، وللرجال فيها حضور الأقزام ، وللقطط حضور الأرواح الضالة والموت المتسلل ، وللثور حضور الأهرام ، وللساعة حضور الشاهد الأخرس ...

أما هو ... فيطل علينا من خلف هذا كله ، نازعا سماعته مبتسما فى سخرية محبة للحياة ، لا تعرف المرارة .. رغم كل ما يدعو إليها !

القاهرة : عز الدين نجيب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حامد ندا

.. طير البرارى

من المأساة الاجتماعية
إلى الملهاة الميتافيزيقية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

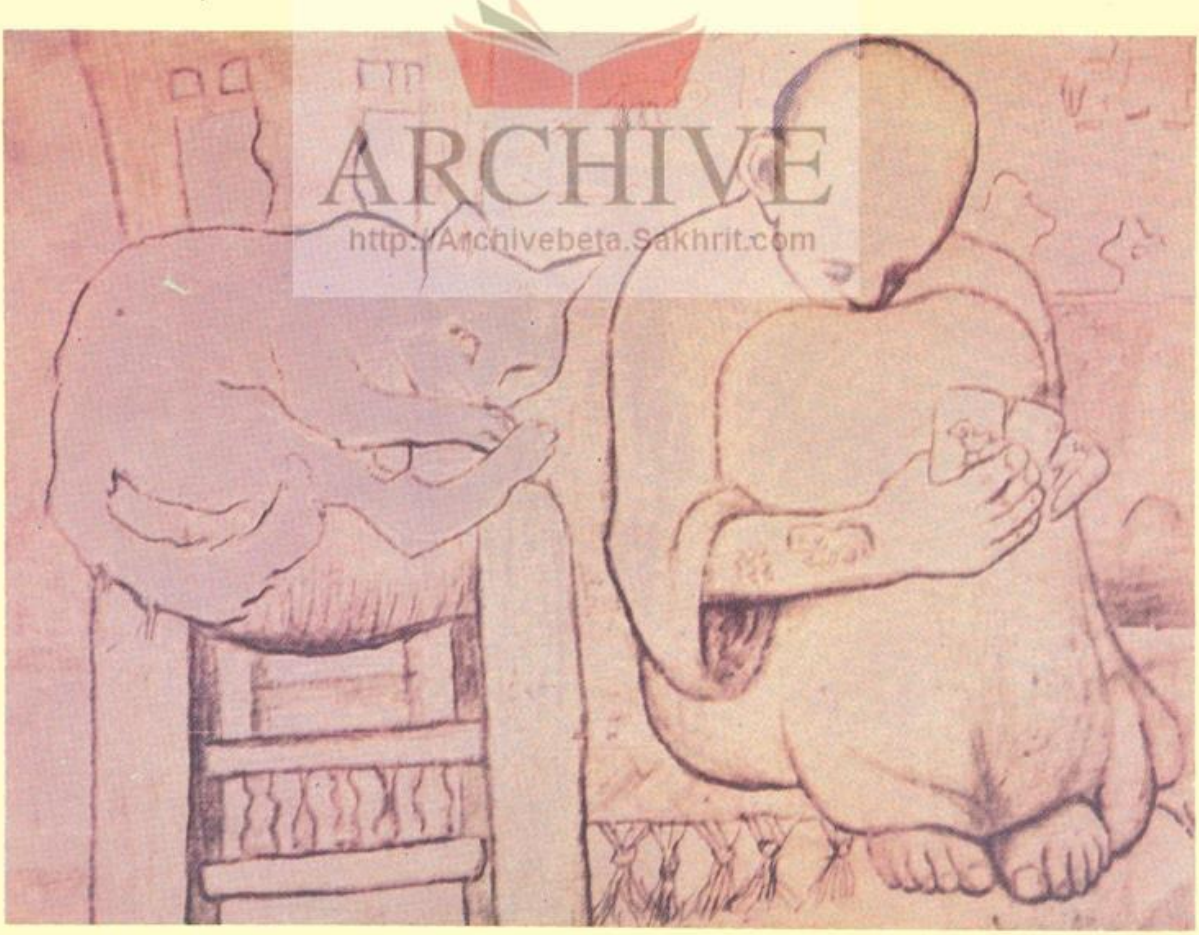

لوحة « داخل المقهى » رسمت عام ١٩٤٨ ـ مستخدما حبر شينى واقلام على ورق ـ ارتفاعها ٢٤,٥سم وعرضها ٣١,٥سم ـ وهى من مجموعة الفنان الخاصة .

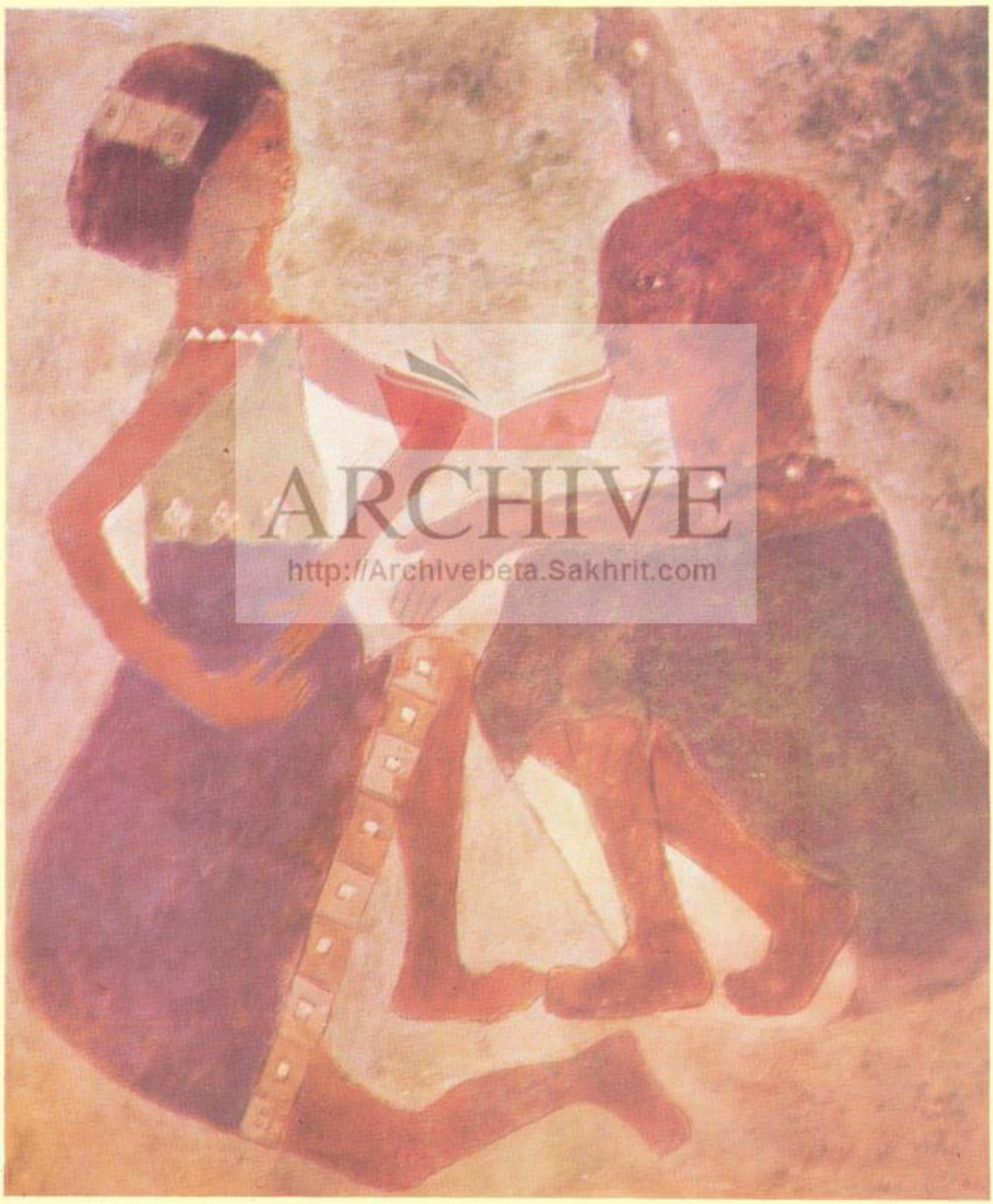

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوحة « حديث المحبين » رسمت عام ١٩٥٥ ـ
ألوانها اكريليك على ورق ـ أرتفاعها ٣٨ سم وعرضها
٣٣سم ـ من مقتنيات متحف الفن الحديث بالقاهرة ـ

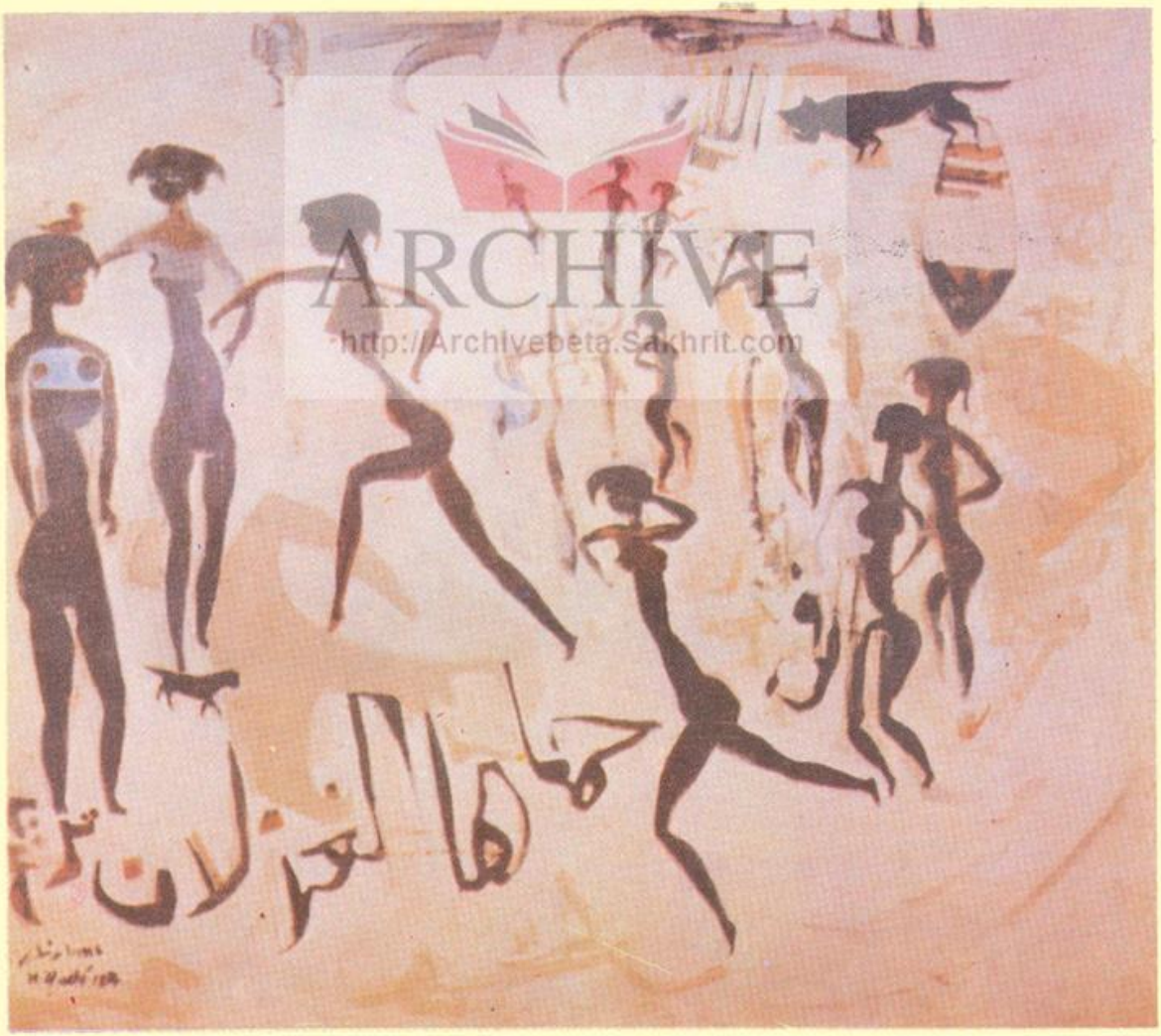

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوحة « ديناميكية وحماها الغزلان » رسمت عام ١٩٧١ ـ ألوانها زيتية على خشب ـ ارتفاعها ١٢٢ سم وعرضها ١٣٦ سم ـ من مجموعة الفنان الخاصة ـ

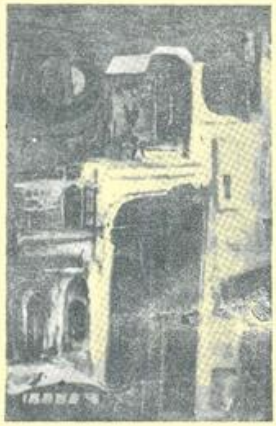

صورتا الغلاف :ـ للفنان حامد ندا

لوحة « العبور » رسمت عام ١٩٧٨ ـ الوان زيت
على خشب ـ ارتفاعها ١٠٠ سم وعرضها ٧٥ سم ـ

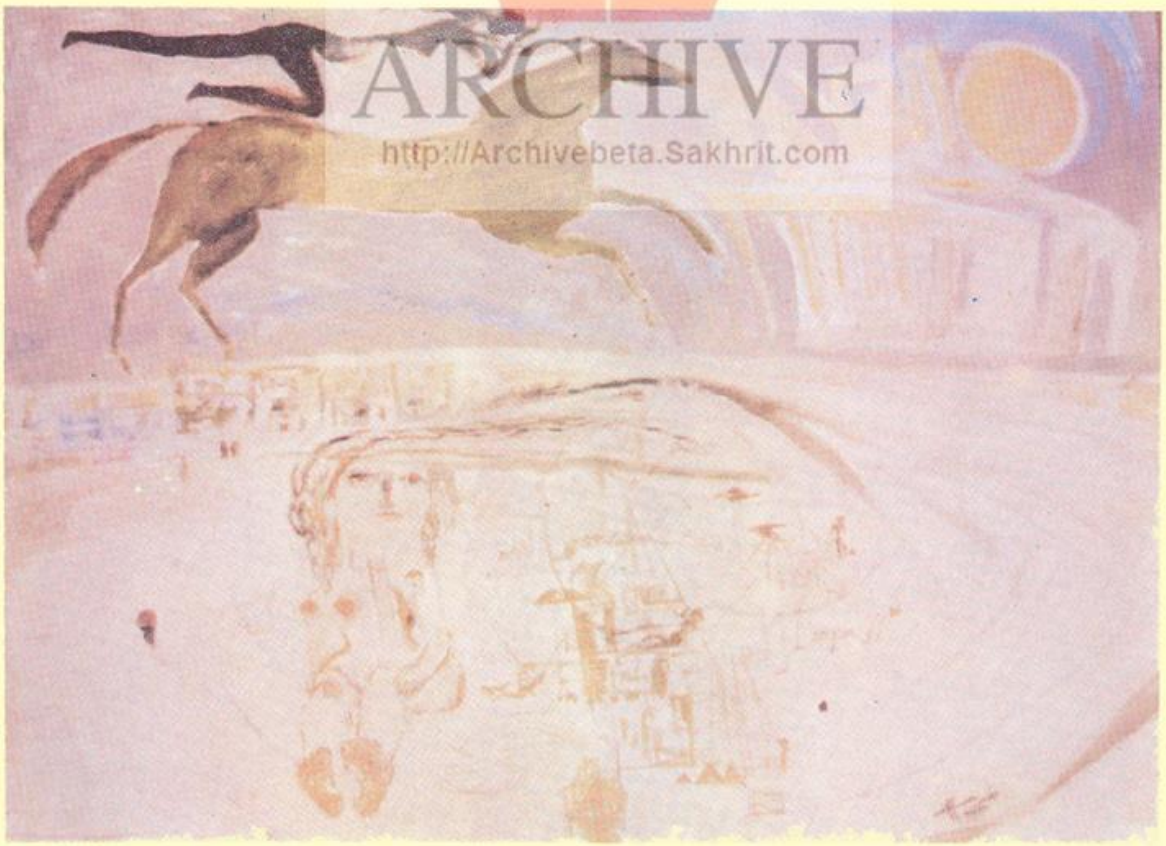

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥ ـ ١٩٩٠

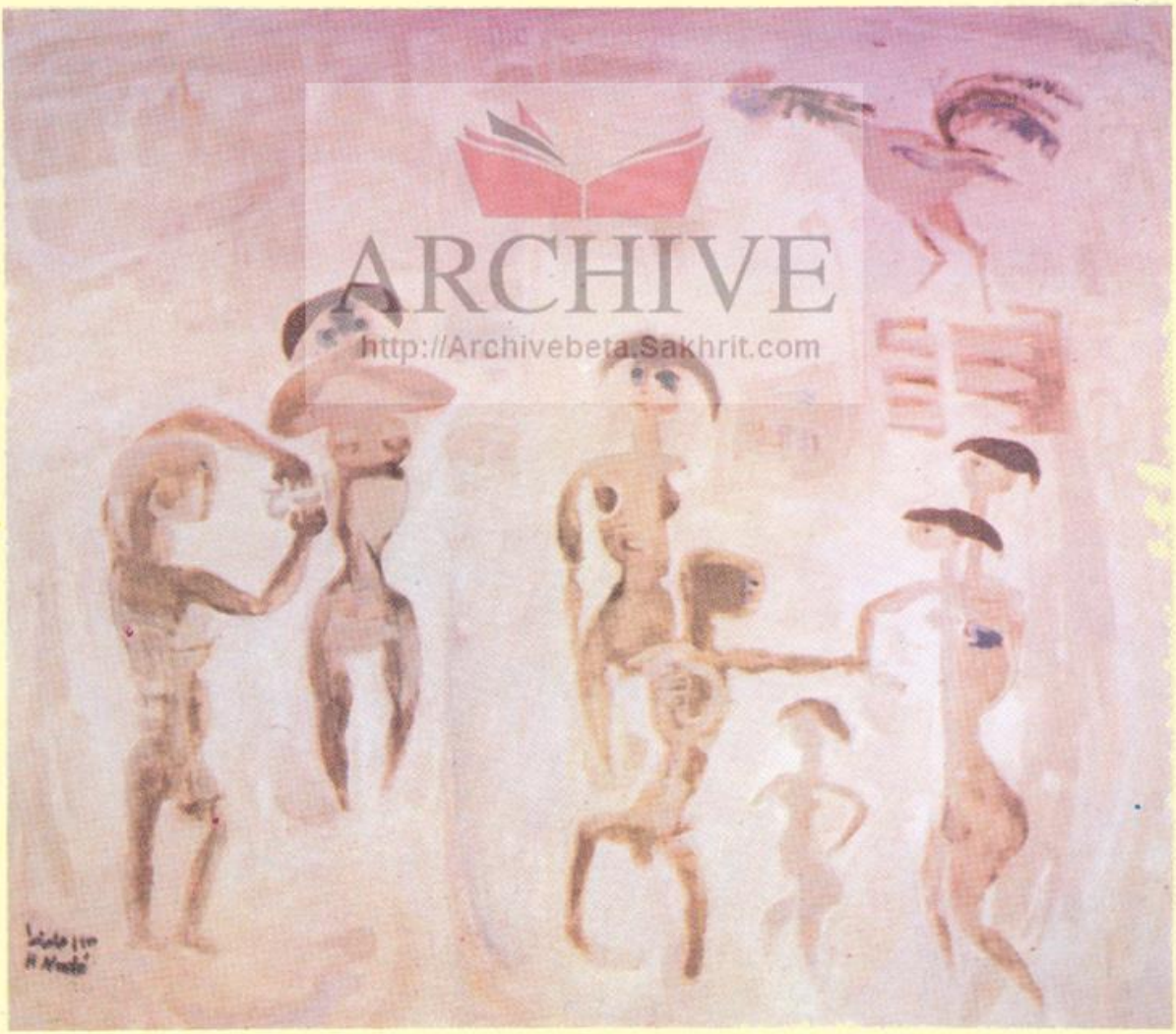
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوحة « رقصة » رسمت عام ١٩٧١ ـ ألوانها زيتية على خشب أرتفاعها ١٢٦ سم وعرضها ١٣٦ سم ـ

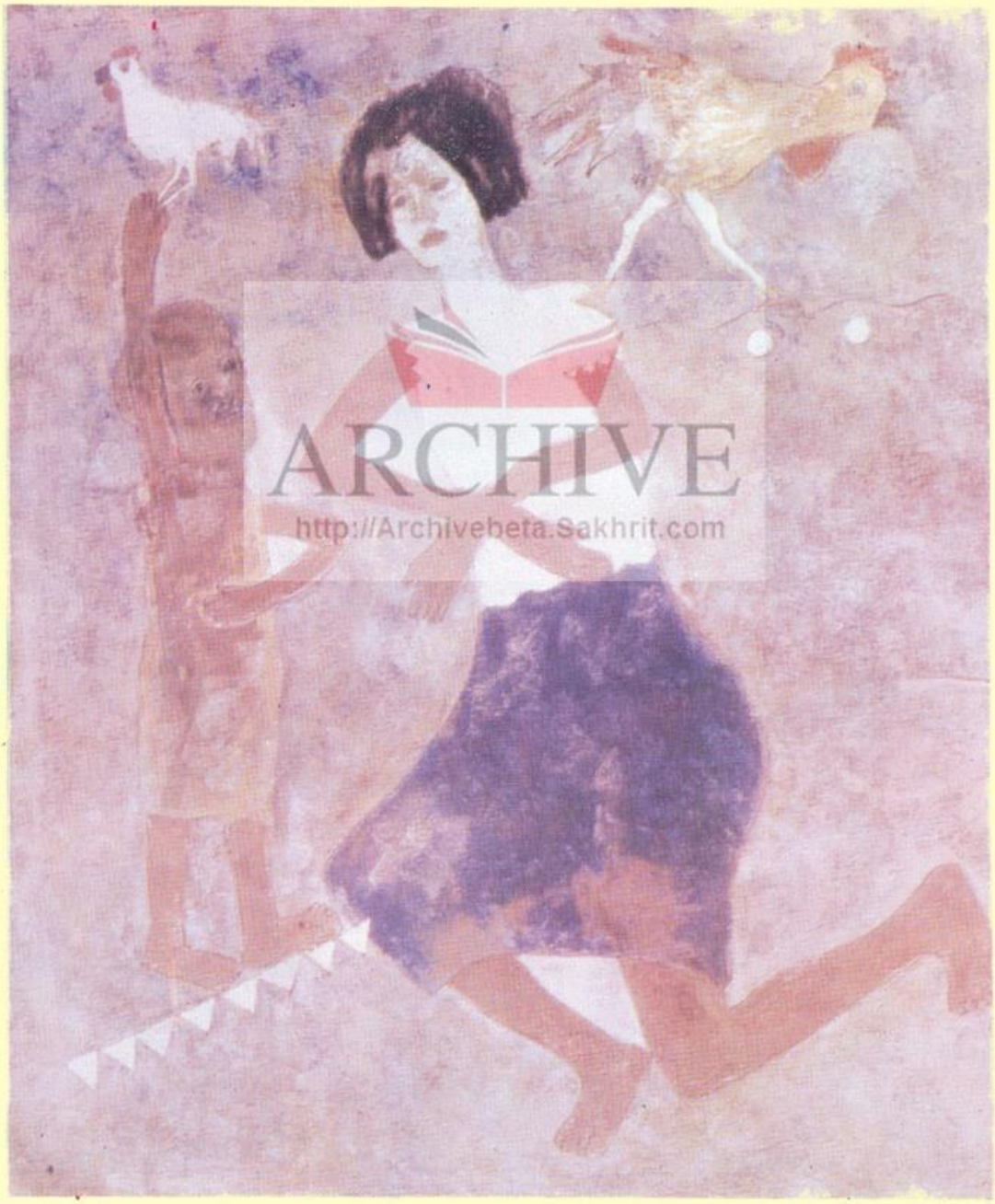

لـوحـة « انشـودة الصبـاح » رسمت عـام ١٩٥٦ - ألوانها بلاستيك على ورق - ارتفاعها ٣٨ سم وعـرضهـا ٣٣سم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوحة « العمل فى الحقل »
رسمت عام ١٩٦٢ ـ نفذت
بالألوان الزيتية مع
الأكريليك على سيلوتكس ـ
مربعة الشكل ١٢٢ سم ×
١٢٢ سم ـ من مجموعة
الفنان الخاصة ـ

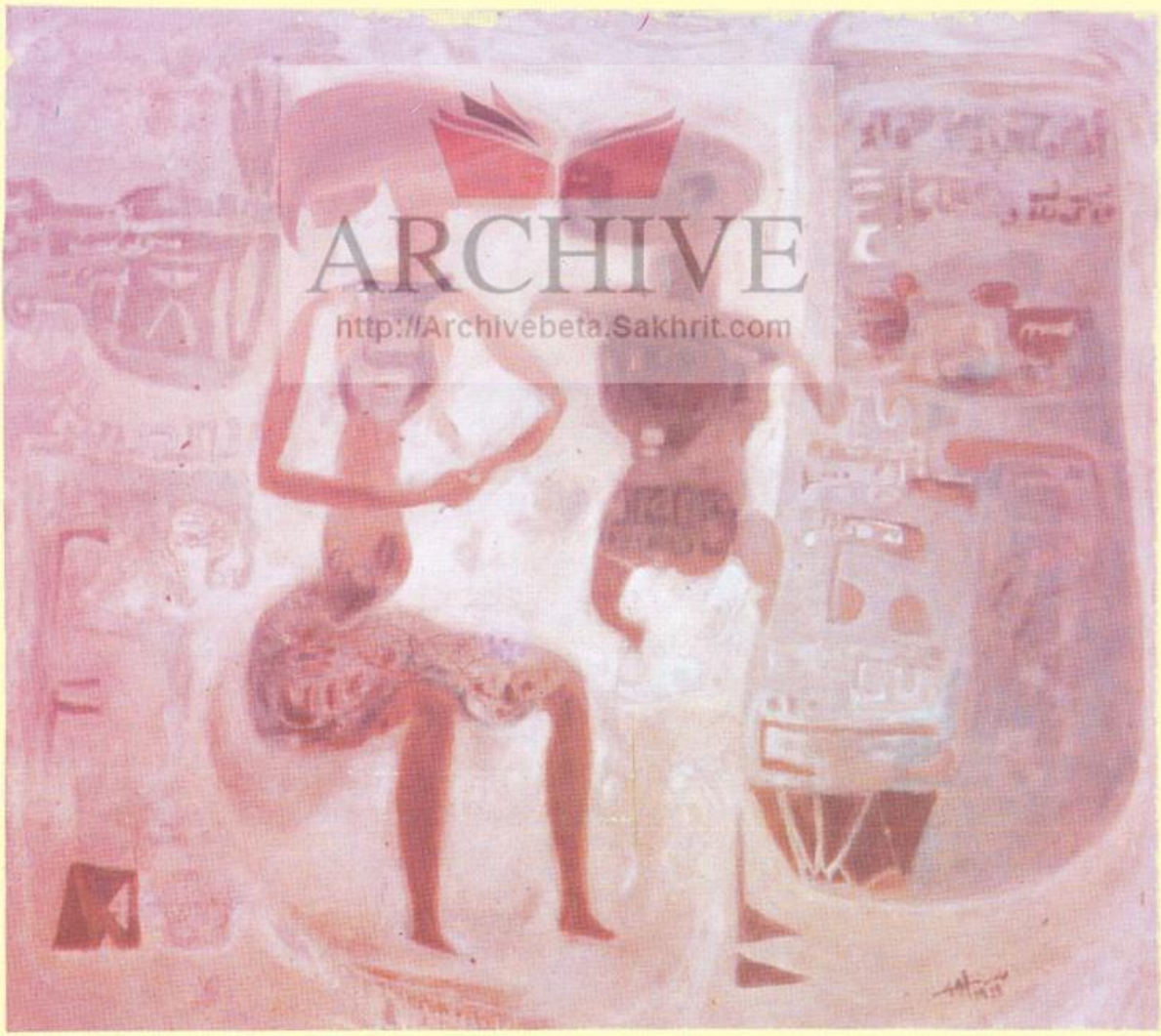
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوحة « حسن ونعيمة » رسمت عام ١٩٦٩ ـ استخدم فيها ألوان زيتية على سيلوتكس ـ ارتفاعها ١٢٣ سم وعرضها ١٣٥ سم ـ من مجموعة الفنان الخاصة .